يونس بن محمد

في الطبيعة الإنسانية الخلاقة

NOOR PUBLISHING

في الطبيعة الإنسانية الخلاقة

يساور المفكر الفيلسوف المحلل في عمقه المبين في طرحه الحر في تساؤله ونقده خلقا وإبداعا إلحاح بالشرح التفصيلي بعد العرض الإجمالي للقضايا وعلى رأسها "أنوار العقل الرشيد" في فطرة الإنسان المجيد وصفا وخاصة تمكنا من الأسباب للولوج إلى الغايات في بدء منته ونهاية مبتدئة في فضاءات المطلق واللانهائي بلا عد. ومنه كان موضوع كتابنا هذا الذي قضينا في جمع مادته ما يقارب الثمانية سنوات تأنيا وتأملا وترديدا للفكر وإشغالا للعقل السديد وتنمية للفطرة الطبيعية الرائقة.

د. يونس بن محمد من مواليد 23/07/1977 باليشير الجزائر. ليسانس 2001 من الجامعة المركزية الجزائر العاصمة. دكتوراء علوم اللغة وترجمة 2008 من السوربون 3 باريس فرنسا. 2010 أستاذ محاضر بجامعة المسيلة الجزائر منذ اهتمام موسوعي.

FOR AUTHOR USE ONLY

يونس بن محمد

NOOR PUBLISHING

9 786208 870737

يونس بن محمد

في الطبيعة الإنسانية الخلاقة

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY

يونس بن محمد

في الطبيعة الإنسانية الخلاقة

FOR AUTHOR USE ONLY

Noor Publishing

Imprint
Any brand names and product names mentioned in this book are subject to trademark, brand or patent protection and are trademarks or registered trademarks of their respective holders. The use of brand names, product names, common names, trade names, product descriptions etc. even without a particular marking in this work is in no way to be construed to mean that such names may be regarded as unrestricted in respect of trademark and brand protection legislation and could thus be used by anyone.

Cover image: www.ingimage.com

Publisher:
Noor Publishing
is a trademark of
Dodo Books Indian Ocean Ltd. and OmniScriptum S.R.L publishing group

120 High Road, East Finchley, London, N2 9ED, United Kingdom
Str. Armeneasca 28/1, office 1, Chisinau MD-2012, Republic of Moldova, Europe
Managing Directors: Ieva Konstantinova, Victoria Ursu
info@omniscriptum.com

Printed at: see last page
ISBN: 978-620-8-87073-7

Copyright © يونس بن محمد
Copyright © 2025 Dodo Books Indian Ocean Ltd. and OmniScriptum S.R.L publishing group

FOR AUTHOR USE ONLY

في الطبيعة الإنسانية الخلاقة

FOR AUTHOR USE ONLY

د. يونس بن محمد

FOR AUTHOR USE ONLY

مقدمة

يساور المفكر الفيلسوف المحلل في عمقه المبين في طرحه الحر في تساؤله ونقده خلقا وإبداعا إلحاح بالشرح التفصيلي بعد العرض الإجمالي للقضايا وعلى رأسها "أنوار العقل الرشيد" في فطرة الإنسان المجيد وصفا وخاصة تمكنا من الأسباب للولوج إلى الغايات في بدء منته ونهاية مبتدئة في فضاءات المطلق واللانهائي بلا عد. ومنه كان موضوع كتابنا هذا الذي قضينا في جمع مادته ما يقارب الثمانية سنوات تأنيا وتأملا وترديدا للفكر وإشغالا للعقل السديد وتنمية للفطرة الطبيعية الرائقة، كان الموضوع إذن هو العقل البشري ذاته أولا وآخرا كمقصد ومآل وسبب وأصل للتفاعل مع الكون والمطلق والوجود بعقلية الخلقية والابتكار والقدرة والاقتدار. فمادة السفر المؤصل الذي نحن بصدده هي الطبيعة البشرية في مجموعها وفي كمالاتها إحساسا وتفكيرا قلبا وعقلا مادة وروحا لكن بتفسير عقلي بحت يراعي الوقائع وبحس علمي تجريبي لا يبتعد عن الميتافيزيقا والماورائيات في شقها المدقق بتعليل الحجج وتنويع المخارج وتعديد المداخل، ليتسنى للقارئ الحكم على القضايا والمسائل من أسسها ومبادئها بالرؤية العامة والكرة الشاملة والنظرة البانورامية للمسائل والأحداث اعتبارا وعبرة وتأصيلا مؤثلا.

FOR AUTHOR USE ONLY

سيجد تبعا لهذا المنهج كل فرد في جميع التخصصات مآربه مطروقة لأن البند العريق في تحليلنا دواما هو الموسوعية والشمولية قدر المستطاع توسيعا على رحاب وتكبيرا في توسعة، لتتعانق المعارف بروافدها في جو السعة واليسر وتتضافر العلوم صلبة وصرفة إنسانية ودقيقة وطبيعية في بوتقة الخلق الإنساني من عل العقل المبين. لذا وجب علينا ونحن المنوهون بفضل المنهجية والحكمة التحليلية بالفكر النقدي البناء بل والمجدد الخلاق من عدم، وجب علينا تعيين إبيستيمولوجية المعرفة بتحديد طرق مل العقل الشريف وأصول اتصاله بالعلوم وتخليقه للمعارف ؛ فالسؤال الرئيس في الكتاب ومحوره المقعد هو "كيف يشتغل العقل الفريد في بناء أحكامه والتحقق من حقائقه تعاملا مع الواقع وما وراءه أي تصالا بالوجود اسبابا وغايات ؟"، وفيه يندرج أسئلة هامة لا تنفك عن السؤال الأساس الأول قطب رحى السفر ألا وهي : (1) ما هي المعرفة وما العلم ؟ (2) أتوجد حقيقة وكيف امتلاكها ؟ (3) سبل اكتساب المعرفة ؟.

فكان كتابنا مبنيا على فصلين أساسين هما : تبيين الفضل الإنساني في الوجود فهما وتطبيقا بالفكر السديد والعمل النافع بشرية بلا حدود من خلال الاكتشاف الطبيعي والبشري (للنفس الإنسانية)، مع تقعيد عقلي لعمل الفكر كقائد للروح والقلب والجسد جميعا. وما الإبداع سوى نزعة بدئية ونهاية نتيجية هدفية لكل حر محرر ومكتشف فضولي ...

FOR AUTHOR USE ONLY

الفصل الأول :

فضل الإنسان بالعقل السديد

ما يذكر في السفر قاطبة كله بفضل الإنسان منه وبه وله

إن الفضل كله والنور أجمعه والبركة المدنية ذاتها للإنسان وفكره وعقله وجهده نظرا وعملا باستقلال الخلاق من عدم وليس الإله ولا للوحي (إن صح شكلا ومعنى) وما اشيد به من غير البشر فهو ثانوي أمامه بل غير مذكور ولا موجود البتة لعظم الخلق الإنساني وكبر الإبداع البشري ووسع النقد الادمي بمسؤولية الأحرار وحرية المقتدرين الكرام. لأن العقل الأجمل لا يخطئ البتة بل هو محك الأفكار وضياؤها ويستطيع ولوج المجمل والمفصل لوحده واكتشاف الكون والإنسان بمفرده. كما تتماشى العبقرية مع عدم الاقتناع بما هو موجود علميا وواقعيا إذ يكون عدم الرضا هذا منطلقا لنقدا دقيق وعميق يؤجج في الخلاق قدرات المعرفة وأسباب توليدها من عدم، فرغم التعب الذهني والنصب الفكري فالمبدع لا يناقض ذاته ولا يكذب نفسه بل يراعي حريتها من اجل الحق غير مبال بنتائج الأمر مادام حرا ومختارا لمذهبه وطريقته وعمله في التحرير.

FOR AUTHOR USE ONLY

فالانزعاج فرحة عاجلا أو آجلا تؤتي ثمرتها في أوانها تدريجيا. ومن الغرابة بمكان الاعتقاد دون التحقق لا شرطا بالنفي التام لأن ذلك متوفر متعين عند الانتقال من عدم الإيمان إليه (الاعتقاد) أما غيره فهو عرضة للظروف فربما يؤمن كليا في مناسبات معينة منها السن والبحث المتواضع غير الناضج ومنها الاطمئنان القلبي دون السكينة العقلية وغيرها : إذ لا مناص عقلا نيرا من ظور الحقيقة وبطلان الزيف والهرج بالتدرج في الفحص والدراسة الذكية في جو من الراحة النفسية والهدوء النقدي العقلي الموضوعي التي لا تتأتى إلا بعد جهد جهيد يألفه الحر المحرر في نفسه الشريفة وروحه الكبيرة وعقله الجبار مع الآخرين خاصة الحذاق منهم والنقاد. فلا شك أن هناك في كل التاريخ الإنساني (رغم نور اليونان الخالد) منذ بداية الخليقة "حلقة مفقودة" تكتسي فيها الأفكار ثويا أوسع وحلة ابشر وعمقا أكبر في حرية الفكر وتحرير الاستقلال القريحي والفعلي معا.

هذا، في فضل اليقين العقلي، والقول بالنسبية مربح نفسا وعقلا فرديا وجماعيا لإشاعة التواضع وقبول الآراء المخالفة والنقد المعارض مع تبني القناعات المدروسة أو طرح التساؤلات الصريحة : وتطبيقه أيضا في يقين الكمال والمنزلة بتخلل إحساس لطيف لا معقد وشعور جميل لا مثبط لحيرة مريحة بين بين (وهي نفسها مسألة الحب والخشية/الرجاء والخوف) ؛ مبدأ الحرية هو الأساس والقاعدة للمبتدئ والعارف معا.

بالإضافة إلى هذا كله، فالحقائق تولد من عدم ناهيك عن إنتاجها من بعضها البعض وهي في العلوم الإنسانية على وعورتها غير نهائية كما هو الحال في العلوم الكونية. وهي سليلة كره الوهم ونبذ السذاجة طريق الخلق الإبداعي ففي الشدة يكون وبالا مؤقتا يأخذ مأخذه وفي الراحة هو نعمة النقد للإبداع وذلك بطبيعة النقد العقلي الحيادي الموضوعي غير أنه ما يفتأ يتحرر من البلاء لينقد في هدوء الرخاء قل الوقت أم قصر والفعل خير ضامن وأفضل مبارك استقلالا. كما يضم هذا إلى استقلال (القلة) والاستهتار الفكري بما يقرأ أو ينتج بكل احترام (للجهد ربما)؟؟ وربما غاب لأن التعصب كان يملأ الصفحات والأسطر غير المسطرة ولا الصحيحة للأسف.

FOR AUTHOR USE ONLY

ونبدأ قائلين أن العقل المستقل يكمن يقينا في المخ أي أنه الذهن المحلل النفاد والمفكك للألغاز حالها، وهو المشجع بنفسه على اتباع الحقيقة بعد اكتشافها ثم إمضائها إعلانا للقلب بشقيه العاطفي الفطري المائل الميال للخير قصد التحفيز (من طرف العقل المخي والذهن الخلاق)، من جهة، والمتمرد الشري المشتعل انتفاضة سلبية حتى يعدلها ويقنعها يوجهها ويقومها، من جهة أخرى. وبغض النظر عن هذا وذاك بالرغم من أهمية الموضوع إبيستيمولوجيا وفلسفيا للدقة والوضوح، فالمهم أيضا هو اضطلاع العقل المجيد بالتفكير السديد والتبيين الوضاح والخلق الأخاذ، وجد هذا العقل المدبر في المخ والدماغ (والذهن) أم في القلب، إذ مربط الفرس هو الفكر وبيت القصيد هو الخلق والتجديد.

فيشتغل العقل البشري الحر المستقل إذن لا تراث يذكر سوى العراقة العقلية في كل الأعصار ولا قيمة للسبقية إلا في بحور النقد الفعال في جميع الحقب والأزمان وهو ما يشاهده المراقب الحثيث جليا في مطالعاته للكتب القديمة والأوراق الصفراء التي أكل عليها الدهر وشرب إلا بما احتوته من لب تفعيلي للعقل السديد وإبراز للنور الفطري نظرا وسلوكا : فكل عصر مفكروه وبحاثوه ولكل زمن نقادوه ورواده ولكل مرحلة مكتشفوها ولا جامع مشتركا بين الأفكار في تلك الأزمان عدا القاسم المشترك الثري والخير الطبيعي النقي والطريق المختصر السوي تمثلا في العقل الجبار الحري بالثقة والاحترام تنمية للفطرة وتطويرا للطبيعة لصالح الأنام.

ولا بد من عدم الإصغاء لشعور البساطة والسذاجة الذي يعتري بعض الأعمال أو ربما كلها لاستغلال الطاقات كلها في إطار التدرج الرحب المبتغي للعلياء والرقي حثيثا، ومنه كانت المشاركة كتابة خاصة وحوارا في مكانه بالاختيار الحر الرشيد ضرورة فكرية لتبادل الأفكار ولو بسيطة ولتناقل الرؤى ولو ساذجة انتظارا لراحة الأصالة ونمو الفكر واستقرار الإبداع في ترقيه على مر الأيام. وهكذا تسقط التفاهات وكذا الآراء العادية الفيلسوف العملاق المتبصر بتفتحه ووسعه في هاوية الطفولية الفكرية وترهق أعصابه خصوصا في زمن التعمق والتعب النفسي والفكري والعقلي وبدرجة أقل في أزمنة التعقل التحليلي الهادئ لأن النفس باطمئنانها للفكرة وتحققها من المبدأ في سكينتها تعين على الاستهزاء بالسخافات الضيقة وتتجاوز بنقد حليم تلك الحماقات الصبيانية خاصة في المبادئ الأولى وتعلقها بالانفتاح والرحابة والسعة والاتساع.

بيد أن استغراب النفس من القيم الراقية وتجسدها في العالم الواقعي موجود بالرغم من دعوة العقل الشريف لها والنداء إليها وأحيانا تعجبه هو بنفسه منها على حقيقتها وهو -كتفسير أولي- دحض لباطل ووهم انعدامها بتلك الطريقة الغريبة والمريبة المسببة للضنك النفسي والحيرة العقلية المفتقدة للشساعة الفكرية والمعوزة من ناحية رفع الآفاق النفسية وتوسيع التفكير المريح ليترجم في ميدان الناس : أي أن المطلوب أكبر من هذا نظرا لقيمة البشر وقوة العقل وسمو الروح ... قليل في قليل طلبا للكثير في الكثير بالكثير ...

FOR AUTHOR USE ONLY

وعند امتلاء العقل المبداع والفكر الخلاق لا بد من تركه للمبداع دون إحراجه ولا إرهاقه بغيره من المعلومات ولو كانت عظيمة القدر كبيرة الفائدة : فجو الخلق يكفي وزيادة ويروي بلا حد ولا عد في طور الريادة. ليصب الكل في التبشير بالمشاريع في العقل الشريف تعبيدا للطرق من بعيد يكون باستمرار في تفاؤل غير مخل بالواقعية لأن العقل الفريد يمنعه من ذلك في تشاؤم أو رفض مطلق للتكرار الممل حتى للتبشيرات في حديث النفس المحترمة لروحها وقدراتها برؤية الميدان واعتبار الواقع المكرس لنور المبادئ وهي المثالية الواقعية والواقعية الملتزمة الفعالة. هذا وتوازن النفس بين الواقعية والمثالية أو ما نجوزه وسمه 'المثالية النقدية" في تقديس لأعمال العقل الكريم وأخذ بعين الاعتناء للأرض المعيش عليها كي يتزاوج الاثنان في نفع الإنسان بحرية وتعليل للأول والآخر ببرهان وبيان. إلا أن كبر الروح بوحي بفعلها واقعا ويرسم نشاطها مستقبلا ويرى نورها باهرا قبل وحين وبعد في تكامل وتنام وتسام.

غير أن من آلام الرأس والصداع كثرة الاكتشافات ودواؤها طول الأمل وبعد الأمد تدرجا وهي مسألة عويصة الحل في من يريد الشرح الدقيق وفي فكر من يعشق الغوص في الجواهر والحقائق خاصة فيما يسمى بالكشف في الشدة أو الإبداع المضني الحرماني في معاناة للعسر ومقاساة للأحوال المتعبة.

ومن المفيد فطرة وفكرا وفلسفة تعريف العقل المبين الأ هو تسلسل مبادئه وتتابع كراماته في النظر والواقع أي أن قواعد العقل المجيد الثابتة المطردة –التي نعنى بجمعها وطرحها وشرحها- تورث أخرى متسلسلة عنها بمنطق طبيعي معلل، كما أن الاطلاع على كل الآراء أو أغلبها أو بعضها يفتح الباب من وسع الإحاطة وبفضل كثرة الاطلاع على الفهم الأعمق والفقه الأكمل بعلم المناقض والمعارض وأدلتهما فطرة وفلسفة ؛ وبعبارة أخرى، ما العقل النير سوى وضوح الفكرة ضرورة أو نظرا أو ضرورة بعد النظر في جلاء العالمين ونضاحة الفاهمين وصفاء النظار الناظرين (النظارين) وما الغباء –ضده- إلا انغلاق الفهم وانسداد التحليل وعقم النظر والنقد أدوات ووسائل جميع الفضائل وكل رفعة في المنازل. والوقت والممارسة تشقان طريق العلا العقلي وتعبدان سبيل الكرامة الفلسفية الخلاقة الإبداعية.

FOR AUTHOR USE ONLY

وبعد كل هذا الزخم العقلي الفكري والجهد الذهني يتوجب الاستجمام في الأنفس الكبيرة المحبة للجد يتحول إن لم يكن أصلا –وهو كذلك في السوية منها- إلى متعة في الاكتشاف أو دونه كالجد المبدع : تدرج القمم وعلو الهمم في رقيهم لمرامي المنعة الكشفية والميادين الحرة المحررة فلا شك أن راحتهم إبداع لهم ولغيرهم ولا ريب أن ترفهم تثمين لغد الإبداع ويوم الاختراع وهو اتزان بين الجد المرهق وربما كان مضنيا ونحن ضده، من جهة، وبين الاستراحة العميقة بنفس طفولي شعورا وممارسة من جهة أخرى. والاهتمام بهذا البند جدير بتجسيد المنى أرضا ومثله حري بالنحت الفكري واقعا في حياة المبدع بين رواح ومجيئة العمل والاجتهاد والراحة والاستجمام.

ونشير إلى أهمية نفي التبعية و/أو التحول إلى آخر مستعبد l'aliénation أساس التعامل البشري في النظر والعمل ولا معنى لهما خارج إطار نوره الاستقلالي وجواب هذا كامن في الحكم الذاتي الإنساني لطبيعته ونفسه وترقيتها في هذا الوجود بل بدءا بفقهه ومنها فهما لها إليه في التحكم في نواميسه وتسخير قوانينه للفائدة العامة الإنسانية المراعية للكرامة البشرية العريقة الأصيلة، ولا يستثنى من هاته القاعدة شيء البتة بأي ذريعة كانت وتحت أي غطاء ادعي لأنه مبدأ مقرر في حرية الفريد وعقلية العميد وعمق التليد. وهي قضية تتعلق بمعنى الوجود الإنساني لا الكوني بمعناه الأوسع الأعم (الخلق كله) والتعلق بالغير والفض في هذا أجمعه للعقل الجميل والثقة كلها في نوره السمين وبرهانه الجديد.

وفي مسار الكشف العقلي والعمل الفكري ينتاب المرء الشعور المخادع بالعجلة النتيجية بالسرعة في الوصول إلى الحكم العقلي والمسارعة إلى تقرير المبدأ مباشرة وكله وهم عدا في توازن العقل القويم وتأني النفس واستقلال الروح بروية وذلك بغية الوصول إلى النتيجة المرجوة باقتضاء العقل وإملاء القريحة المستقلين مرة أخرى، ودواء تلك العجلة وذلك التسرع هو زيادة التأني والتلذذ بالروية والتسلي بتقسيم المسائل وإرجاء الحلول والأفهام إلى حي الراحة والوئام محوا للحرج والشدة والضيق الزؤام.

إن مواجهة الواقع دواء للأوهام والتوقعات الباطلة لأنه اتصال بالميدان الذي به تمحى الحماقات وتتحقق المآلات إيجابا أو سلبا في دحض للوساوس المميتة القاهرة للطاقات والمبددة للراحات والمشتتة للخيرات والفهوم، ومنه كان مباشرة العمل دواء وتنويع الحركة شفاء وتعديد الفعال تلقيحا للفكر وضياء نظيرا وعمليا أو فعلا يقوى به النظر في حياة البشر. وينطوي ضمنهاالاستماع للغير ميزة الفاقهين العارفين الفاهمين لأنه تجسيد للطمأنينة الفكرية وتكريس للاحترام الغيري وإعمال للتفعيل التفاعلي بين الأناسي في التواصل الفكري باللسان البشري وفيه تنوير للآخر بجمع شتاته وتفريغ همومه توطئة للدواء التفاعلي معه من خلال التشخيص للداء بدقة ووصف الدواء برقة.

FOR AUTHOR USE ONLY

وبما أن النفس الإنسانية متعددة الأشواق متنوعة الأطوار، فإن اختلاف وتغير الحالات البشرية للنفس الإنسانية من الضد لأخيه برفق عموما وقفزات أحيانا هو مشروطية الإنسان في حرية الاختيار والبيان والعمل ببرهان نحو الفهم للوضوح والتوضيح وفي سبيل الإيضاح الوضاح وهي حالة تضني القدرات البشرية لكن لا أقول قبولها بتسليم بل فقهها كحال واقع أول خطوة في طريق الفقه العميق وعلى درب الفلسفة الفطرية الرشيدة. واحترام هاته الحالات بلا قهر للنفس الكبيرة مسلك الكبار وطريقة الجهابذة العظام ومسيرة الفذاذ والمكتشفين الفرداء.

يسهل الخلو الوهمي في الذهن الامتلاء الفكري في العقل القويم (تحضير المكان الأفسح للكشف الأفلح) بتحضير الوسط الخلقي طرحا للوهم الفكري ونفيا للجرم النظري بالحرية الرشيقة مما يترك مجالا واسعا للكشف الحق تقريبا أليا لتوفر دواعي الإبداع سبقا وتحققه لحقا إجمالا وتفصيلا فكرة عامة ومبدأ سائدا ومعادلات رحبة التنفيذ واقعا (نظر يوجب العمل).

نعود مؤكدين على أن كل الفضل للعقل المجيد المستقل والفلسفة السديدة الرشيدة وما نذكره، من تنويه وإشادة بمرجع أو مصدر أو فكرة أو مبدأ مهما كان منبعه، في مؤلفاتنا وتعليقاتنا هنا وهناك كتابة وشفاهة وتفكيرا وقولا ونية يعود لنور وكرم العقل العزيز المشرف على كل شيء والشارح لكل شيء والمفسر تبيانا وبرهانا لكل شيء بتزايد التفهيم والإفهام وتكثير الراحة والحرية والإكرام لبني الإنسان.

والاستقلال الإنساني فكرا وعملا يوطد النقد ويعضد الكشف بلا تبعية ولو كانت وهما لأنه انطلاق من عدم للوجود والخلق الإبداعي بفضل البشر بلا مرجعية لأحد مما يديم التعامل مع النفس وبناء المجتمع بنفسه لنفسه في نفسه فذلك حقا هو النقد الخلقي والتحليل الإبداعي والدراسة الابتكارية والتجديد الأصيل وما دونه وهم التخليط وزخرف الدرس وزور العمل الفكري ولا فكر (التفكير من القفص والتقوقع في جحر المسلك والتكلس في جمود المذهب/المذاهب ولا فرق). ومنه كان الدفاع عن الإلحاد فرض العقل الرشيق ونور الفلسفة الشريفة لما لأهله من ذكاء وسرعة بديهة وعمق نقد وكبير تحليل.

FOR AUTHOR USE ONLY

نلاحظ بوضوح عند التدقيق اتصال الأرواح في معنى الخلود شعورا دنيويا بحتا وهو نية الخير للكل والمحبوبين خاصة عدا الظالمين مهلكي الإنسان ويتحول حتما رفيقا إلى واقع محب زارع للمحبة والرحمة ماح للكراهية والحقد وجزاء هذا الشعور هو البهجة الداخلية والطمأنينة القلبية بالاعتراف للأكرمين بالنعم وتذكر برهم برغم النفس الكبيرة والروح العظيمة كيف لا وهما راعيتاه وحاميتاه ومنيرتاه ومنميتاه. بيد أن الاقتباس أولا وآخرا غير محبذ لكنه ليس بكبير شأن وكل استشهاد تحوير ذاتي إلا ما كان محيطا بالبرهان بالنص كله وهو ممكن ومتاح للفريد والباحث البصير وبالتالي لا يلام المقتبس إذا اختار مقطعا بل يناقش في إطار سياق الكتاب أو الفكر بأحمعه فالعيب إذن كامن في اختلال الاستشهاد لا في الاقتطاع المناسب ولا في الاستشهاد نفسه، والمطلوب من الباحث إبداء رأيه وخلل الابتداء بالاقتباس والانتهاء به وارد من هنا لأنه مشعر ولو ظاهرا بالتبعية المطلقة أو الاقتداء القردي أو الاختباء وراء الآخر (لكنه غير مخل تماما لإمكان وجوده في العبقري الذي سرعان ما يظهر إبداعه تبعا للسرد الإيرادي سبقا ولحقا من خلال المتن وفي خضم الأخذ والرد وهو الجليل قدرا والوافر فكرا القادر بكرا).

فري المرء بذاته يكسبه تشبع الكبير بفكره واعتياده على نقده واعتماده على نفسه وعقله كفيل بملئه للموسوعات المؤسسة نظرا وعملا مما يدعوه للعزوف عن المطالعة لا كسلا وتعبا بل امتلاء بالكشف الذاتي وتوفيرا للإبداع الرفيع سوى ما كان ترفيها بين الفينة والفينة لا لشيء إلا للاستجمام المؤقت خلقا للاكتشاف الدائم بالفضل الإنساني والفلسفة النيرة والتحليل الأصيل. بيد أن الذهاب والجيئة بين الاتصال بالفكر الآخر والانغماس في النقد العقلي الداخلي ابتكارا لا يفتأ يوفر الجهد وينوع الخبرات ويوسع الآفاق خصوصا في بداية الطلب وأول البحث الطالب للاطلاع الواسع بتساؤل الفاهم ونقد الفاره وإبداع الكامل، وهو تكامل الاستهلاك والإبداع الإنتاجي.

إن عظم الفكر يؤدي إلى التدقيق حد الإفراط خاصة في التعب لكنه يوازن بالتأجيل التحليلي وقت الدرس المتأني والراحة الفهمية وفيها، مما ينتج عنه حرج في المسائل الصعبة وحتى في تلك، بغرابة، السهلة اليسيرة وكأن الزمن كافل لها حلا وموجد لها فكا لعقدها بسهولة. وعبور الإبداع في بعض العقول ثم أفوله سببه عدم استقرار المعاني الشريفة في النفس وتمكنها من الروح وكذا رسوخ الوهم بالرغم من ظهور نور الاكتشاف ولو برهة في الفطرة وبعض العقل لأنه غير مستغل كليا حتى فيمن يدعون الفلسفة ثم سرعان ما يختفي في غمار الأوهام والعقد وبراثن العفن الذهني نفسا وعقلا وممارسة، ومنه استغراب تغير المواقف من الضد إلى الضد أو من رأي إلى آخر يعارضه ولو جزئيا. فاستشراء العمى في العقل القويم عند مهمليه حري بتوجيههم رغم محاولاتهم المتواضعة للسداد إلى الغي والردى.

FOR AUTHOR USE ONLY

ومن مواد العقل الكبيرة المؤسسة **اليسر والسهولة** لأنهما مبدأ كوني وتشريعي خالد بالعقل القويم القيوم. وقد استهللنا حديثنا بنور العقل السديد ودوره الخطير في الوجود الإنساني، المبني أساسا على الفطرة في أصلها التي تعني النور الطبيعي أي الجانب المشرق في البشر وعقولهم للاكتشاف والخلق والإبداع، لكنها تعرف أيضا باعتبار الكل والشمول بما أودع في الروح الإنسانية من خير وشر من حسن وسوء بما يعتريها من خواطر ويجول في خلدها من أوهام وما يدور في روعها من آلام وتفاهات (إلى جانب النقد المحلل والصرف المدقق والخير العميم والوضوح الكبير، وهلم جرا). فالعقل الأطيب يكتفي بنفسه في تبيان الحقائق ويرشد النفس إلى ما هو أحسن وأفضل، فالحكيم يستقل بفكره عما سواه دون إغفال الحوار وتشجيع التبادل الفكري وتلاقح وجهات النظر لمزيد من العلم والعمق الفلسفيين. والعقل النير وحده يكفي فكرا وعملا أي أنه يكتفي بنفسه دون سواه في اكتشاف الحقائق وكنهها والعمل بما تمليه عليه ذاته فهو مرجع إذن يقينا في النظر والتحليل والتحقق من الأفكار السديدة من جهة وفي التطبيق السلس الواضح واقعيا من جهة أخرى.

والعقل المبين الأحكم لا يشرح فقط الحقائق بل يستبين كنهها وجوهرها حتى الوصول إلى البديهيات والمسلمات التي يبرهنها بطرق عدة ومتنوعة عمقا بعد عمق في كل المجالات العلمية والنفسية والكونية (من رياضيات، فيزياء وغيرها، وعقل ومبادئه وكون وسننه). فعندما يثبت المبدأ بالعقل المستقل الأوحد يبرهن عليه بأساليب عديدة تنبت قواعد وأصولا أخرى بلا انتهاء في التدليل والتعمق والاستدلال والبرهنة، وهذا اقل ما يقال في قدرات العقل على الاستقلال بنفسه حجة وبيانا شافيا كافيا.

وبناء العقل القويم الاستدلال والبرهان لأساسها النظري والعملي جميعا وما الانتقال إلى المثال إلا تأكيد لصلاحية وصدقية المبدأ العقلي المبرهن من جانب، وتأقلم مع مستوى السامع والمتلقي من جانب آخر، إلى ان يرتقي إلى مجال وفضاء العقل الخالص ليتمتع بالأفكار ذاتها طبعا دون الانسلاخ عن الواقع إذ يمثل بامتياز تطبيقات نتائج وقوانين العقل كونا ونفسا.(1) هناك من يعمل العقل في كل شيء ويبجله على كل شيء (هن) ويعليه معطيه قدره وزيادة لما له من فضل غامر، من أجل استكناه الأغوار واستفراغ العلوم من أصولها وفروعها والولوج إلى قعر المسائل والقضايا بكلياتها وجزئياتها معا وهذا جميعا الفخر وشمول الفضل ووفرة الخير الكثير، وهناك (2) من يعطي للعقل مهمة إيجاد المفتاح للحقيقة الكبرى –مثلا- دون تشريعاتها وتفصيلاتها وتجزيئاتها جراء مركب النقص من العقل العزيز الأكفى وخوفا من أوهام شتى، وكأن العقل الكريم شاف في الكليات فقط دون الجزئيات وكأنه مستغل في حالات ومعطل في أخريات بلا دليل وهو غاية الجبن والخور والعو(ا)ر بتقسيم دور الفلسفة العميمة وتفعيل مهمة وآليات الفطرة المبينة وتثمين أنوار العقل المجيد والتنوير به السديد حسب الوضعيات والسياقات وهو باطل ووهم في حق العقل العزيز القويم العامل الفعال في المسائل كلها والقضايا جميعها بلا استثناء أبدا وهو الحاكم الأحكم شكلا وتحقيقا معنويا أي هو القاضي المسدد الأرشد قالبا وقلبا لا في القالب والشكل فحسب ؛ (3) وهناك بالمقابل من لا يعول على العقل بتاتا وهم الجهلة الكوارث فكرا وعملا وهم المتعصبون للهوى والجهالة والفوضى والحماقة، ويتعامل مهم العقل الحليم بالتجاهل الكريم والإهمال الأنيق أو بالتعليم الحليم بعد الصفح المبين وقبله الغضب الجارف السمين ؛

وبهذا فالناس العالمون ثلاث :

1/ علماء وفلاسفة وحكماء الفطرة والفلسفة المعملون لعقولهم والمحكمون لها في الصغير والكبير كحكم أمثل وسبيل أفضل وقاض أحسن سديد مرشد أسد أرشد.

FOR AUTHOR USE ONLY

2/ عاديون مجزئون لدور الفكر واستعمال العقل القويم باكتفائهم بالأعم وتركهم للأهم بغلق مفاتيح وأبواب الرشد الذهني والتحقيق والإيجاد العقلي.

3/ رعاع ولو ادعوا العلم فهو منهم براء لخبطهم خبط عشواء وتعثرهم في دهاليز الغي وطغيان الهوى استكبارا معلنا أو مخفيا بالسداد وعدم البرهان والإتقان في ليل الشعارات الجوفاء والترديدات العمياء.

ولا بصر إلا ببصيرة العقل السديد وتنوير الفكر الرشيد وتأكد القريحة العلمية بالنقد الصريح والفقه الصحيح تحليلا للكل وطرحا للغث وتيمنا بالسمين في ظل بركات العقل المنير خلودا.

نريد الإشارة العميقة لا الخاطفة إلى أن التفاؤل أساس منطقي نفسي للنمو والإشراق على النفس والحياة وهو الذي يمكن من تفسير الواقع عمليا ونظريا. بعبارة أخرى، التفاؤل ينير الطريق بأكثر واقعية وأكثر جدية وأكثر فعالية. وبالتالي ف"التفاؤل الواقعي" مطلوب ومحمود ومتعين ضرورة لتحقيق السعادة الكبرى دنيا كريمة خالدة. إلى جانب توقع الأسوأ في الحياة فهو رديف ورفيق التفاؤل الواقعي اتقاء لصدمة الواقع المعيش بالرغم من أن روح الفيلسوف وعقله ضامنان كافيان شافيان من كل مكروه فهو الشارح بفكره المتوغل في العلل الأولى مرتويا بالحقائق جميعها في كل زمان ومكان. والاكتشاف العلمي والفني تحت إشراف الفلسفة الكريمة الكافية النبيلة الشراحة هو هدف الوجود الإنساني بغية التحكم في السنن الكونية والنواميس النفسية والقوانين العلمية.

FOR AUTHOR USE ONLY

ومن جهة أخرى، فالتربية دوما والارتقاء بالذات الإنسانية هما منار الفكر الكريم والعمل الأنفع تحت مبدأ التدرج الموسع. لأن الموهبة عطاء الطبيعة الكريمة للإنسان لكن العمل يشحذها وينميها، أي أن البشر متساوون في إمكانية بل ضرورة التحسن الفكري والعملي اللامتناهيين إلا أن المواهب والاستعدادات العقلية والنفسية والجسدية تختلف تماما لأن –وبكل بساطة- كل إنسان هو نسخة وحيدة وفريدة لذاته. إذن يستطيع الجميع الوصول إلى نفس المستوى إذا كانوا يملكون نفس الملكات –وهيهات وبعد-، في حين أن المساواة التامة في الإبداع الموهبي والمبني على الجهد والعمل لا توجد بتاتا، إذ يبلغ الموهوب العامل العلامة إلى ما لا يبلغه غيره وإن وصل الليل بالنهار.

"ما كل من طلب المعالي نافذا فيها * وما كل الرجال –فحولا- عقولا"

"لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والإقدام قتال

وإنما يبلغ الإنسان طاقته * ما كل ماشية بالرحل شملال"

ونعود على حمد باعتبار الإنسان مركز كل بحث وعمل لكونه **الإله** المسيطر على كل الأسباب والقوانين الكونية والنفسية وغيرها. لذا تلزم العمل بالأسباب وفي إطارها فقط تمكنا منها وعملا بها وتحكما يحيل إلى الاستعلاء عليها فيما بعد تدرجا حكيما رفيقا بالنفس النبيلة والروح الكريمة، إذ الإنسان الإله قدير على الاكتشاف المتواصل والكشف الدؤوب للسنن الطبيعية والنواميس الكونية والنفسية رقيا بعد آخر وسموا تلو أخيه إلى غاية الغايات سيطرة على الكون والنفس وأكثر بالعقل الرشيد والعزم العميم. أي العمل بالأسباب والسنن على أساس عدم وجود الله تماما. وما التوكل سوى زيادة في الخير المستغنى عنه عقلا نيرا باستقلاله واكتفائه بذاته الكريمة الشافية، إذ هو بدءا وختاما اتخاذ الأسباب الطيبة كونا ونفسا تحت أمر اللب الرحيم وشرحه الوافي العميم ؛ وبعبارة أخرى، طلب العون من الله، رغم كفاية العقل المبين وذاتية النفس الرحبة العالية فكرا وميدانا هو استنارة مزيدة بنور الطبيعة على رفعة قدر الفؤاد وغنيته عن كل إعانة وإضافة مهما علا مصدرها.

وفي خضم الانسلاخ من كل ما سبق من فكر وعمل قصد التحليل الهادئ والخلق الحثيث والتجديد المستمر الخلاق المبدع، نجد التفكير بالتجريد دون مرجع إلا الفكر والعقل ذاتهما، مراعاة التجربة في إطارها المحدود إذ تمثل تحقق وتأكيد المبدإ العقلي النظري. كذلك يكبر شأن التركيز على المسألة ذاتها وتفادي تشعب الأفكار والتسلسلات المنطقية كي يقام بناء الفكرة على أختها أو المبدإ الحقيقي والأولي على الآخر، وربط الأمور والقضايا ببعضها شرحا وتحليلا.

FOR AUTHOR USE ONLY

وهناك سبيل آخر أعمق واوفى وأصعب متمثلا في البحث عن **العلة الأولى والغاية الأخيرة** في كل شيء والازدياد من التعمق والتحليل وراء الأجمل والأقنع والأزيد إلى ما لا نهاية. إلا أنه يقعد على التدرج في البحث والنقد والتنقيب وكذا في الترقي في الحقائق الواحدة بعد الأخرى. ولا يغفل بتاتا الاهتمام بكل ما يبدو غريبا أو مستهجنا إذ هو العقل ذاته أو على أقل تقدير هو سبيل واسع له. والحل هو أخذ الوقت الكافي للإيجاد كل الحلول بلا حد. لأن **"التغيير السلس أو اللطيف"** أساس في التدرج في المعالي والصعود إلى القمم بشكل حثيث ومتواصل ولا يظهر جليا إلا بالتعقل والتأمل والتعمق في النقد والتحليل حتى لدى الفيلسوف المتمرس الحاذق إلى أن يستوي على قاعدة متينة من الفكر الثابت الراسخ والتجربة المفيدة الواسعة، لينتقل من مستوى كبير إلى آخر أكبر وأرحب هناء أي سعادة وطمأنينة بإيجاد الحلول بكثرة زاخرة فكريا فلسفيا وتطبيقا نفوذيا.

ومن خلال هذا السير الحثيث إبداعا وخلقية لا بد من الاكتفاء أولا وآنيا بالمجمل فكريا أي بالحقيقة المجملة وترك المفصل المبرهن يقينا وعمقا لا متناهيين فيما بعد في جو من الاعتدال والثبات العقلي والفكري والنفسي.

ولا يتثنى من عمل النور الطبيعي الفطري والفلسفي أي مجال لتعين نقد كل ميدان وكل شيء إذ العقل المنير يحكم كل شيء وكل الحقائق –وهذا أقل ما يقال في قدرات الإنسان الإله العقلية وطيبته النفسية بلا نهاية- . ومن الفطرة والفلسفة بعد السبر المغوار الغائر نقد كل شيء دون هوادة وبهدوء إذ العقل الأكرم يحيط باستفاضة بكل العلوم والحقائق ويتعمق فيها تدريجيا. فغليان الفكر واتقاده هو الذكاء بسرعة الفهم والانتقال والاستنتاج العقلي، يولد جوا خاصا يشبه الكآبة –يحولها الذكي إلى بهجة وإنتاج عقليين منتشين- والغموض والاختلال المؤقت للأفكار والارتخاء، سرعان ما تتلاشى وتضمحل لحساب الصفاء الذهني والعمق الفلسفي. ولا يمتعض من عودة الأفكار نفسها على أنها تؤذي الفيلسوف الخلاق الذي يخرج من دائرة السذاجة التحليلية إن وجدت من الملاحظة والتعليق العاديين إلى ساحة ورحابة التعمق والإتيان بالجديد في كل الأمور. حتى وإن أدى الأمر إلى الفرح باستصغار الأفكار وقائلها لأنها دليل ومؤشر على فكر أوسع ودقة أكبر ويسر أتم قريبا جدا.

FOR AUTHOR USE ONLY

ومن المهم التأكيد على قضية استغلال الملكات العقلية والنفسية بنور العقل البين لأن فرض عقلي على جميع البشر إبداء آرائهم في الحياة والكون والإنسان، كل حسب طاقته وقدراته، وما الخطأ إلا عقل صغير يكبر بسرعة بعد التمعن والإمعان. ولا يثني المرء الحر المحرر الخوف البتة من العقبات الفكرية –وغيرها- إذ ذلك طريق العلم اليقيني الحقيقي الواسع الموسع والموسع. كما أن تعدد أشواق النفس والفكر وضرورة الانتقال من ميدان إلى آخر –فلسفة، علوم، فن –موسيقى، رسم، نحت-، اقتصاد، تاريخ، سياسة، يسهل طريق الخلقية ويوسع الفكر منج جهة، ويتعب النفس ويجهد العقل السديد، من جهة أخرى.

فاستوجب بذلك الترفيه عن الروح بكل الأساليب بين الفينة والأخرى لإعطاء العقل الأعظم قسطا أكبر من الارتقاء اللانهائي إذ ما ذلك إلا إنتاج خفي يترجم واقعا في أجله المرغوب فيه حسب الظروف وبتؤدة تدرجية، مع مراعاة مستوى كل فرد إله مع التأكيد على حتمية تشجيعه على الرقي ورفع مستواه بالتعقل والتأني.

فالإنسان روح وجسد وللأولى الأسبقية إذ هي محل العقل الأحكم، فلا بد من إشباعهما معا دون إغفال حقوق الفطرة والعقل. ولكل واحد منهما سننه وقوانينه التي تحكمه وتسيره إلا أن بينهما ترابطا وثيقا يسيطر عليه العقل دوما لصالح الجسد والروح معا في توسعة على توسعة. وروح الإنسان خالدة وهي محل العقل المنير خلاق الحضارات وباني الكرامات (تشرح بإسهاب).

إن الفطرة مبدأ وعنوان العقل إلا أنها المستوى البدائي أو الأولي فقط له وبالتعمق نأتي إلى نتائج الفكر العقلي –الفلسفة المشرفة-. فكل فطرة إنسانية هي عقل طيب فلسفي يستشرف إنتاجا أعمق وأشرف وأسمى وأشرق وأوفى وأشفى. فالفطرة تعطي الخط العام السميك والعنوان الكبير أفكارا وأشواقا وأحاسيس ليأتي العقل ممحصا ومهذبا ومصححا ومعمقا للتحليل والتركيب والجمع والتصنيف والتقسيم. ومن هذا المنطلق استقام نفي الأشكال في كل بحث –ازدراؤها- والاهتمام بكنه الأشياء وجوهرها. – الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة-.

FOR AUTHOR USE ONLY

وفي إطار غير بعيد نرى أن الثقافة الخاصة المحلية تمس العادات والتقاليد والأعراف المحلية الخاصة بكل بلد ومنطقة في ميادين الطبخ أكلا وشربا والحفلات والأعراس والمآتم والتجمعات وطريقة التعامل والتخاطب في الشؤون اليومية والاعتقادات كذلك تبعا لتاريخ وسيرورة كل شعب وتجمع ومجموعة بشرية، ليصل الأمر حتى إلى طريقة الحكم والتنظيم السياسي، بخلاف القيم العالمية التي هي وليدة الفكر السليم ونتيجة الفطرة الراقية النظيفة من حرية وحب وسلم وتسالم وتعاضد وتعاون ونظام ونظافة وتبادل وهدوء خلاق من أجل الخلق والإبداع الأصيلين. ونثمن أهميةالثقافة العامة بتوسيع الدائرة المعرفية والتفكيرية – إعمار العقل الشريف بالعلم ولو دون فائدة عملية لخدمته للعملية عاجلا أو آجلا فالإنسان علم وسؤال ومعرفة واستطلاع وفضول –استغلال المعلومات بوسعها وتنوعها في التحليل الفكري من منطلق موسوعي أساس الإبداع وروح الخلق الرحب –الاستجمام المعرفي في تعديد المعارف بتنويع الميادين (في ضوء السنة العالمية كونا وإنسانا : كل نظر يتبعه عمل –كل تنظير حق يتولد عنه تطبيق أجل). وهو من زاوية أخرى، اعتبار للخاص المحلي والعالمي الكوني ؛ فلا عري سوى عري الأخلاق ولا شرود عدا الانسلاخ من إنسانية التفكير وبشرية التأصيل الإبداعي (الجنس مختلق كغيره من التعقيدات والتعسيرات على الأنام).

غير أننا نمتعض ونستاء من الملاهي ودور الدعارة لتسويقها لجسم المرأة وكذا تشهيرها بالأمور الخاصة وأخصها بلا غضاضة هو الجنس وهو اليوم من نوادر ما يعاب على الغرب المعبر المطبق عن مثل الإنسانية الكريمة وعلى رأسها الحرية الغالية فهو مرر حقوق الإنسان وهادم الذلة البشرية لذا تقرر في منهجنا أن الملاحظ العادي ناهيك عن الفيلسوف المدقق العميق يرى جليا أن أغلب نور العقل البين السديد تناوله الغرب رؤى وتنفيذا بآليات وميكانيزمات الإتقان الميداني بعد حذق الجانب النظري فنظر وعمل وبصر ويد. إن المرء الملاحظ الدقيق يخرج بغرابة العلاقات في الغرب المتحرر من عقد الجنس إلى حد كبير لكثرة الطلاق وتنويع الشركاء الجنسيين لكنه في الشرق ليس بأفضل لوجود رابطة الزواج ومؤسسته لكن الطلاق موجود بنسبته يدرس). ونعتبر جازمين –مع تفهم جم وكبير لأوضاع الأنام العامة والخاصة أسرة واجتماعا فرادى وزرافات- علاقة الشذوذ بين المثليين غير طبيعية وكارثة فطرية مع تفهم متعاطيها سيكولوجيا وسوسيولوجيا في اتجاه مداواتهم بفهم واقعهم وأسباب اختيارهم أو عدمه وهي مأخذ على الغرب رغم استنارته بالحق الفطري والفلسفي والنقدي أو بفضل النقد البحاث النفاذ لكن نهتم بدور فقه الأسباب كما تفعل الفلسفة الإبيبستيمولوجية البادئة بالأصول والمنقبة على الأسباب الأولى للغايات الأخيرة. ونعرج هنا على حب التنويع في الجنس فهو عادي لمن اعتاده في نفسه فيرضاه في غيره بلا حرج (اتخاذ الصاحبات والأصحاب) كما هو غريب جدا وصعب بلا استحالة عند العليم في روح الملتزم بالأحادية التعلقية العاطفية بمسؤولية، فلكل امرئ من دهره ما تعودا ...

FOR AUTHOR USE ONLY

والاجتماع والنفسية حاكمة هنا ودمج الجنس والعلاقات المتعلقة به في الأخلاق من ضرب الخيال أو إطلاق الخاص على العام وبالتالي لم يكن الجنس وقضاياه لباسا وعاطفة وتكوينا أسريا بأنواعه من العالميات بل هو من خصوصيات الشعوب بيقين، والعبرة بالمصلحة للجنسين خصوصا المرأة لضعفها طبيعة ماديا لا معنويا وأدبيا فهي الخير أجمعه. لأن الطريق القويم مبني أساس على **التساوي التام بين الجنسين الأكرمين الذكر والأنثى** واحترام طبيعة كل منهما للقيام بدوره على أحسن وجه. ونؤمن أن الأمومة فطرة في الأمهات والأمات والشهوة بين الجنسين المختلفين رجالا ونساء فطرة ولهما فقط استثناءات كغيرها من الأمور المثبتة الراسخة عقلا وفطرة وغنما المهم هو دراسة هذا الخلل الوارد (المحتمل والحال الموجود) للتعرف على أعراضه وحلقاته المفقودة لعلاجها برفق الفلاسفة المربين، لا لدحضها بعنف الأجلاف الجهلة الأوغاد. ويدرج ضمن هذا المقال حق الطفل للمرأة لأنه ضروري بطبيعة الأمومة لكنه لا يتعداه إلى أقصى مدى ولو كان باستغلال الرحم مثلا مقابل مال أو غيره لأن الانتماء العائلي خاص بالارتباط العائلي في أسرة اختارت فرديها بحرية البناء الاجتماعي نأيا عن الاستعباد البشري (بأجر وبلا أجر) ولو بصورة من الصور قد تبدو مقنعة

إذ أن الإنجاب الطبيعي معروف المسلك في التزاوج الجنسي بين الطرفين الطبيعيين (الرجل والمرأة) لتوليد الأبناء من أصولهم ولا مكان لاستئجار الرحم ولا لإعارته لأنه خاص من الخاص بالمرأة وزوجها الوحيد في تلك الرابطة والعلاقة المتينة المقدسة البانية للجنس الإنساني. ومنه نتج رفض الاستئجار الرحمي بالنسبة للعائلات العادية (رجل وامرأة) و المثلية (رجل ورجل أو مرأة ومرأة) تماما، في حين يقبل عاديا التبني من جميع الأسر الثنائية أو الفردية إذا توفرت شروط الانتماء إلى عائلة تحفظ حقوق الطفل وتروح عنه لحظات البؤس اليتمي وربما الضياع الاجتماعي وتعوضه ما سلبته الأزمان من حنان ورفق ودعة منوية بالخصوص والمادية بلا نسيان.

لأن الجنس روحا وجسدا (عاطفة وحيوانية بشرية لنفي الضغط) يتوحد في بوتقة الحب والمتعة الجسمية معا وهو اتفاق الروح والجسد لتعميق اللذة وإدامتها مادة ومعنى. وللشهوة محلها بلا حيوانية الشره والاعتداء والحيرة تنمو وتتوسع كالمال الطيب عكس شبهتها في غير موضعها من شراسة وطمع وضرر تتوالد لتزيد غليانا منتجا للضغط واللف والدوران بلا استقرار كالمال الخبيث المغتصب، فالإطار الواضح للتمتع والزهو يجمل الحياة وينبت الطمأنينة خلاف الروغان بين نزوة ونزوة بلا بينة ولا وضوح منتشا لمنابع الجشع واجتياز الحدود بلا روية ولا حياء. والشذوذ الجنسي إذن مرفوض فطرة وعقلا مع لزوم العلاج حالة بحالة فالارتباط الجنسي لا يكون إلا مع الطرف الآخر المختلف جنسا لا للتكاثر فحسب بل للمتعة واللذة الجنسية في إطارها الطبيعي الفطري لذا بطل تماما التعلق الجنسي بالأمثال والمثيلات لاعتباره مرضا زلت فيه قدم الفطرة وغاب فيه العقل ولو اعتني، بل لا بد من ذلك، بالفرد الميال للجنس الشبيه إذ شغفه بالأمثال انحراف عن السواء فطرة وعقلا يوجهان المتاع الجنسي إلى جوانبه المعتادة لا اجتماعا هنا فقط –لغالبية ذلك الميول الجنسي للآخر المختلف جنسا- بل عقلا لرفض هذا الأخير لتنكس الفطرة وتنويع اللذة، إن وجدت أصلا، في غير محلها الطبيعي.

ونعتبر راسخين أن الزواج علاقة رضا أساسا بداية ونهاية ولا يعتبر فيها سوى الاحترام المتبادل لحرية الآخر للقبول به بلا أدنى إكراه مع تحمل مسؤولية النتائج من نفقة وأولاد محتملين وإعلان ولو مؤقت (زواج المتعة الصريح الواضح)، ليبقى عالقا اجتماعيا التعامل الجنسي خارج الزواج مع الرضا الكامل طبعا بين الطرفين وعموما المرأة أهم ما يحمى حماه، مع الاتفاق بينهما حول الشروط التي تقننها الفطرة الحامية للفرد والمجتمع لكن شريطة الوقت المناسب الكافي لتجسد ذلك في أعراف الأفراد والعائلات وهو يكاد يكون في الأوساط العربية مستحيلا لتجذر عرف الأنفة النسوية. والقاعدة في الزواج هي (1) الرضا الحر للطرفين (2) العقد

FOR AUTHOR USE ONLY

العقلي بينهما (3) مراعاة المجتمع ما أمكن لتحقيق السعادة والتوافق بلا نزاع. ونعلن نشطين فرحين صارخين أن الأنوثة الكريمة والمرأة الرقيقة الكاملة ترفع المعنويات جسديا وروحيا وعقليا بصفتها راعية الجمال في الكون والإنسان وهي الذكية نظرا الحكيمة عقلا المثلى ذهنا والمتقنة عملا وواقعا في سياسة الناس واقتصادهم وتعليمهم ناهيك عن شؤون العائلة وعناية الأهل كما اتفق الأطراف أو الطرفان بادئ ذي بدء وخلال المسيرة الرحيمة والعشرة الطيبة في ظروف البشر وتقلب أحوالهم. ولا أروع من تحرر المرأة المسؤولة لتبدع بلا قيد وتخلق بلا نهاية وهي رمز الجمال وجوهر الفن من كل الجهات ...

نلحظ أيضا استعمال المعلومات أو الاتصال بأي علم بمعناه الأشمل والأوسع أي من تلقي المعلومات العادية البسيطة والساذجة بلا تحليل إلى الإبداع والخلق التجديديين هو طرد للوهم بفضل التنوير العقلي والفتح الفكري تشغيلا للأعصاب وإشراقا على العصيبات النهمة والمخ الفطن الشره في الروح العظيمة والنفس الشريفة. وهذا متصل بالقراءة الكلاسيكية جمعا ما أمكن بالشمول تقابل العبقرية التحليلية والمطالعة الملخصة واللبية لأن العبرة بالمنهجية العقلية والتأصيل الفكري للقضايا لا تعداد الأفكار المكررة حيث أن الاطلاع في العقل الابتكاري يجدي بثمار جديدة وخيرات تجديدية على قلة المعلومات فكيف بكمالها في الموضوع أو موسوعيتها ووسعها بالقدر الإنساني الشريف. لأن الكتاب يعطي حرية الحركة للفكر نقدا وتحليلا وفهما وبحثا عن المطابقة في الواقع لما هو من جنس العلم التجريبي البحث في المادة والإنسان (بثبوت وإثبات سننه الاجتماعية الإنسانية) وهو إظهار خبل الإعجاز العلمي في القرآن.

FOR AUTHOR USE ONLY

ومنه كانت العودة بين الفينة والفينة في خضم الإبداع الأصيل وفي غمار الخلق القويم لزاما عقليا ونفسيا وروحيا بناموس التوازن والتنوع والتنويع للطاقات البشرية والتجول في عليائها وروّحها، بوتيرة يملها العقل المراقب برفق بالنفس الأبية والروح المطلعة التواقة والقريحة الوثابة : فالأصل اكتمال المنهج وتطويره في خطوطه العريضة بتفصيلها على مر الزمن والانتقال من موضوع إلى آخر بالمطالعة القوية الكاملة شأن العارفين والفلاسفة السامقين برؤيتهم الشمولية وتحقيقهم الراقي للكبير ثم الصغير. وتتيح المطالعة الكتابية راحة التفكير الهادئ والإعادة المفيدة للقراءة والتحليل النقاد ببطء الاكتشاف وسكينة الخلق بخلاف السماع وسرعة التلقي على أن الإبداع فيها –السماع- ليس فقط ممكنا بل ثابت -وضروري- عند الجبار وفي العقل المغوار، ومن هذا البند تتضح أهمية الحرف وخطورة الكلمة ونرو الخطاب المكتوب لحمله للحضارة وإتاحته للنقد المكين في وضوح الفكرة المبدعة وتمام الابتكار المبهج ودونه سائر الطرق والوسائل النقلية من صوت وصورة ورقمنة وغيرها مما يخبئه المستقبل على يد الأنام الكرام.

إن للحصص البيداغوجية دورها في إحقاق المبادئ زيادة بعد التربية وتعبيد طرق تحقيق المثل العليا بالبيداغوجيا والمقاومة في كل مجتمع وطبقة معنية من قريب أو بعيد لأن الطبيعي دوما يرقى على الاصطناعي بدوام حقه وثبوت سنته وخلود عرقه بالرغم من أن القانون يرعى الحقوق بإقرارها ورعاية تطبيقها بالردع بعد تمرير التربية في العقول وتثبيت المثل في النفوس وتطهير الأرواح من الأنجاس : "شرحا تربويا توجيهيا + إحاطة ردعية قانونية" وتحته تحديد حصص عرقية أو جنسية أو غيرها للحصول على الحقوق والتمتع بها. ففي توفير الجو والمناخ أكبر التأثير على فكر البشر وأجسادهم أي روحا ونفسا وعقلا وجسما بما تفرضه من إكراهات طبيعية تصيب المأكل والمشرب والنوم والعمل مما يولد أجواء معنوية متعلقة مباشرة بالمناخات المادية إلا أن العقل والروح البشريين يشكلان الحل والتمايز بين القسر الطبيعي والاختيار الإنساني الحر المتكيف مع الكون والمالك الشيء الذي يكون الفصل بين الجماد وسننه والبشر وحريتهم في تقرير مصيرهم واختيار مناهجهم في جميع الأجواء وتحت كل السماوات وفوق الأراضين بلا فرق.

هذا، والمطالعة لا تجدي نفعا في غياب الحس النقدي والعقل التحليلي الذي حينها توقده القراءة والاطلاع على آراء الغير من حيث وخز الأفكار في الفطرة البشرية أو فتح أبواب جديدة أخرى للقارئ وهي في منهجنا مغروزة عمقا على الأقل بأصولها دون تفاصيلها ولو أننا ملنا إلى تمركز الكل –كليات وجزئيات- في العقل الرشيد، ليدلي الجميع أصالة فطرية لا تتساوى البتة بين شخص وشخص أبدا وهنا التفاضل الفطري والتفاوت الجهدي العملي الكسبي شكلا ومضمونا فكما يستطيع كل فرد إنسان مكرم الوصول إلى الحقائق المهمة وغيرها فكذلك يولع الموهوب ولو بمكاره وشرور لعلناها مرارا وأصلها باكتشاف السنن الكونية والنفسية الإنسانية العقلية والروحية كما يتنفس لاعتياده طبيعة وتوفيقا ذاتيا منبعه العمل والعادة الحسنى، على النقد والتحليل والتأصيل الجديد المجدد مقابل عادية لا عادة المرء المحدود فطرة –وهو قادر على الإبداع لكن بقدر على أهميته طبعا في الإضافة للموكب البشري- والمتوج عملا إلى حد معين كبير أو صغير غير انه دون الموهبة العظمى والتفضيل الطبيعي المستحق باستحقاق وأهلية، بالرغم من استحقاق المكانة كل على قدره وفي مجاله أو مجالاته ومستواه.

وبالتالي، أردنا التنويه إلى استقلالية الفيلسوف الحكيم عن المطالعة تماما قوة وفعلا لكنه في طبيعته البشرية يتصل حينا بعد حين أو أحيانا شريطة إرادته طبعا على مشقة عدم الكشف الذاتي للحقيقة إلا بعد القراءة والاطلاع على رؤى الغير بتحقيق العقل السديد وبتصحيح الفلسفة الرشيقة وموافقة القريحة النضاحة ؛ إذ العقل الكبير مستقل في غنى ومنتج عن ظهر غنى وعن استغناء وهناء.

FOR AUTHOR USE ONLY

ونضيف إلى هذه القناعات قيمة التقييم البيداغوجي الذي يدخل ثانويا، لكن باعتبار مهم، في الخلق بالعدل العام إلا أن الأساس التقييمي هو العمل بالموضوعية العلمية (يقيم العمل بالموضوعية العلمية). ونلاحظ أن الكتابة أو الحساب في السبورة أصعب منه على الورقة لتركيز العقل وتوجه الفكر والقريحة للجمهور والسبورة وقوفا متعبا وتشتتا بين الكتابة والجمهور على عكس الورقة جامعة الشمل ولامة الشعث بلا تشتيت للتركيز ولا للذهن في غياب الحاضرين شرحا لتلم النفس روحها من اجل الوحدة الفكرية للخلق الفريد.

ومن نواميس البشر قانون التطور الطبيعي بالانتقاء الطبيعي ثابت في الكائنات الحية كلها باصطفاء الأرقى والمكن والأقوى في الحيوان لكن كل قسم على حدة أي أن التطور يكون في الجنس ذاته دون الانتقال من جنس إلى آخر وربما قبل سوى في الإنسان لاحتوائه جوهرا عقليا وروحيا متميزا عن كل الكائنات الحية : فكما أن التطور يقين في الجنس وبينها وربما في النوع وبينها فهو غير ممكن بتاتا من الحيوان إلى الإنسان وبأي طريقة من الطرق كما أنه حقيقة في الإنسان كذلك بما يتكيف مع محيطه وظيفيا مع أعضائه. وهو في الحيوان متيح للتكاثر وحماية النوع والجنس مترصدا وفريسة بالقضاء على الأضعف لصالح الأقوى حفاظا على جنسه ونوعه ؛ والفارق المميز بين الحيوان وتطوره حتى بين الأجناس والأنواع والتطور في الإنسان فقط دون الخروج ولا الدخول هو الروح الإنسانية والعقل البشري والامتياز الفكري المرتبط بالجسم والجسد. ودراسة الأحياء أكبر فاتح لتلك الحقائق وأعظم مثبت لها بالدلائل في رحمة الفلسفة وأنوار يقينها وسكينة راحتها القويمة.

FOR AUTHOR USE ONLY

ونصرح بلا شك علمي ولا فلسفي أن الإنسان متطور لا من قرد أو من غيره بل من إنسان بدائي تحول عبر الوقت لا في النوع بل في الدرجة فلا صلة للقرد ولا أمثاله بالبشر البتة من حيث النوع والطبيعة الأصليان أما وجود التطور كسيرورة علمية طبيعية فهو مقرر علما تدريبيا ملاحظا يبسط في مكانه وهنا "نظرية دراون" محقة تماما كما قررها في 'أصل الأنواع' (1859) : فالتحسن البشري الجسمي –والروحي العقلي كذلك- حقيقة في المسار الإنساني على مر العصور وا التقدم العلمي إلا معضد لهذه المعاينة في الروح، وملاحظة بالاستقراء العلمي في الجسد والبيولوجيا (علم الأحياء).

ونضيف أنه عند اكتمال العقل الرشيد في عنفوان الروح الراقية تطمح الذات العليا إلى الأكمل في وجود الكمال وتتطلع إلى الأمثل في تواجد المثل وكأن العقل الفسلفي الشمولي العميق يبحث موجدا "للحلقة المفقودة"خلاقا لظروفها في استقلال الفتح الإنساني بالعقل البين رغم أن سبق الحضارات المحترمة للإنسان يدعو إلى تعظيم شأن العاملين السباقين للخير أي أن مجرد الملاحظة لتجسيد قيم الإنسان العالمية والمثل الكونية يقنع باستحالة أو على اقل تقدير صعوبة الإتيان بالجديد أو الأحسن مما فعل وشيد حضارة غربية في عصرنا. وفي حديث النفس وكلام العقل الرشيد وحوار الروح الرشيق مع الذات الكريمة والقريحة الفلسفية تزاح العقبات بالرغم من تذمر النفس من إكراه محدث حتى بالخير والتعضيد لفرط استقلالها وقوة عزمها واعتدادها بذاتيتها وكبر عزمها المستقل غير أن هذا الإخطار الثانوي في حال الرضا العقلي والقبول النفسي ودونهما –حالة الاستقلال الأعتى بفضل العمق التحليلي- لا يضر والحقيقة أنه أولا نافلة وثانيا ييسره الوقت بعدم الاكتراث به تماما أو مرافقته بلطف الفلسفة وكمال العقل المتوكل عليه : فكما أنه شديد في الضغط والتوتر فهو حلو المذاق حالات الراحة والاطمئنان.

FOR AUTHOR USE ONLY

والعبرة بالاستقلال الكلي للإنسان لأنه يجد نفسه دوما دون غيرها وبها العمل وعليها التكلان كل التكلان. ليجد الحس الحضاري نفسه محضرة مهيأة ضد العفن السطحي دليل الضحالة والرداءة العميقتين إذ هما نتيجتا الفراغ الحضاري ممثلا في الوسخ الميداني فتحجر العقل وتكلس الروح يدعوان ضرورة إلى بلادة الحواس وانطماس الجسم في الأوحال المادية والمعنوية كي يبقى كل شيء على ما هو عليه ويصير الظلام عاديا بل ويستغرب النور والسداد في قبال الظلمة والشطط أفرادا وجماعات ودولا : والعكس بإعمال العقول وتنوير الأرواح بالفكر السليم.

ومما له ارتباط وثيق بالذكاء والحكمة والمقاصد استغلال المعلومات العادية الوصفية بمتعة المعرفة وتبديد الجهل وانقشاع الظلام وتفكك الضباب بغية ربط الأحداث ببعضها البعض لصالح استخراج العبر تاريخا وسياسة واجتماعا وغيرها فمبدأ "شمول الرؤية" مطبق في التخصصات العلمية والفنية وترابطها ضرورة من جهة ومنفذ كذلك في تناسق الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية وغيرها من جهة أخرى. فالتاريخ والجغرافيا والثقافة العامة يوفر التاريخ للمطلع الزمن الموقع له سردا وقتيا في عقله وربطه للأحداث القديمة لاستخراج العبرة كما تزوده الجغرافيا بالمكان رؤية واضحة مجلية للتسلسل التاريخي أيضا مع الصورة الشمسية للتموقع المكاني في بوتقة الثقافة العامة المزيدة للمعولمات والموسعة للمعطيات مضفية نور الوضوح عليها في العقل للتحليل وهو المراد حقا والغاية من كل جمع للمادة العلمية من أجل استنباط حكم واستخراج عبر من خلال الزمان والمكان بفضل النقد الرفيع للعيان.

ولا تحرج من إلقاء الأفكار البسيطة في المحافل والحوارات العادية ولو بلا خلق جديد لأنه تلقيح للفكر وتبادل للخبرات حتى لو كانت ساذجة في العقل الكبير وهي تحقيق التواصل الإنساني في المجتمع البشري لا للإقناع بالضرورة بل للطرح والتبادل والتحاور بين البشر كتنمية ثقافية وتعليم بشري محل للوئام على الأقل في الفكر والثقافة بحرية العرض وسعة الصدر. فطلب العلا الأصالية ربما شكل عائقا في طريق الفيلسوف الخلاق الذي يحول من خلاله وفيه توجيه الهمم للقضايا الإنسانية الواسعة وتحرير الطاقات البشرية في دولة الإنسان بلا حد سوى البرهان والعقل والبيان. فإعطاء الوقت للذات الفريدة وتزويد الروح الغالية الراقية بالأناة تحقيق للأحداث بروية وثبات وحثاثة وكتابة للخلود التدويني والواقعي بيقين الاستمرار وتمام المواظبة وقوة النفوذ، قمين بالولوج إلى فضاءات التجديد والتعمق والخلق الأسمى والابتكار الأسنى.

عودا على بدء بحتمية احترام مبدأ كرامة الإنسان في الدولة على وجه التمام والكمال وفي الدول الأخرى بلا تدخل سافر في حكمها وهما شقا تعامل دولة الإنسان مع غيرها بتقرير الحقوق الإنسانية لكل فرد فيها مع مراعاة الأوضاع الداخلية للدول العالمية في حفظها للإنسان وصونها لكرامته : وخير مثال على ذلك بيع الأسلحة مثلا لدول قمعية فالأولى هو رعاية المصلحة الوطنية التجارية أولا وآخرا توازيا مع الضغط المباشر وغير المباشر لحماية أعراض الناس في كل مكان وحفظ حقوقهم والعناية بذواتهم ما أمكن وحسب الظروف حالة بحالة، تجنبا لكارثة خلقية وواقعية أدهى وهي كون رعاية الإنسان ذريعة لتلقد وظيفة الدركي العالمي كما لعبته الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث. ونقرب الوضع الأخلاقي بذكر مثال يخص قطع المعونات لدول استبدادية ثبت قمعها وتجاوزها وهو مختلف عن المثال الأول التجاري الواقعي من جهتين بائع ومشتر مقابل المثل الثاني مستفيد بحت من إعانات يمكن قطعها من الأصل. والأفضل هو تفادي التعامل مع كل مستبد وبأي وجه من الوجوه وهو منضو ومنطو في مثالية الغافلين عن طبيعة الإنسان وحال العالم البشري. وهذا ما يترجم في حضارة الإنسان ودلوة الإنسان بالاعتناء بصحة الإنسان الجسدية والنفسية والروحية والفكرية واجب الجميع لكن التعسف البيئوي أي على أيدي المدافعين عن البيئة مضر بالكل لأنه مدعاة للمثالية بطريقة مقنعة وبالتالي وجب وتعين على الحصيف نظرا وعملا الاهتمام بالفرد الإنسان خاصة باستغلال الطبيعة أحسن استغلال دون عقد تؤدي إلى قلب المسألة رأسا على عقب لجعل الأولوية للبيئة على حساب الإنسان المالك لها المعبر عن قوانينها المعبد لسبلها نعم بعقلانية الاعتدال بلا عقد وبتدرج العارفين للفكر والميدان في انتظار حلول مقنعة جذرية لا تتأتى إلا شيئا فشيئا.

FOR AUTHOR USE ONLY

ولا يفوتنا في مبحثنا هذا التركيز على مصدر الأفكار باعتبارنا فطرية العلوم والقضايا الكلية يقين عندنا عقليا لعدمية اعتماد العقل الكريم على خارجه للتفلسف وأخذ المعلومات الأساسية لتحليلها ونقدها غير أن قبول اكتسابية العلوم والمعارف لا يضيلر المرء شيئا سوى في حدود وفرق افتقار الإنسان للخارج وإلا فالهدف واحد في وصول الإنسان بعقله الاستقلالي السديد إلى اكتشاف المعلومات الكلية بل خلقها خلقا. لأن العقل الكريم ليس أداة فحسب للفهم العام والخاص بل هو منبع المنابع ومصدر المصادر ومرجع المراجع للخلق المعلوماتي والاختراع الإبداعي وهو قوة قادرة على التعقل الإنساني –عكس البهائم والجمادات- على تفاوت بين العالمين طبيعة ومنحة ربانية بالاستحقاق في مكانه كما أنه مترعرع في الدرس والمراس دوام الصقل للنمو. كما نعتقد خلود الكليات زمانا ومكانا لأنها قوانين متعلقة بالمجردات والفكر دون الموجودات الطبيعية المجسدة (والروح أشرفها تجريدا وتكريما).

كل المعارف نظريها وتطبيقيها مغروس في الفطرة البشرية العامة بفضل العقل الواسع والقريحة البشرية الرحبة لكن استخراجها واستغلالها يحتاج إلى وقت ويتطلب جهدا كبيرا ومكثفا نظيرا وعمليا خصوصا بسبب تعدد مشاغل البشر في دنيا البلاء و(وجود) الهموم بلا حد، مما يجعل إذن الاطلاع على آراء الغير بتفاوت درجاتها ثانويا غير أنه ضروري من جهة الراحة وحسن الجمع وجودة الإحاطة العلمية شريطة تغليب الإبداع الشخصي وترك الأولوية وإعطائها للخلق المستقل للفرد قبل أو بعد التعاطي مع المعلومات هنا وهناك فذلك شعار الفلسفة وعنوان الفن والعلم الحقيقيين. هذا، وتمر بالمرء أحيان يكره فيها ما قيل ولو من أعظم أسس العلم وأساطين الفلسفة والمعرفة لاتصاله الاستقلالي بلا عد ولا نهاية بالإبداع الفردي حتى الإفراط الحسن المحمود لأنه ربثما يعود لينصف الجميع محيطا بآرائهم أحسن منهم -ولا إفراط- لا ليرجح بل ليقرر رأيه ويؤكد علمه ويشرح موقفه فهو المرجع حقا وبحق وهو المصدر يقينا ولا ريب ... لأن هذا الإحساس في حقيقته عاطفي نفسي متولد من نشاط عقلي حاد وناتج من توقد قريحي بالغ بليغ يضفي عليه العقل الرشيد كل محاسن الراحة وجميع مكاسب الدعة الفكرية والروحية والنفسية.

ومن ركائز العقل الجديد أيضا ارتكازه على تعدد الشرح وتوسيع التفصيل أسبابا أولى ومآلات أخيرة وذلك جلي في عدم رضاه المقدس عن الاكتفاء بالراحة النفسية والعقلية ببعض المبادئ بل يتطلع قدما إلى غيرها نورا وأكبر منها إقناعا في علاه تحت خير الركن الركين المؤصل المتمثل في تنوع الشروحات وتعدد التبيينات للقضية الواحدة بلا نهائية العقل البين والنور الطبيعي الشريف. فالمسألة ليست فحسب نفسية ذات راحة روحية ولا عقلية بل هي تطلع للأفضل عقلا ببيانه وفلسفة برزقها وفطرة برحمتها قوة نفوذ وعمق تحليل وكثرة فضل بغزارة.

FOR AUTHOR USE ONLY

وما بد للباحث النشط الموسوعي من الرواح والجيئة بين التأصيل الخلقي والاحتكاك العادي في الملتقيات والمؤتمرات وتبيين ثمراتها في هاته وتلك، فعزلة تفكيرية للتوظيف في الحياة الفكرية الأكاديمية والتبليغية للجمهور المهتم وهو لم للشمل الذهني وتشغيل له في آنه وحينه مع الآخرين كهدف تواصلي لا مقنع بمعنى باحث عن الإقناع بل طارح للفكر بوضوح على الناس في حرية الاعتناق للفكرة أو رفضها أو النقاش البناء المتسائل. بسبب صعوبة وربما استحالة تكوين الإنسان في العالم المتخلف ذي الذهنية العقيمة سوى بعمل متواصل وأناة كبيرة عاقلة ونفسية حديدية لتوغل الفساد في الأنفس من جانب وعسر تغيير الذهنيات حتى على أعظم الناس صلابة فهذا البشر من جانب آخر. فعند اللحظات الحرجة وفي الساعات الشديدة يصعب اليسير وتسود الآفاق وما حياة العلم المتخلف إلا من تلك الشدائد وهو أعتاها مما يوقع الحصيف المصلح في حرج وعنت لبعد الفارق بين ما هو موجود وما كان من المفروض أن يكون إنسانيا حضاريا. فالاستثمار كله في الإنسان والفكي جميعه في تحديد آلياته وسبل تحقيقه.

على أننا نرفع من قيمة العمل الفردي أساس الإبداع العلمي والأكاديمي بلا نفي للاحتكاك الجماعي في محله وبمقداره فقط الذي لا يتجاوزه إلى غيره بعدا عن الشتات الفكري والتنسيق بين مختلف الأمزجة والقناعات ليترك للمرء الحر طرح فكره بسلام وأناة وكلية غير مكترث بالرؤى الأخرى إلا في نقدها البناء من أجل التطور والتطوير الحضاريين. فتلقيح الأفكار هنا وهناك لا مندوحة عن تقرير فائدته نفسيا وعقليا تحقيقا للذات مع الناس والزملاء والجمهور وتصحيحا للمسار الفكري بطرح الخطأ وتوطيدا لعرى مبادئه السديدة. هذا، والفريد العبقري لا يلزم نفسه بتاتا بإطار عمل لا أكاديمي ولا اجتماعي بل يعمل جاهدا للخلق الفردي وللإبداع الفكري في حركة تفاعلية مع المختصين والعامة إذا سنحت الفرصة الاحتكاكية بلا قيد ولا تضييق. وتدرج في هذا السياق المقالات العادية في انتظار التأصيلية أو برفضها حتى سنوح فرصة الفيلسوف المختارة قانون عقلي وعملي نافع كثير الفوائد لاحتفاظه بالقوى الإنسانية وترفقه بالنفس البشرية خاصة التواقة والقريحة الوثابة من أجل استغلالها في التأصيل البديع والأصالة الإنتاجية بما تستدعيه من وقت كبير وجهد عميم وعمل عظيم في أناة متواصلة بل متنامية وتكبر على الصعاب جليل خلاق. وإلا كان عمل المبدع جحيما في نفسه وفي تعامله واتصاله بالواقع الإنساني الذي لا يمكن للحصيف الانسلاخ منه ولو نظريا بل التوسط الاحتكاكي والانعزال الإبداعي يتزاوجان في سرير الخلق والإبداع علما وفنا وميدانا. وتنويع المقالات والشهادات مبدئيا رائع بلا تقنين وهو دليل قوة المبدع بتغيير عنوان المقال أو لا وكذا في الشهادة ما دامت المناقشة قائمة.

.

FOR AUTHOR USE ONLY

في تعدد الأشواق البشرية وحب اللذائذ الإنسانية يجب الاعتناء بالجهة عقلا وشعورا في حينها : المنطق وتطبيقه على الأدب (1) روعة التعقل البشري (2) الانزعاج من غياب الشاعرية الأدبية ، مما يحفظ على الحقلين وللإحساسين واقعهما التنفيذي بلا تعارض إلا ظاهرا فعلا لتأزم الشعور حين التنطيق ونفي التأسيس من أصله أو جزئيا إرجائيا (بد حين ووقت) في حالة الاستمتاع والتلذذ الشعري الأدبي ومثيله يقال تماما في العلم والفن بتعريفهما الكلاسيكي معيارا للمعرفة بموضوعية وحرية للفن بذاتية. غير أن العقل المستقل الرشيد يحيل إلى التقعيد في المعرفة وهو عادي وفي الفنون كذلك لخضوعها عند التحليل الدقيق الفريد على صعوبته –وهو عند البعض لا لدينا مستحيل- إلى مقاييس تين فيها الجمال غير تاركة له في حيز الشعور والذاتية والإحساس الفردي. والقضية هنا هي الفصل بين الميدانين اعلمي التنظيمي والفني التحريري، وشبهه الروحاني والعقلي أو العرفاني والفلسفي والصوفي والتفسيري والمجمل والتفصيلي.

ونذكر بركيزة الوجود الإنساني ألا وهي تعدد الكشف الكوني لاتساعه نعم لكن هناك أيضا أرضنا ولم نطلع عليها على عكس النفس والروح والعقل وهي فينا وجوهرنا لكننا لم نطلع على اسرارها حتى الآن منذ ولادة الفلسفة الرشيق خاصة في اليونان. حيث تتحادث الميادين إنسانها وصلبها تقنيها للراحة والاستجمام بعد شعور الضغط والخلط والتشابك وهو عادي في تدرج المعرفة وتعمق الحكمة لاكتساب الحقيقة والزواج بها ونكاح أنوارها وفض بكارة برها ونفعها. ولا ربط للتقوى الفلسفية بالقوانين الكونية وهم بالغرم من أن النظام الكلي واحد نعم بين النفس وقوانينها والكون وسننه لكنها مستقلة عن بعضها لذا فاحوادث الطبيعية ليست عقابا غيبيا بل نواميس طبيعية متحققة باسقلال عن العمل افنساني وتبعاته تماما أما السنن الاجتماعية البشرية من قيم عالمية وعدل وحسنى وحرية على راسها تقعد للنتائج افنسانية في النفس والمجتمع كما أن التعلق بالعلوم الكونية بالضرورة الفضولية البشرية مسعد غاية البشر للروح والنفس الإنسانية بالعقل البشري الفريد (فانفصال وعلاقة) لصالح العلم ضد الشعوذة ولفائدة المدنية والشهودية قبال التزمتية والغبية. ونثبت كذلك أن جنبي البحث الاستقلالي تدرجا من جهة، والتقليد التحرري حسب القدرات من جهة أخرى، يتماشيان جنبا إلى جنب مع سعة العقيدة الإنسانية لا الدينية، بالرغم من أن تجمع الضغط مرة واحدة ودفعة واحدة وبالتدرج كذلك يصب في انسداد فاتح وانكماش موسع بعد وقت معين يرهق الذات والنفس ويتعب الأعصاب ويكره في الحياة وتظلم به الدنيا بمجالاتها.

FOR AUTHOR USE ONLY

وفي التاريخ العلمي الإنساني يلتقط كراهية الإغريق للتقريب وحهم للضبط الرياضي وغيره حقيقة لارتباط هذا الشعور بالعقل التجريدي مع احتفاظنا نحن بفعالية التقريب في العلوم التطبيقية الرياضية كعلم الحواسيب الإعلام الآلي وغيره دون الدوس على أصل الأصول وهو التدقيق الرياضي ما أمكن وهو بند الإطلاق في المبدأ والنسبية في التنفيذ على المستوى الإنساني (التصور المطلق والتصديق النسبي). بالإضافة إلى أن الوضوح أو السذاجة والسهولة تساهم في العلوم كفرضية بتاغورس وبرهنتها هندسيا (واضحة رسما لكن الاستدلال موقن) : مثل جلاء نور الهندسة مع اقتضاء البرهنة وهنا بها توضيحا للمراد البديهي نظرا بتعريف الهندسة الخاضعة للنور العقلي المحلل بفضل الانسحاب المسلم بكيفية إقامة المساحة (التربيع) من خلال ضلع معين كما يمكن استعمال الهندسة التحليلية الديكارتية بالحساب الهندسي.

والنفس البشرية غوراء إذ بالرغم من تأكدنا من استقلال العقل المبين بفرديته وذاتيته الموضوعية في استقصاء المسائل وتقصي القضايا في السراء والضراء فهو يخاف كثيرا في أمنه ويتقي جدا في سلامه اقتسام ملكه مع الغير مهما كان عزيزا نعني الأحياء الأناسي باستثناء الوالدين والأهل زوجة وأولادا ونذكر تحت ولاء العقل المجيد الإله إن وجد ونعيب على الفلسفة المستقرة الرحيمة عاطفتها في تقاسم الفكر والشعور معه أو مع غيره مهما كانت الشروحات المقنعة التي لا يرضى بها النور الطبيعي العظيم مستقلا بذاته ومرتاحا بنفسه ؛ هذا، ولكل مقام مقال ولكل حدث حديث غير أننا لم نرتح سوى بطمأنينة الفلسفة الكريمة على ما عانى الذهن الجبار في استكمال فضائلها وسبر أغوارها فرحا لأنها سنة مقبولة عقلا نيرا وطبيعة الوجود –في انتظار التعليل السديد بإمرة النور الطبيعي العقل الرشيد- والجهد فيها محمود ومبارك والوقت فيها عادي تدرجا منتجا على الدوام والكمال والتمام ... 'فلكل امرئ من دهره ما تعودا *** وعادة العلام الخلاق البداع الطعن في الغبا". فكثيرا إن لم تكن دائما، ما تحدث انتفاضة الروح واستنكار العقل المجيد بقوة للباطل ومصادره المتنوعة شرا أشكالا وفحاوى في قالب غضبي شديد في الفكر والقول والعمل بلا إيذاء طبعا لأي أحد إلا دكا للشر ودوسا على الباطل وأهله في غمار هدوء النقد وسكينة التحليل والتنعم براحة التفكير على الدوام بوتيرة العقلاء الحكماء النافذين، فتلك الهزات الفكرية الفلسفية الذهنية العاطفية معالم في طريق الأهداف النبيلة وانعكاسات في الحقيقة لأنوار التجليات الرفيعة للفلسفة العليمة وللمعرفة الدقيقة الرحيمة وللطبيعة البشرية الحكيمة.

FOR AUTHOR USE ONLY

وقد سبق آنفا الإشادة باللذة الجسمية والروحية والعقلية والنفسية (روحا وجسدا) في الإنسان، لذا علم أن التنعم بالمال ضرورة نفسية ومهمة عقلية وتوازن اجتماعي للفرد وللجماعة بحيث تعمل حركة المال الكريم على تداوله بعدل وفضل بالملكية الخاصة المفيدة فطرة وعدلا لا إحسانا (فحسب) في دولة الإنسان للإنسان، بمعنى أن الفرد يتمتع برزقه وسعا في كل المجالات ولا إسراف أي لا رمي للمال على النوافذ أ منها كما يقال بل يتحقق بسرفه وإنفاقه على النفس والأهل خصوصا من باب الواجب المنوط بالمسؤول على من يعول طبيعة وفطرة وفلسفة موجهة، وعلى غيره صدقة بمعناها الواسع وهدية وهبة وغيرها من أبواب الخير والإحسان وإسداء الجميل، إذ يتجسد بهذه النفقة الواجبة خير للآخرين من خلال التعامل الاجتماعي أو التواصل الطبيعي في المجتمع علاقات متنوعة واحتياجات متبادلة، من جهة، وبتلك الرحمة الغامرة نافلة وكمالا التعاضد والتكافل والتعاون الاجتماعي على دوامه ورحابته، من جهة أخرى. فالمال وسيلة استمتاع وتواصل وإيصال للخير للغير بحركة رشيقة مفيدة بلا تعسف فكري ولا تكلف عملي في دولة الإنسان ومجتمع العمران والسعة والبرهان.

FOR AUTHOR USE ONLY

إن من ثوابت التعقل في التأليف العادي والفلسفي خصوصا مراعاة الجانب الكلي والرؤية الشمولية في تناول القضايا وتحليل المسائل أولا وقبل كل شيء ليتسنى للقارئ الكريم الاطلاع السلس والمطالعة الشيقة في الموضوع الواحد والقضية ذاتها، بالإضافة إلى منهج الإحالات إلى تآليف أخرى والإرجاع إلى مواضع في الكتاب ذاته أو في غيره من المصادر (للمؤلف نفسه طبعا)، وهكذا تصفو لنا طريقتان عامتان بفائدتهما في التعامل مع المواضيع شمولا وجزئيات كما يلي :

1/ التناول الكلي للقضية بمعالجة جميع جوانبها حتى الافتراضية –المفيدة لا المقيتة المميتة كالفقه الديني العقيم- منها إراحة للقارئ الكريم واستيفاء للمسألة وقتلا لدرسها أو إشباعها درسا في مكان وموضع واحد.

2/ الإحالة على أمكنة تأصيلية أو شرحية للنفس الموضوع في الكتاب عينه أو في أخر من مؤلفات العملاق.

أما من جهة الغزارة النوعية والكثافة العلمية للمادة المدروسة والمحللة مقابل الشرح والبسط حسب الحالات والمقامات فهاك أخي المطالع نوعيها ببساطة وعمق كبيرين :

1/ الزبدة العلمية الفلسفية والتعمق المعرفي تكثيفا للمادة العلمية وضما للعصارة الذهنية في كتاب أو كتب مؤصلة للعلوم جميعا وللتفكير البشري إبداعا وخلقا بصفة أخص وأدق وأوفى، مما يجعل إذن هاته المصادر مراجع للباحث خصوصا وكذا للمطلع العادي الفضولي إن أارد.

2/ الإسهاب الشرحي تبعا للسياقات المعرفية على وجه الخصوص ولغيرها من المقامات النفسية والاجتماعية أيضا قصد تعميم الفائدة وتنوير العقول بالرحمة الفطرية والتحرير الفلسفي.

ومن العجيب التحدث عن العقل المجيد والتنويه بدوره دون التوغل في أنواره والاستفادة من بركاته وهو كمن يمدح العلم وغيره من الفضائل وهو بعيد ناء عنه وعنها بعد المشارق عن المغارب، والفرق لا شك كامن في حقيقة اليقين بالمبدأ –العقلي الفلسفي- وعمق الكلام عنه تعليقا وخاصة خلقا وإبداعا. فلا يفرض المرء الفيلسوف الحكيم رأيه لا على الغير بل للغير بالصراحة أجمعها لكنه في الحين ذاته يجمع الكل دون ديماغوجية ولا نفاق ولا سطحية بل بتوازن المصالح وفتحا للمدارك وتوسيعا للمسالك، وهذا علم غزير وتحقيق كبير مع فتح بليغ وتكثير للطاقات والمنافع عميم. وباستعمال أنوار العقل الفريد في الفطرة السليمة، في مشوار البحث عن الحقيقة والتنقيب عن النور بموضوعية طبعا وغيرها ولو بهوى وتعصب وانحراف، سيصل المرء حتما إلى طريق الرشد لكن ليس دوما لذا نجد استثناءات كثيرة تتعلق خاصة بالظروف الاجتماعية الوسطية المحيطية بالإنسان ابتداء من العائلة بما فيها النفس وميولاتها وتفاعلاتها وإحساساتها المختلفة المتناقضة وتعطشاتها المتنوعة إلى جانب فطرة الفضول البشري للفهم والفقه العميقين على الأقل نظر، وهذا الاستثناءات تتمثل أساسا في (1) الوصول إلى الباطل والوهم والخطأ وهي "الحقيقة الشخصية" بما أوتي الباحث في إطار إمكاناته كلها من قوة نفسية وسيما عقلية وهذا نتيجة موضوعية أي بأسلوب علمي ما أمكن لم يوفق في هدفه ولم يصب مرماه وهو محمود على طول الخط لنور جهده وقيمة عقله وفضل تساؤله وتنقيره.

أما الاتجاه الثاني (2) فهو المجسد للمواظبة الحقة والعمل الحثيث تجاه الضوء والأنوار لكن ينقطع الطريق به دون تحقيق المراد فيبقى شاكا مترددا متحيرا بلا يقين في خطأ ولا في صواب وهم اللاأدريون المشكورون فطرة وعقلا وشرعا قرآنيا. غير اننا نثبت في وسع منهجنا أصنافا اخرى لا تعذر فحسب فهذا مدعاة للذم والتخطئة للغفران بعد ذلك بل هم أهل الخير والبر والصلاح لاعتلائهم عرش النقد إعلائهم صرح التساؤل والتحرير وتشييدهم قصور التحقيق، وشرط كل ذلك الأساس هو الموضوعية والفلسفة الفطرية أو الفطرة الفلسفية (بدءا وتوسيعا) ؛ وهؤلاء العقلاء حقا بالمعنى الفسلفي الفطري القرآني سيوطدون لمسلك الرشاد الحر المحرر التحريري المرتبط تماما بتعليل الأسباب الأولى بتنويع القضايا والاستدلالات لا الفرعية بل المبدئية التأصليلية كمسألة السببية والنظم والإحكام لإثبات الحقيقة بأوجه تقعيدية كثر تمهد لإيمان بها

FOR AUTHOR USE ONLY

أصيل واعتناق لها وطيد وفكر فيها عميق كما أن النتائج الآخرة أو الغايات النهائية هي سبيل الفيلسوف المتين عقلا ونفسا وروحا لما لها من اتصال مباشر بنظيراتها الأسباب الأولى في التقاء كامل متكامل بين السبب والغاية بين العلة والحكمة منها بين المخرج والمكرم.

ونرمق بأعين البصيرة رفض الأمر خطأ كان أو صوابا لأول وهلة وبادئ الرأي بعد الاستماع إليه عند المنصف وربما دون اطلاع عند المجحف وهي بشرية المرء، إما فكريا أو نفسيا من الأشخاص وله صلة وثيقة لكن مختلفة بالتحدث مع الكتاب في رفض للفكرة نفسا وفكرا من جهة، أو لا الخوف بل الملل من تكرار التجارب المجهدة في النقد وبه وفي التحليل وفي ظلاله من جهة أخرى. وهو تفسير لازدواجية الإحساس والطلب في القرآن من استقلال تام إلى ارتباط وثيق ملتحد وهو نتاج عدم الحصول على المطلوب والظفر بالمراد. ونردف لهذا إرادة الفكر البحت براحة السكون والعزلة مقابل الحركة الدائمة الحياتية اليومية في تغير حالات الإنسان ومحبته للعادة والانغماس في القضايا خاصة في نفوس القوباء العرفاء. وبقتل الشهة درسا أكثر ممن يعتقد بها للرد عليه في مقام الاقتناع وإلا فلا أو حتى الالتزام بها، يتم للمرء الناضج انفتاح **الثقب الأبيض** بإحاطته من الأمام والخلف واليمين والشمال في نظرية المعرفة وتبرير مبادئها بلا نهاية وخاصة في علم النفس وما تعلق بالعاطفة وتوجيهها والتحكم فيها. ومن الجدير في العقل الجبار تعديد طرق التعامل مع الأحداث وتنويع سبل التخلص من الأوهام ولا نور عدا نور العقل القويم، وكذا فصل الحالات نفسيا وعقليا (1) من روحانية وإشراق ونقد دقيق وقاد واتساع فتاق على أنوار العقل الشريف حاضر حضور الروح وفعاليتها بل هو الجوهر والخلاق في الكل على الاستمرار (2) التهميش النفسي والعقلي والروحي تنفيس عن النفس الكريمة وفتح للعقل الكبير وزرع للكرمة السلامية التسالمية مع الإنسان خاصة والكون والوجود (3) النسبية رحمة لدية في عمق المبادئ الكبيرة في الروح العالية وهي بفضل القيم الإنسانية الكونية أمن التعامل مع الأفكار في خدمة الإنسان وحماية حماه والذود عن البشرية في رقيها وروعة معدنها وعظم هدفها منها ولها (4) وكذا العلاقة بين الدنيا المقيمة والآخرة بالخلود في الأولى دون الأخرى وبهما معا بالأولى ؟؟

وهذا الحس البراماتي الذكي معاملة للواقع امتداد لقيمة الفكر والذهن وأوليتهما وسبقهما وفضلهما في التواصل مع الوجود أجمع (2) وهو في التعامل مع النصوص كلها فتح الفتوح ومفتح المفاتح وفصل الخطاب (مبادئ العقل الشريف كونا ونصا للفهم الوصولي الموضوعي للحقيقة الواقعية (إن وجدت واعترف بها فالعقل أولى بها يقينا) الدائمة غير المتغيرة). ذلك أن التنوع والتنويع في كل شيء مبدأ كوني غلى غرار الحركة أصل أصيل ومطلب عقلي ونفسي مربح.

FOR AUTHOR USE ONLY

إلا أن الحقائق واحدة لا تتبدل ولا تتغير بوسع وسلاسة وسهولة لا توصف، كمبدأ **(1) الأفضل** الذي يحكم وينير كل شيء في الوجود وفي العقل البشري الأجل، و(2) **اليسر الميسر والميسر** وعدم التكلف في الأحكام العقلية والتطبيق العملي أي بروح واسعة دوما إلى ما هو أوسع وأرحب، واتخاذ مبدأ (3) **النفع والابتعاد عن الضرر** منهجا خالدا يؤطر حركة العقل والحياة، و(4) **الإقناع العقلي** ثم النفسي –نتيجته- هو الأساس في كل تفكير وفكرة، برئاسة (5) **الحرية** في الاختيار والعمل والفكر وقبول الأفكار والمبادئ أو رفضها عن طريق العقل دون أدنى إخافة أ تهديد أو إكراه أو قسر، و(6) **المحبة والحب** كأساس كل عمل وتفكير أي محبة المبدإ هي الأصل الأصيل لكل خير ولكل نجاح. الخير لذاته أصل الأعمال والأفكار مع العلم أن الفطرة تدعو دوما إلى مراعاة أو البحث عن الأفضل والأنفع من خلال عمل الصالح اللامتناهي في سبيل الإنسان وحده، وخاصة أن (7) **الإنسانية جسد واحد وروح واحدة** تمثلا لحب الإنسان مهما كان والأخذ بيده وكره الشر لا نبذه هو فهو الملك حقا والهدف هو تشجيعه على الخير والتفكير والاكتشاف دواما.

ومن الرفق بالنفس الشريفة الجموحة التي لا تقبل القديم، العبور على الأفكار القديمة كما يمر على الأطلال لينظر في آفاق أخرى أوسع هي غاية البشرية الكريمة في ساحات المطلق بالإنسان وللإنسان الرحمة الوجودية بفكره وقلبه في نور فطرته وتوسيعها الفلسفي بالتدرج، وهذه الطريقة تكسب المرء الحصيف المبدع في سماءات خلقه وتحرره للتحرير في الحرية الحرة، راحة نفسية في ضوء نقده اللاذع للفكر مهما كان مصدره لا ربانيا فقط بل بالأولى الرباني كمصدر للخلق أو ككلمة ثابتة أو لا حسب ما يمليه النور الطبيعي العزيز في اختياره وتنويره بلا حد : وهي قاعدة الرقي السليم بثبات الفكرة وعمق القدم ورسوخ الذهن بناء للمستقبل خصوصا في مشارق الروح التواقة والعقل الجبار كما يفعل تماما بالروح في عليائها تعليقا لها بالمادة الرحيمة ولذاتها السديدة.

وهذا السبيل يجب لتحرير العقل البشري من سلطة المؤلف أيا كان منبعه ربانيا خاصة –حين ثبوته اليقيني- أو إنسانيا في نقد ولصالح العقل القويم بفطرته المحبة للحرية المزيلة لقيود العقد والتقليد والتراكمات السلبية هنا وهناك ضد نور العقل الرشيد وبركات الفطرة السليمة وهو في الحقيقة دربة مطلوبة لا محمودة فحسب أي أن المراد هو نفي الأشخاص –على رفعة البعض- لأن المهم هو الفكرة المطروقة والبحث المطروح والإبداع الجديد شكلا أو خاصة معنى وفحوى لقلب ركام الأوهام المتعبة وتشييد صرح الأفكار المحررة البناء للحضارة البشرية في تقدمها المتواصل نحو الأفضل.

FOR AUTHOR USE ONLY

ذلك هو مطلب العقل الأرشد في الفطرة الأسد ليس غيره. ليترجم على وجه اليقين عمق الفكر ونوره النظري والعملي في التنوير الفردي والجماعي بما لهما من علاقة وطيدة حميمية في بناء الدولة الإنسانية غير أن العمالقة هم وحدهم المؤثرون التاركون دويا في آفاق المعرفة الحقيقية بالنقد البناء المؤسس على الحرية والتحرير الجذري لا التجميلي ولا الترقيعي لذا تجد مرور الكثير من المثقفين المحترمين وأشباههم على مر العصور المتخلفة بلا آثر واضح في المخاطبين لا فقط لعدم اكتراث المرسل إليه بالفكرة والمعني بالخطاب التنويري بل لسطحية الكتاب والمفكرين بدرجات متفاوتة في الكفاءة والتعمق : فكما أن المفكر المثقف مطالب بالعمق الفكري والنقد الحر والتحليل الشمولي لرسم خطوط النجاة الحضارية في درن التخلف والركود الممنهجين فرديا ومجتمعيا ومؤسساتيا –من الدولة- فكذلك الجمهور المتأثر فطرة حيال الخطاب الواعي الموعي مدعو للقيام بالخطوة الأولى في طريق التقدم والرقي بالإنسان ومن أجله من خلال توفير الجو الفكري المناسب لطرح القضايا وعرض المسائل بلا نكير عقدي ولا قومي ولا عرقي ولا سواها لانتفاع العالم بخير العقل السديد والتمتع بالفطرة السليمة وثمارها في مسرح الوجود البشري بلا استثناء لا لشيء إلا لتجسيد الحرية وتثبيت تقرير الخير في أرض وكون الإنسان.

FOR AUTHOR USE ONLY

ولا جرم أن العقل المدقق يستشف تغير حالات النفس في احترام توجهات العقل المبين حقيقة إنسانية تتعب المفكر النحرير في رحلته البحثية عن النور المستقر في مدارج الرحمة العقلية والفسحة الروحية حيث أن تنوع الشعور بل تناقضه بين الحين والحين طبقا للظروف النفسية والحدة العقلية لكل فكر بميولاته وتكوينه وفضوله المؤكد لكن بدرجات الغزارة الإبداعية والخلق الإشراقي أو ببساطة العرض للفكرة فقط : حل هذا الإشكال يتمثل في انتظار انقشاع الغيم الغضبي وانبساط النفس تحت الرفق العقلي وبأمره كي لا ترتج الذات بعد حين أو لا حقا بل تحافظ على استقرارها دواما في موضوعية الفحص وعقلانية الطرح ووسع التنقيب وباحة النقد الرحيم. إن هذا الإحساس قرين التأكد من وجود الظلمة والنور بصفة عامة غير أن نتاج الغضب العلمي والحزن الثقافي أمر مخالف من حيث مصدره العالي ومنبعه الروحي السامي ومبعثه العلمي الموضوعي الساني من جهة وحيال نتائجه المنبعثة من قوة النقد وأصالة التأسيس وأصلية التحليل الدقيق من جهة أخرى.

وهذه الطريقة معينة أيما إعانة على سهولة التنقل بين الحالات والمناوبة بين الأحاسيس على تناقضها وتنافرها حتى تتلاشى وتندثر لصالح الصفاء العقلي والسكينة الروحية والطمأنينة النفسية بهدف الكشف البين بالعقل القيم للإنسان الكريم. ومن خير المفكرين الكرام حلمهم بالجاهلين وعدم رمي الناس بالكريهة بل هم المعرضون دوما لأغراض الزمن على يد العقماء من فقهاء ومدعين باسم الدين والتعصب والدفاع عن الله إذ لا يعمل المفكر إلا على إعلاء الأفضل في كل الناس واستخراج المواهب بالرفق الفطري والتدرج الفلسفي للفهم بالروية شمولا وسوية بخلاف الظلمة المستبدين بالإيديولوجيا بأسماء عدة لا معنى لها بل هي فارغة مفرغة من محتواها ليعبدوا طرق الضلال الذهني بعقم الإغلاق الفقهي الكشفي (إغلاق أبواب رحمة الفهم وتيسير الفكر بنفي السؤال المحرر) ممدا بذلك ينابيع الجهل المادي في التطبيق الواقعي بأيدي الظالمين الديكتاتوريين في السياسة منذ السقيفة في الإسلام وغيرها في تاريخ البشر والأنام على مر السنين والأيام : هذا هو اتحاد الظلم الفكري والجهل المؤسس من جانب والاستبداد السياسي والحيف الواقعي في مجتمع الإنسان من جانب آخر.

FOR AUTHOR USE ONLY

فإذا حضر العقل الموضوعي يقيا في الكليات يهامش الخطأ في الجزئيات غاب الانغلاق الإيديولوجي أي عدم فتح باب النقاش و/أو رفض الرأي الآخر ونبزه بألقاب السوء ورميه بالأحكام القيمية حاجز عن المعرفة الحقة وعائق عن العلم الدقيق الذي لا يتأتى إلا بالتأصيل الجذري عبر البحث الأساسي عن المعلومة من مصدرها البدئي خاصة في قضايا التأريخ وكل ما يتعلق بالماضي المتداول على مر السنين سلفا إلى خلف وصاغرا عن كابر شفويا وهو ليس بتاريخ البتة ولا بعلم في شيء سوى التواتر العزيز مطلبه سوى في الخطوط العريضة دون التفاصيل كرواية الأخبار والكتب عن ظهر قلب بلا خطأ ولا وهم ولا نسيان فليس له مصداق فيها بتاتا بيقين العقل الشريف، وكتابيا وهو التاريخ عينا الذي يتطلب حقله دراسة التحقيق للمخطوطات بشروطها الميسرة للبشر مما يطمأن إليه عادة وعقلا (وهو محال لأن إمكانية تسرب الخطأ دوما واردة في العقل المحقق الموضوعي) إذن على الأقل عادة تريح المرء بما لديه من دلائل تزيح الشك وتقضي على الريب –فاليقين بالحفظ مائة بالمائة متعذر في أي نص كان أو على أقل تقدير فيما بأيدينا من وسائل تخص النصوص المحققة والمدروسة في النقد التاريخي الأصيل-. فلا يمكن للعاطفة تغطية ولو بحال من الأحوال الشمس وضيائها بل لا بد من تحقق حججي لما يدعى من آراء أو اقتناعات تاريخية أو فلسفية.

والتحرر يكفل لكل زمن أهله في اكتشافهم للمادة وهو بسيط طبعا أي مسلم به لدى الجميع –عدا الجهلة والمتقوقعين- على خلاف النصوص الدينية التي يحال فيها على الماضي السحيق في جميع الأديان وربما بدرجات إلا أن الأصولية المتحجرة ظاهرة ثابتة على مر العصور في خوفها من الجديد وتكلسها في وعلى القديم ومرجعيتها الآبائية في الفهم بالرغم من تقدم الزمن وتطور المعارف وانفتاح الآفاق بشتى الرحمات الإنسانية والمجتمعية والكونية لا لشيء إلا التثقيف والتأكد والاعتماد على النفس والعقل المبين المستقل السعيد ولا بشيء عدا العلم التحقيقي الذي قوامه الموضوعية الركينة في حرية الإنسان وتكريم العقل والجنان حقا بالإنسان وله في تحرير الفقه على كل المستويات بلا استثناء للعام والعامي للمؤمن والكافر لأنها قضايا لا تقنية كالطب والفيزياء وغيرها بل وجودية لا تخص أحدا حاشا الفرد نفسه ولا تعنى بشخص إلا المرء ذاته في حريته وتحرير فكره وإصلاح عمله القائم على الفهم الصحيح بالتنقيب العفيف كل حسب طاقته بالزيادة لا بالنقصان (نحو الأفضل بمراعاة الظروف واعتبار الملابسات لكل امرئ).

لهذا لا تناقض في بحث الإنسان الفنان عن المعاني الرشيدة من حيث حكمه عليها كالعلاقة مع الله ونقده وكرهه والتساؤل عن فعله خاصة بالإضافة إلى صفاته ونعوته وكل وا يتعلق به عند الاقتناع أو الشك في وجوده أصلا أي أن حركة الديناميكية نقدا وحرية فردية وتحريرا للغير وتحررا من القيود المميتة للقدرات وللإنسانية الخلاقة المقصد الأسمى المطلق في الكائنات هي ضرورة البحث ولازم التنقيب ورحمة الفحص برغم تعبها ونصبها وحيرتها إلى غاية الفسحة المعنوية العقلية لتكبير وتعظيم اللذات المادية بناء للحضارة وفهما للخلق. أما الحكم على الأشخاص فهو مقترن بتكوينهم العام وإن أمكن بإنتاجهم الخاص عند التدقيق ولا يخطأ في توصيفهم عموما إلا في تفاصيل لا تهم لكن التقييم العام في نظر الحصيف المتروي الذكي يقفز إلى ذهنه مباشرة من خلال الإلقاء الأول للأفكار بشكلها العرضي وبمضمونها وفحواها إن كان هنا ما يشبهه. ويزول مع الحرية المذكورة مع الإنسان والمطلق والكون خطر التسليم للحكمة الإلهية بما يقود إلى الجهالات في التفكير والعقر في التحليل والبوار في النظر والفعل على حد سواء.

ذلك أن مفتاح أبواب الجنان العقلية والروحية والنفسية ليس إلا انتقاد العقل القويم لكل حادثة وتحليل كل ظاهرة بالتدرج الفكري المبني على البحث العلمي المظهر للحقيقة بجميع جوانبها غير مخف لمظاهرها أبدا فما يكون غلقا بالإرجاء إلى الإرادة العليا كونا أو شرعا –خاصة تفكيك الخطاب أو التأكد من تاريخية النص الموحى ومدى صدقيته في النظر والميدان- يصير وهو من منبعه ومنذ الوهلة الأولى منطلق الخلق ومورد الإبداع وشتان بين الأمرين فالهوة بينهما سحيقة والحفرة هائلة والبون بين وبعيد.

FOR AUTHOR USE ONLY

وكنتيجة للحريات وأجوائها بنور الفلسفة يضرب عرض الحائط **بالخطيئة الأولى (الأسطورة)** ويعلي ضدها كرامة الإنسان وقدرة البشر على الخلق والإبداع على عكس استكانة الصوفية (وغيرهم على تفاوت) وتقليلهم وازدرائهم بالنفس البشرية والروح الإنسانية وهو كفر بواح في منطق العقل الرشيد. ومن مناهج الفلسفة الرشيقة تقسيم القضايا حسب أهميتها وتعايش الأحداث تحليلا أو دونه في أوانها لتؤجل المسائل الأخرى المرتبطة بكل واحدة منها (قضايا وأحداثا) إلى وقت لاحق مناسب كي لا تحرق الأعصاب سدى ولو في "خير" فتحي خلقي وفرج إبداعي لأن الحياة البشرية استمرار للتساؤلات والحلول ونقل لها إلى أرض الواقع وتمرير لها في الميدان وإليه دون انقطاع إلا التريث والأناة في الراحة والاستجمام الإنسانيين ؛ من ذلك الاستمتاع بالحرية والملاذ المعيشة الكريمة بلا بحث في جوهرها من أين أتت وما سببها على وجه الدقة وما هي في حقيقتها جورها وتعريفا شافيا كافيا جامعا مانعا. فالذهاب والإياب بين العزلة والمخالطة بأنواعهما اختيار المفكر العليم والخبير الفهيم بين الفكر والفعل، النظر والعمل، المثل والواقع. فالفيلسوف المفكر يعمل بأصل التصريح بالمبدأ وتقرير الاعتقاد في أي مسألة غير أن السلاسة مطلوبة ذكاء بالتدرج حتى الوصول إلى ضرورة الإبلاغ الاقتناعية لا مراوغة ولا تقية مزورة.

FOR AUTHOR USE ONLY

والميدان يقودنا إلى مجال الشغل والتشغيل، فلا حرج في تفاوت الأجور بين المالك والعاملين والموظفين شرط اعتماد كرامتهم المتماشية مع كل عصر وظروفه –زائد محاولة تحسين أجورهم وضمان الصحة والحقوق الإنسانية-. كما أن الميادين البيداغوجية تغاير غيرها من الميادين كالحرف والصناعات الأخرى ونعني به المعاملة للمسؤولين مع الموظفين أو المدارين لما توجيه هاته الأخيرة من احترام وتقدير (طب، إدارة، جيش، سياسة وغيرها) : فالعلاقة البيداغوجية بين المعلم الأستاذ المشرف وتلميذه وطالبه خاصة تسودها عموما روح الرحمة والنصح ولو تخللتها أحيانا كثيرة أو قليلة حالات حدة المهتم لفرض الاحترام كذلك بلا دوس على كرامة الإنسان المصونة ديمة.

نقرر مرة أخرى أن العقل المبين الفريد هو سمو على العرفان الصوفي والرقي الروحي بمراحل وليس العكس فلا تجلي في الحقيقة وعلى الحقيقة إلا لنور العقل البين ظاهرا وباطنا إحساسا وبلا إحساس فبالفطرة يتجلى الحقائق وبالعرفان الروحاني المتواجد فيه العقل القويم حتما تستثمر الدائرة الفطرية الطبيعية بلا تفسير مدقق وبالرقي العقل الفلسفي تستوفى الكمالات وتتعين الإجابات والتعليلات الشافية والغايات الكافية. ونقول مرتاحين كل شيء يمر بالعقل النير في بساطته وهو العظيم وفي عمقه وهو المبين بلا منازع، والقول بالكشف الروحي الفائق للعقل المهيمن ضرب من الجنون والخفة العقلية والممارساتية للروحانيات

على وسع معناها. والبحث عن الأصالة يكمن في تقرير المبادئ الأساسية ولو أن خلق الجديد منها صعب إلا في القرائح الرشيدة الفذة (وحد وحيد عملا على فرضه كثيرا نظرا) ثم الانطلاق في تنويع عرضها والتدليل عليها بالكثرة والتنوع والاستدلال العميق : فعادية مقررة لكن تحليل فريد أصيل (كالاستقلال العقلي عن كل شيء فكرا وفعلا + والمضي نحو الأفضل). فرحلة الإنسان العلمية ومسيرته الفلسفية شعر بها أم لم يشعر تتمثل في (1) كشف القواعد وتبني الأفكار أو الاقتناع بها استقلالا (2) وخلق الجديد منها على وعورته : كل هذا بعد (1) الاطلاع والجمع التراكمي للمعرفة (2) والتساؤل فيها السؤالي حولها (3) النقد لها بعد ترجيح بسيط أولي (4) التأكد من الصحة وتفنيد الخطأ (5) الإتيان بالخلق والإبداع بالاكتشاف الشخصي للمخبوء واستخراج المدفون. بخلاف نزعة التنميط والقوالب التابعة للآبائية التقليدية ورفض الجديد والخوف من الخلق المبدع بحيث يوضع الباحث والمفكر والإنسان في خانات تقض مضجعه العلمي وهي محاولة من الضعفاء لتقزيم عمل الكبار وهو ديدن التافهين في ضرب العظماء في صميم أفكارهم وما هو بقادرين إلا بالظاهر الملقى لهم طبيعة.

FOR AUTHOR USE ONLY

فمن لم يستطع قرع الحجة بالحجة اعتدى بالكلام واللسان وربما السنان حتى في عصرنا خاصة وأن مسلك التنميط سليل الآبائية ورفض الجدة للخوف من الإبداع بدافع جبني خائب تعوزه النزاهة ويبرز فيه العوى الذاتي متجليا في الخوف وغيره من سوءات النفس وسقطات القلوب التي لم يقومها العقل السديد للأسف. فمع هذا التحرير المفتوح على مصراعيه تطبيق **"الحزمة الفكرية"** و**"العصبة النقدية"** على المواضيع للإحاطة بجوانبها كلها سلبا وإيجابا بذكر التناقض والإحالة على التضاد لمحوهما في نطاقهما مرو للغليل بما يضفيه من نور عام ويحله من إشكالات بصورة شاملة وخاصة مجملة ومفصلة في أوانها بلا تعجل لأن الفكر الحقيقي مترابط في تناسقه ومتماسك في تناغم حلقاته لصالح لم الشمل العلمي على حساب الباطل التشتيتي للمعرفة والمواضيع هنا وهناك. وتنتج عنه بالتجربة بعد البرهان راحة نفسية واستراحة روحية ووضوح عقلي بعد التجلي السكيني بالطمأنينة الرؤيوية المستشرفة : وهو الكمال الفكري بالرؤية الشاملة والنقد المفصل من أجل الإجابة المعافية. لأن هذا الجو يتيح تحديد (1) شأن العقل كفطرة وموهبة طبيعية إنسانية (2) قوانين العقل الثابتة العالمية الخالدة (3) منتوجات العقل واشتغاله (النتائج) : وذلك من خلال طرح الأسئلة المناسبة العميقة الوجودية المتعلقة بالأسباب الأولى والغايات الأخيرة زواجا بالأجوبة الشافية الناعمة المبنية على الحرية كما كانت مولداتها السؤالية الأولى بمقاصدها النهائية ومنها : (1) ما هو أصل الوجود النعماء أم الضراء الخير أم الشر خاصة فيما تعلق بالأعمال ونتائجها على واقع المرء (2) لماذا الوجود أصلا بدل العدم ولها علاقة بسابقتها (3) هل لحرية الإنسان حدود (4) هذا تقرير لحق وواجب السب لمصدر

الشر ظاهرا وباطنا لإيجاد وغيره (5) استقلال الإنسان في نظره وعمله (محقق) (6) محاسبة الإنسان من قبل الغير أم تعلق البشر ببعضهم البعض لا غير كمتعايشين معا (7) إطلاق الحرية في الوجود لا للكشف والتمتع فهو جلي للعقلاء لكن للتعامل التشريعي (الثلاث المذمومة عدنا).

إذ لا وجود لما فوق العقل بتاتا كله دون العقل المهيمن المنير المبين وهو في حقيقته عذر لمن لم يستطع الاعتماد الكلي على نور العقلي الطبيعي والتوكل على استقلاله في كشف الخبايا والوصول للأغوار في القضايا (1) بنفي دور العقل تماما وهو جنون وخبل و/أو (2) تصغير وتنصيف دور العقل البين في إحقاق الحقائق استقلالا لضمه وبربطه بالغيب كدعامة ولو مع فهمها بالعقل المنير الذي لا غنى لأحد عنه لدى من رماه عر الحائط وقد عنى نفسه وإنسانيته وعند من نصف واجب العقل الفطري في النقد والتحليل والإيجاد والعثور على النور بنوره المستقل. فمن اعتبر العقل البين لا يخلو قراره الوفي للفطرة البشرية الملائمة المتماشية مع العقل الفريد من أمرين (1) الهيمنة التامة على لمسائل بظواهرها وبواطنها للظفر بالجواهر والأعراض معا بالتعمق الفكري والتوسيع التحليلي (2) بناء الفكر على شبح عقلي لا عقل منير واعتماد بيت من زجاج بادعاء التعميد العقلي له ولو كان ذلك فوق طاقة العقل كما يزعم أي أن هذا الرأي لا يرى حرجا البتة من الثقة بما وفق العقل المستقل ذاته فيه من أمور وحقائق كنصف أو دونه أو فوقه من جانب، والتعامي بلا بصر ولا يد عن غيره من الادعاءات مادام العقل البين ليصادق عليها بنوره، من جانب آخر. على أن الموقف الثاني أقل الضررين لكن العقل المستقل يرفض الجميع لانتقاص حقه والازدراء بنوره وهضمه دوره البين في عقول الكبار ولو عزوا وقلوا وندروا. وبالتالي فاللب الإنساني في ذاته هو الأساس وما المحطة الإلهية أو الجوهر وغيرها سوى أوهام دون نفي المتع المادية والمعنوية لكن المادية تقدر بقدرها على خلاف المعنوية السارة لأن دأب الحياة عكس القضايا والتنكب لصراط السواء.

FOR AUTHOR USE ONLY

وتعمل السنن وتتبع البركة يقينا، فمن الأفضل التؤدة في تقرير الأحكام العلمية بنقد سباق في الصغر ليتدرج المرء العليم بحكمة في جمع شعث العلم الغزير لحساب التناسق ضد التناقض الذاتي الذي يكثر عند من يتكلم بسرعة في كل شيء ثم يتبين له عواره بعد النقد، غير أن أساس تعديل الأحكام وتصحيح الاجتهادات لا غبار عليه إلا أن كثرة التسرع تفضي إلى عدم الارتياح للرأي الألج المتذبذب في نفس الفرد ذاته ناهيك عن المتلقين.

إن التفرقة بين حب الحياة شغفا وبهجة وبين الجشع فيها أصيل يبرزالبون العظيم بين الضفتين المتناقضتين، تتمة لعيش القضايا الروحية والأحداث النفسية كما جاءت بلا تفكير عند الفيلسوف النحرير لكثرة تأمله استراحة منه في تنويعه للذات وتعديده للمخارج والأجواء كما قررت مرارا عقلا نيرا وفلسفة رحيمة : تترتب المسائل من تلقاء نفسها تحت إمرة العقل الرشيد وأنوار الرحمة الطبيعية. مما يعبد طريق **موسوعة السباب (النقد الصريح الصراح)** التي لا بد فيها من التصريح الدقيق والصريح البليغ بأشواق الإنسان في سوئه أي استيائه في شدته معارضا للقدر ومناهضا للقضاء وسابا شتاما لمنبعه فطرة وفلسفة تحليلية وأدبا وصفيا إلى جانب لأنواع الأدب المعروفة من المأساة والملهاة وغيرها نثرا وشعرا. كما أن شعور الإملاء من الغيب أو غيره وهم في نفس الإنسان المستقل وإن تماهي الاثنان الاستقلال الفلسفي والخلق الفردي والعون فهو نافلة ليس إلا والعبرة بالعقل السديد والنقد الفريد. وتكتب وتحرر الموسوعات في الروح المبدعة والنفس الخلاقة والعقل الوثاب المنير باستقلال قبل تجسدها في ورق الناس وتخلد في صفحات الأسفار بروعة ووضوح وجلاء وجمال وإتقان وخير وحرية وتحرير ... بلا نهاية ... ضما للعلوم والفنون معا بلا تجاف ولا تناف البتة. إذ ترفع الموسيقى الروح كغيرها من الفنون الجميلة إلى قمم الملاحظة الحية والمعاينة للحقيقة المطلقة بلا خروج من الحياة وانحسار عنها بل توسيعا لها على ما فيها من شرور وأوساخ وقذارات : فهي رف ورقي وسمو للفكر وللروح شعورا وتصورا. إلى حين تبدد غرابة الطبيعة البشرية خاصة عند الشدة عبور الأوهام عليها من تعلق بالشكليات وحتى الشعوذات، فهذه حركة الغفوية والاستراحة الاستجمامية في تمييز بين البلادة الباردة والحيادية الإحساسية الشعورية الحركية. إلى جانب أن ضرب الأوهام الصغيرة لا شيء في نفس الفيلسوف العظيم إلا أنه يحطم لاحقا وعمقا أخر في المستقبل الفكري والواقعي فكأن الحقير يخدم الجليل في روح الكبير.

لا يعتد بسطحية الثقافة العامة على خطورتها ونور العمق التحليلي الفسلفي المستريح بالأولى وبغيرها تنويعا ضروريا : فكر الموسوعية، لأن جوهرية الفكرة الحاوية للمبدأ المولد للقانون تساوي عميق الاكتشاف، في رقي النقد العقلي المستقل للنص أيا كان بلا عاطفة ولا شعور تماما إلا الاهتمام بالفحوى توافقا و/أو تعارضا مع الأنوار العقلية والإشراقات الروحية وليدة الأولى برفعة وسكينة وترقية. ويمكن الاسترشاد –على استهجان المتعصبين لهذا البند- آراء الملحدين أي منكري الأديان نور في توضيح عوار المتن والتحقق من صحة النقل ودقة والحل ورفعة العقل.

FOR AUTHOR USE ONLY

فمن حق العقل وواجبه استنباط الحقائق واستقصاء الطرائق فقها وعمقا في شتى الميادين وهو واضح في غير الدين وفي هذا الأخير عندنا أبين في نقد النصوص وعدم الاكتفاء بالتسليم بل برفض التسليم الواقعي والفكري العملي والعقلي الفهمي لحساب حكمة طالما فوض إليها كل شيء دون استبانة أي شيء ولا شيء البتة. إذ تتعارض الموسوعية الإنسانية مع الانكفاء المحلي القاتل تعصبا ونتنا.

ويجدر بنا مدح اتزان الحكمة في الأفعال والأقوال كالبسملة وتقديس الماديات (الكعبة والمدينة ومكة وماء زمزم) بترك السجايا الفطرية والثقة في الطبيعة البشرية بلا حد ولا قيد من الاستعانة بالله في كل شيء (وما أحاديث "ذي بال" سوى تعظيم للاسم واستعماله لا غير لا حظر مهما كان حتى في المحرم تبركا باللقب الكريم) ؛ كما أن ابتذاله أمام الغير من استخدام مفرط لا يحبذ إلا في الفرد ذاته بينه وبين نفسه أو في محله مسجدا وشبهه {والتذكير به في الأماكن العمومية لا يجوز عقلا ولا شرعا اتقاء للملل والكلل الإنسانيين على أنهما في الحرمين مثلا وما يضاهيهما معقول محبذ لمناسبة المحل الأكرم بلا شنئان أبدا} : حكمة التحفظ حتى في العبادات والطاعات والمكرمات احتراما للطبيعة البشرية في سنن الحياة وقوام الأناة.

FOR AUTHOR USE ONLY

ومن فوائد الحكمة ودلائل النضج مع الحرية المقدسة أن يراعي الفيلسوف الشريف والمفكر الحق خطابه في صراحته الغائية والنهائية تجاه المخاطبين بالرسالة الفكرية كي تصل الفكرة ويتم المراد في أنفس جميع المتلقين للخطاب وحتى لا ينهك الخلاق جهوده في عراك التافهين أو معارضة المناهضين أو عناد الفارغين و/أو كذلك وحتى استهجان الجمهور للقول الجديد وللطفرة التجديدية غير المعتادة في جو العفن وساحات الطفولة الذهنية بما ألفوا من غلق للعقل واستبعاد للتحليل واستنكار للتنقيب في الأصول والجذور للقضايا كلها خاصة الدينية ومنها الداء العضال الذي أتى على الأخضر واليابس منذ القدم في الأديان جميعها إلا التي تخلصت بعد لأي من شراسة المخالب الآبائية وعقد الأنياب التسليمية لكل خطاب سماوي أو غيره عوضا لتمتع بنور العقل المحلل ولذة نكاح المجهول والجسارة على العلوم بفتق أغلاقها وكسر حواجز العدم التكراري والجهل الاجتراري : فإعلان منهج الفيلسوف المفكر المحرر لا محالة آت في أوانه بلا تعريض ولا تقية من جهة كما أن التحفظ في اللفظ طبقا للمتلقي في قانون التدرج الشافي من جهة أخرى حليفا النجاح والحفاظ على القوى العقلية وربح الوقت الثمين في حياة الاكتشاف العليم.

ولا تنأى الحكمة الحقة عن قيادة النخبة الحقيقية والفئة المبدعة للعالم والمجتمعات بنورها وتنويرها كتبا ومحاضرات ولقاءات خارجة عن نطاق الائتمان والوصاية الإدارية الرسمية في الدولة من اجل الاستقلال الذي يمثل رأس مال المفكر وملاذ الفيلسوف وقيمة العليم وجوهره الذي لا يساوم عليه بوجه من الوجوه، لذا حتما لا ثورة حقيقة بالنجاح والاستمرار بأهدافه تجنا للسرقة الانتهازية من قبل المجرمين والسفهة غير تلك المبنية على الفكر المستنير المنير على قدر الإمكان لإقامة صرح مشيد معزز القواعد والقوائم بالتفكر والتعقل قصد الفكر والعقل المنتجين والخلق الإبداعي المؤصل في الصغير والكبير بتوسيع دائرة الحرية فردها وجماعها لإقرار روح الإنسان وإعلاء قيمة المرء والبيان.

ليكون ذلك التوطيد الفكري بالقيادة الرشيدة في حضارة الإنسان ودولته على ايدي المقتدرين النزهاء الأكفاء فتاحا لإرادة تبيين الفضل البشري في الإعمار الكوني والتزكية النفسية والتحرير العقلي بالفطرة القويمة والعقل القيوم من أجل استمرارية التنوير وتوسيع القدر الإنساني بالإنسان وله ومنه وإليه حلا للعقد وتجسيدا للمدد وتكثيرا للعُدد مادة ومعنى روحا خصوصا وشكلا وصورة في نور الوسع والحرية والكرامة السيادية الإنسانية بلا حد ولا عد. ففي الرقي العقلي والتقدم الفكري تبدو أجمل القضايا بنورها وأفضل المسائل بخيرها باهتة الضوء أمام علياء القيم الكبرى الحكمية المورقة بظلالها الإشراقية على سماء السؤاءلات والحلول الذهنية بتجلياتها الميدانية مضفية عليها بركة الوسع ومتفضلة عليها بعموم النعم الروحية العميقة بالفقه السديد والتعمق الرقيق والمتانة الحصينة بذكاء التحليل وتنويع التأصيل حتى تصبح أجلها كما أسلفنا تقنية ضئيلة في شمس بل نور النور الأشمل والأكمل والأسنى بالسمو التفكير الخلقي والتعقل العلمي ولانهائية التفضل الإنساني في حرية الفكر والتعبير لخير الإبداع والتعمير. فالتشييد الحضاري أو جوه يجعل كل شيء يأخذ شكله الطبيعي في ترقية المهارات وتزيين الواقع مضيا نحو الأمثل إنسانيا وكونيا بفهم الأعماق وتنمية الإنسان وإبراز طاقاته الفريدة.

فالوقت في هاته الدوائر الكريمة من النمو الحضاري والقيم البشرية حليف للفرد مقيم للأسس موسع للأطر فتاح للمغاليق على عكس أجواء الخواء الروحي والمادي في التخلف والتخاذل والخمول فكرا وبناء نظرا وواقعا مما يعيق الهمم ويثبط العزائم بالصد عن السواء الفقهي والتفسير العلمي والفضول الفلسفي الفطري في لتفكير والتجسيد معا. لكن هذه الحضارة والدولة الإنسانية الجماعة غير المقصية لا تبنى عدا في يقين العقل الرشيد في تبيين عوار الإيديولوجيا وخطل الانغلاق في كل المراحل الإنسانية باستثناء واحد

FOR AUTHOR USE ONLY

وحيد فريد وهو عهد ما قبل التاريخ والحضارة لطفولة البشر وامتداد تكامل عقولهم في مجملها قدما نحو عصور التنوير وحقب الخيرات والتكبير للنعم والتفكير وبه (السومريون والبابليون والإغريق 5000 سنة أو ببداية التأريخ 3000 سنة) "اكتشاف الزراعة والاستيطان للاستقرار والتفكير المتسارع وهو قانون التطور الإنساني والطبيعي معا على حد سواء. فلا غاية قصوى للاكتشاف البشري والكوني (إنسانا وطبيعة وميتافيزيقا وجودا) إلا السلام ضد الحرب بأنواعها نهاية وهدف كل فكر وعمل لإسعاد البشر قاطبة.

غاية الإنسان هو نشدان الحقيقة في البحث عن البساطة والوصول إليها فنا وعلما وفلسفة كما كانت في عفوية الطفل البريء عاطفة وعقلا بامتلائه فضولا ونهما كونيا وإنسانيا يتماشى مع العبقرية النقادة والتنقيب الفريد والإبداع الخلاق أي أن البسيط لا بد له من عمق الذكاء وتحرير الفلسفة وتوطيد الفكر ما يمكن له في النفس ويعضده في العقل الشريف. وهو لا يعني بتاتا نفي التركيب وطرد التعقيد في مكانه ومحله وأوانه. بالرغم من أن لحظات الفيلسوف العقلية الهادئة في تحليلها يتخللها غضب عارم داخلا وخارجا في محال الاختلال الفكري والواقعي في حياة الناس وهو دليل الوعي النظري والالتزام العملي بالحرية المقدسة ومن أجلها بلا إجهاد نفسي ولا روحي ولا عقلي تفاديا للندم جراء التكلف وتحميل الذات ما لا تحب و/أو ما لا تطيق في احترام للبشر واختياراتهم بالذكاء والعمل بالنظر والانخراط بالفكر والميدان.

FOR AUTHOR USE ONLY

وتتبع السهولة في الأشياء هي المصدر والأصل إلا أنها تكتسب بالعمل والتعود الذكي لا الجامد، يرافق الترفق بالنفس في الفكر والعمل خاصة ما يخص القضايا العقلية البحتة –مع ما لها من صلة بالنفس طبعا لأن راحة النفس نتيجة حتمية للغليان العقلي الهادئ-. لا يجب صدم النفس العالية بل مراعاة عليائها والرفق بها. والمرمى البديع في هذا هوالإبداع يتم دوما بالجهد حسب الأفراد واستعداداتهم، مما يعطي نكهة سعادة أبدية وخلود في الذكر والنفع الإنسان المبجل المعظم. –ليس من الضرورة التعب لكي يبدع بل بالممارسة الدؤوبة والوقت الملائم مع الموهبة الخلاقة يسهلان كل اكتشاف وخلق ويمتعان بلا حدود-. فإذا تم تقليص الحواجز والحدود والعوائق المادية والأدبية –تساؤل حر محرر- إلى الحد الأدنى تحقق الكشف وتبينت الغايات وتجسدت المآلات فكرا وفعلا. أي القليل من الأطر المنظمة عموما لتأتي بعدها الجزئيات والتفاصيل بوسعها في رحابة المبادئ العامة الأولى وذلك توسعة للفكر وتحريرا للإنسان الحر الإله.

ونرى واضحا ودائما نفع البدء بالتوعية الثقافية الفلسفية وتوضيح الغاية والمنهج عبر الكتابة والمحاضرات والمؤتمرات لبناء فكر مستقل جديد معاصر يبني المستقبل بنفسه ولنفسه، مع التأكيد على ضرورة العمل السياسي لكن بذكاء بالغ، أي بتوخي الحذر والحكمة في تبليغ الأفكار وتنفيذها حين تحين الفرصة وتتوفر الظروف والشروط الملائمة. وهذا العمل الميداني ليس إلا إثارة الفرص لا انتظارها ببلادة مع مراعاة الروية والتريث في خوض المعركة الفكرية والعملية، من خلال تأثير الروح في أختها أو الأرواح بعضها في بعض كتأثير الأجساد في الأجساد بل أكثر لكونها جوهر الإنسان ولبه، فالروح –إذن- والفكر القويان ينيران الحضور البشري والجماد الكوني بلا منازع. لأن الدلوة الإنسانية الصرفة لا حد للتعبير فيها كالتفكير تماما وبالخصوص الأدبي الطارح والشارح للأفكار، إلا أن الأسلوب الفلسفي يمتاز بطبيعة الحال على غيره بالدقة والوضوح التميز والتميز لعمق الأفكار وتوخي الحقائق الدقيقة.

وكل ما هو واضح ومميز –على حدة- هو العقل ذاته أي العقل قائم على الوضوح والتميز في الفكر الإنساني المجرد، وما كن كذلك في ذهنين يفند بالبرها ن على الدوام، أو أنه مقبول من جهتين مختلفتين ومن منظورين منفكين.

FOR AUTHOR USE ONLY

LA CLARTE ET LA DISTINCTION –CLAIR ET DISTINCT-

أساس الحساب والقيمة والقدر هو العمل المعمر والفعل الصالح وغيره استثناء في حقير العمل مقابل الثواب الجزيل وهو مدعاة الرد للحديث + ناهيك عن العمل القليل المجازى بالعذاب الشديد : كلا فهما إلا في الأول استثناء قائما على سبب عملي بيقين وبالتالي فهو تحقيق للقاعدة العملية والأس الحركي الخالدين. وبالنتيجة، فدور العقل المجيد تأصيلي لا ثانوي في تحقيق النص ونقد معانيه معا لأن قبول الشكل والرضا بالإطار الحرفي إن ثبت تاريخيا وفق الضوابط الموضوعية الصارمة المنبتة للراحة الفكرية والسكينة النفسية لا يسمح بترك الجهل المطبق ولا للعمى الذهني والغشاوة القلبية أن تطغى على الفكر والإحساس والعمل المجسد لها فكم تولدت هوامل جراء تغييب العقل القويم في فهمه البسيط فضلا عن تعمقه الدفين في ذخائر الأفكار ونفائس الأبكار.

فقد جهل وأبعد العقل البين وهو القريب روحا ونفعا عن ساحة النقد الصريح للمتن بحجة الظاهر القاتل لغة وخاصة عقلا فكريا ماحيا للظلام مورثا للنور بمعدنه المشع هدوءا ووسعا ودرسا وانفتاحا ونقدا لإخراج البصائر من سراديب الخلل والجبن والركود والضرائر. هذا استقلال بالرأي والنقد والخلق، أما الشيخ المعلم فهو يجمع الشتات للمتلقي المبتدئ ويختصر الطريق لكن الاجتهاد الشخصي بعقباته له ميزاته التدقيقية على مر الوقت الطويل والمتحرر يفضله تماما على كل سبيل آخر غيره.

حقيقة إن أثر عمق الثقافة بالغ في تأسيس جو الرحمة وتقبل الآخر في الدولة والمجتمع الواحد مهما تعددت الأديان واختلفت التوجهات الإيديولوجية-الفكرية لتحضير أرضية التوافق الاجتماعي بالتربية على الاحترام في الفرد والمواطن لتوريدها للخارج تعاملا بعد هضم الفكرة ذات النزعة الإنسانية أفرادا ومجتمعات ودولا. وهذا يوضح الاختلاف البين في آراء المفكرين وعكوسهم المكفرين الفقهاء إذ يكتسي فهم المكفر على البينة والعرض الموضوعي الذي لا تحس فيه بالضغط بوجه من الوجوه بل ترى طرحا يمكنك من اتخاذ قرار حاسم ليس في الحين ذلك تبع للطاقات والقدرات والاطلاع والذكاء الطبيعي والسليقة الفطرية والممارسة والفطنة فطرة وتمرنا، بل في وقت كل نتيجة مثمرة والأهمية كامنة في بحث المفكر من جانب توسيع الرؤية بالسؤال المفتوح في المسائل والأطروحات جميعها بلا استثناء ما سمح الموضع بذلك مما يدعو للراحة النفسية أمام هذه السعة العلمية ويولد طاقة فضولية نقدية تنقيبية بتؤدة العقل الرشيد نفيا لجهالة الشريدة.

FOR AUTHOR USE ONLY

وعلى الطرف النقيض نجد إيديولوجيا الفقيه –وما هو بذاك البتة- المغلقة للفحص الموجهة للرأي بعقلية التهديد النفسي باسم الدين ورفع سيف العقاب ونصب رمح التهديد باسم التسليم وفي أوجه الحالات القابلة للنقاش تلمح بل تعاين جليا رائحة التقية وتجنب القضايا والتساؤلات الملحة بتصفيتها بالعاطفة وبأسس تلقنت من الماضي العتيق لا العريق فلا عراقة للتقليد ولا نبل للتلقين الأعمى، وبهذه الطريقة يتخلص الفقيه ورجل الدين –وما هناك دين أبدا- من الإشكالات المحرجة بعرضها الجزئي كأقصى حد للجرأة العلمية إن عثر على ظلها –وهيهات- المشوه للحقيقة الملبس على الفهم في ذهن المرء الحصيف الذي سرعان ما يتدارك نفسه بنقض الخبل وتجنب الحيرة ومجانبة الخداع في أسوأ صوره وهي نفاق العلم وشبهة وتعمية المعرفة ضد صدق وموضوعية العلم ووضوح المعرفة النورانية.

وغالبا إن لم يكن دائما ما تغطي العاطفة نور العقل البين بتأصيلها قواعد لا تمت للعلم بصلة من خلال الحفظ الببغاوي والترديد المرسخ للأغاليط خصوصا في الأصول أي التي يبني عليها الفقهاء ومن جرى جريهم وسايرهم في طريقهم كالمحدثين وهم أدهى وأمر لجمود الفكر مع سلبية المنهج الروائي –طين على وفي زيادة بلة- وهي هواء من حيث التقعيد هراء من حيث المضمون ولكل مقام مقال.

أما في شق الروح والنفس، فشعور الصوفية أو الروحانية الجياشة تعتري المرء الفيلسوف الرشيق ذهنيا ونفسيا وروحيا وهي في آخر المطاف نتاج عمل العقل السديد في تحينه للفرص النافعة وتصيده للحلول الرابحة إلا أن هذا الإحساس العاطفي إلى زوال يفضي به إلى العودة للرشاد الواقعي والنقد التحليلي العقلي بالفطرة النيرة والفكر السوي اتصالا بالحياة وانقطاعا عن الأوهام في دنيا الناس. هذا لأن الإنسان روح وجسد –نفسا وعقلا- يتطلع لإشباع الكل بإشراف العقل القيم موجد الخلق الأصيل ومبين الطرق الفسيحة ومبهج السبل الرشيدة فما بد من الانتقال من خير إلى خير ولا يدوم سوى نور العقل الفريد في تعيين السلام الروحي والرشد العقلي الفكري والسواء الجسمي بالمتع الشهوانية جميعها فتحا لأبواب اللذة وتسهيلا للحياة بجوانبها كلها حيث أن القلب وحده يشعر ولو بأصدق الصدق وأسمى الإخلاص –للبشر- يضل بلا تحليل ويحار دون تدليل على أن النزعة الإنسانية هي المحك الوجودي للعالمين بدءا ونهاية لكن العقل لا ينقطع عنها بتاتا بل ينبتها من عدم ويرعاه في الحضور للتنمية التثبيتية والترسيخ التأصيلي الحفي بكل خير.

FOR AUTHOR USE ONLY

إن روح الصوفية يفهم عند تعب العقل البرهاني في مرحلة استجمامه وراحة عرفانه –وربما اتقد في درجات التفنن الفسلفي باستقرار النفس وسكينة الأعصاب وقرار الروح والأفكار في مقتبل العمر أو مؤخره- لأنه ترجمان لانطلاق فكري لدى الفيلسوف الحكيم وتوسيع للجماليات بمطلق الشعور الذكي والعرفان القوي بفضل التفلسف السوي المادي والأدبي إلا أن الطرقية فيه تعادي الحرية وحب التعلم باستقلال إعمال القريحة الرشيدة التي تتسامح مع الطقوس العفوية عند الصوفية بلا إدانة عقلية مع استنكارها كليا وجزئيا لكفر العقل القويم بالأشكال جميعها خصوصا في جماعات كهاته إذ ليست من الفن في شيء كالموسيقى والرياضة والاحتفالات وغيرها (ففيها نوع تقزز نفسي لدى الفيلسوف المحب للفن والرقص والاجتماع عليه عند من أراد) : مرفوضة شكلا وإطارا ومقبولة معنى وروحا.

ومن الأمور الغريبة بمكان غلق القضاء والقدر على العالمين في الدين وغيره وهو على صحته من حيث الصعوبة وحتى الاستحالة مشروع إلا أنه قضية الوجود بما حواه من خلق للشر وللحرية فحري بكل حصيف البدء به والانتهاء به لوروده في كل مورد وحلوله في جميع المسائل بسبب دخوله في العظم المادي وخاصة المعنوي للإنسان الخلاق ؛ وللمرء أن يسأل : أيوجد حقا جواب شاف كاف لقضية القضاء والقدر كشرح عقلي فلسفي ذهني حقيقي لا كمحيل على الحكمة المطلقة العامة بعد كل هذه القرون ؟ وهو ليس مستبعدا على الذهن الإنساني بتاتا غير أن تحطم كل المحاولات في مثل هذه القضية الشائكة مثير للشك والغرابة حقا بالرغم من أن الثقة في العقل القويم خير ثقة وأمثل برهان ...

وندافع عن الإنسان كلا بلا تبعيض، فمعاداة السامية بغيضة لكن (هي) كغيرها من العنصريات إلا ما كان تخصصا فيها من اضطهاد للأقلية ومع ذلك فهي أقلية نافذة مالا وسلطة بل ودولة مستعمرة ؟؟؟ فالعرب أيضا معرضون في أوروبا في زمننا لشتى أنواع العنصرية في العمل والسكن والمعاملة اعتداء حتى فالكل معني بالدفاع عنه إنسانيا في الدولة الواحدة أو المجتمع الدولي عموما على قدر الاستطاعة والشرعية العالمية الدولية بقانونها. ومنه كان الإفراط في حماية السامية –ومنها العربية كعائلة واحدة- لغوا لا في الدفاع عن الروح البشرية بل في تخصيص دم دون دم كما تفعل أمريكا الغاشمة عدوانا وإسرائيل الكريهة استعمارا، وما عذر المحرقة الحقة على يد المجرم "هتلر" سوى ذريعة واهية لاختلاف الوضع تماما فإسرائيل دولة اليهود على ورود الخطر على كل حال ولو بعد من جهة، وتعرض الفلسطينيين المقهورين في وطنهم المغصوب من طرف إنجلترا ووعد "بلفور" ، لخطر الإبادة ونحن نراها ونعيشها منذ 1948، من جهة أخرى. فالوسطية الوسطية والاعتدال الاعتدال يا بشر (وميزان القوى هو حاكم وحكيم الأنام في غياب الخلق والسلوك التام). الخلق الرحيم الحسن هو غاية الغايات ولا بد من تشجيع الجميع على الخير وقول الكلم الطيب دوما تفاديا لإحراج الناس بأي أسلوب كان.

يزخر الفكر بزخم إبداعاته في العليم الحر المكتشف، والمهم هو الشرح والتعليق والخلق في الموضوع نفسه والسرقة العلمية تكون في الحرف لا في الروح عموما فما بالك في النقد العلمي للموضوع الواحد (مثال المقالات واختيار المواضيع وهو بين لكن ذكر للراحة) فهذا دستور الأصالة ولب التحرير وقلب الإبداع لأن المواضيع في الحقيقة إنسانيا أو كونيا واحدة من الأزل وإلى الأبد وبالتالي كان الخلق هو المراد في الاختيار للموضوعة الواحدة أو الاشتراك فيها مع الغير والشرط واضح متمثلا في استخراج **التأصيل وتوثيق عرى**

FOR AUTHOR USE ONLY

الاختراع في الصورة والمعنى مقصدي العارف العليم والباحث الحكيم، وهو مريح للمتخلق بلا عقد النقاب بلا مدد العميق بلا سند سوى النفس والروح والعقل الرشد. على أن ضرورة تلاقح الأفكار لتصحيحها وتنقيحها وتطويرها إذ لا ينافي ذلك التحرر و الاستقلال العقلي بل إن لم يزده عمقا وضياء ووضوحا أعطاه أو أوحى إليه أو ألهمه فكرة أو تصحيحا أو زيادة أو نقصانا. وفي هذا المضمار، يطرح جميع الأفكار والسؤالات دون إقصاء لأحد ولا لشيء لأن ذلك يصير عادة وطبيعة مسعدة للنفس وللعقل ومحررة للآخر. وبغية إقناع كل شخص بما يوافق حاله ونفسيته ومستواه الفكري والخلقي والطبيعي هو الهدف بامتثال البشر لما يدليه ويطرحه العقل السليم تحقيقا للسعادة والبشر المتنامين المتزايدين. وهذا يعارض تماما الإطراء الفارغ الكاذب لقضاء مآرب آنية –ولو أنه لا بأس به عمليا وفكريا مراعاة للفطرة البشرية- لأننا نتحدث بالصدق وعن الصدق لكن بتوسعة الأفكار وتنميتها وتماشيا أيضا مع العفوية البشرية وسلاستها.

FOR AUTHOR USE ONLY

إن عالم الأخلاق فريد نظريا وعمليا فهي كلها عقلية رفيقة إنسانية تحقق سعادة الناس في الدنيا الأبقى قبل الآخرة أختها الشقيقة وهما داران لا يفترقان. فاالحياء والسمعة –بتلازمهما- من العقل الأحكم ولا بد من المحافظة عليهما كمبدأ أولي، تماما مثل المجاملة للناس وعدم إحراجهم من جميع الجهات أساس السعادة والهناء أولى طيبة وآخرة كريمة. لأن المقصد تحقيق الإنسانية والبشرية في الفرد والمجتمع فالرجولة الإنسانية الخلقية العقلية فالنمو الديني الإنساني أولا وآخرا.

ويملي العقل المشرق والفكر البناء الواسع بما يحيط بكل العلوم والاختصاصات بفلسفة وعمق كليا وجزئيا باستغلال الوقت والتفرغ لكل علم على حدة للوصول إلى إتقان الجميع بالانتقال من فن إلى آخر انتقالا سلسا ميسرا متقنا، باعتماد الكليات في كل شيء تحوي الجزئيات التي لا تفسير ولا وجود لها بانعدام الأولى، من أجل ترجمة النجاح والعمل في العقل الكريم على حد سواء فردي جماعي، في استقرار النفس بعد إعمال الفكر والعقل هو نتيجة الاقتناع وإذا تعارض اقتناعان يبين صدق أحدها أو كلها عند الإمكان –انفكاك الجهة- بالعقل النير ذاته.

لا وجود في الحقيقة للوقت بمعنى الماضي والحاضر والمستقبل بل الكل خالد ومتحقق للعاقل الفيلسوف وانتظاره ونقده عمل وإنجاز لما يبدو للنفوس المهزومة مستحيلا وهيهات أن يكون هنالك مستحيل أو صعب مع يقظة العقل المبين المستقل. مما يسير حثيثا إلى نسيان وتغافل التفاهات والذكريات السيئة –الماضي- (دون الاستفادة منه باستخلاص واستخراج العبر والدروس) والاغتمام المفرط بالمستقبل (الخارج عن إطار الحذر والاستعداد المستقلين) ليس البتة ضعفا في تركيبة العقل والنفس البشريتين المبدعتين استقلالا بل هو استعلاء على الوهم وتكبر على الترهات والأباطيل لفائدة الأهم والأصلح والأعمق تحليلا وتطبيقا وهذا عين العقل الجبار والتعقل الرشيد والتسامي البالغ. ومن الأهمية القصوى ترك القضايا الملحة فكرا في حالات الشدة وضرورة درئها وذرئها لظروف أحلى وأوسع رخاء معنويا خصوصا في تلك العميقة وعموما في تلك السطحية إلا تنذرا ونافلة : سنة التأقلم ونور التكيف والرفق بالنفس الشريفة وبالروح العالية والاستفادة من العقل الرشيد. لاعتراء الخير والشر للقضايا (ولو كانت نورا) حسب الأشخاص سلامة وسقما على أن العقل القويم يخلص إلى النتيجة بنفسه دون الفرد الملقي أو المعلق.

FOR AUTHOR USE ONLY

في نطاق التنقيب العلمي المستقل تستوي الحقيقة ونظرة وحكم العقل المستقل المبين في الشدة –وعدم وضوح الأفكار أو تشابكها مؤقتا- وفي الرخاء حين تستقر الأحكام والمبادئ وترسخ، فلكل منهما جوه وظروفه. وهذا دليل النضج التحليلي والتناسق التفكيري النافع الناجع. وينبغي أخذ الوقت المناسب واللازم لكل مقام ووضعية منهما (شدة ورخاء) لأن ذلك إنتاج في محله. يتبع التعب النفسي والعقلي لا مبالاة بالأحداث والأفكار السيئة المشؤومة العابرة ويختم ذلك **بالفرحة والاستبشار** بمجيء الكل بالرغم من الاستياء العقلي والنفسي والتطبيقي إذن المستقر في النفس والوجدان والعقل الإيجابي الطيب النير المنير دوما، إذ تمحو البهجة التحليلية الاستقلالية للعقل المبتهج جميع ما يلوح من قريب أو من بعيد من غم أو حزن أو كآبة أو ضحالة فكر أو إجهاد أيا كان. ورغم أهمية الظروف الاجتماعية بما فيها المادية خصوصا (سكون الخلق ووسع المادة والسكن مساحة، إلخ) فإنها لا تحكم الخلاق الفيلسوف العظيم بل تنقص يقينا من إنتاجه وربما تنال قدرا من عزيمته الخالدة المتجددة، فكما أن استقلال العلامة المنتج عن الواقع حقيقة واقعية بالدليل لا مراء فيها كما أن (فإن) تيسير الأمور المادية بأشكالها المختلفة معين هام ينطوي في ظلال تكثيف البحث وتثمين العمل وترقية الإنتاج العلمي والميداني وتغزير الاكتشافات وتنويعها ضمن الكم النوعي لا الكثرة الساذجة المكررة والمرددة بسآمة وملل مميتين ؛ كلا ...

غير أن الأبواب تفتح تدريجيا سننيا واستحقاقيا مما يحفز العليم النحرير على الاستراحة في كنف العلم والتكيف مع الظروف المتاحة رغم التذمر العام والخاص (من) لانعدام نظام عام منظم ووعاء كبير مسير ووجهة محددة بكفاءة ونزاهة في المجتمع والدولة التي وودناها فلسفة وفطرة إنسانية للعالمين متقنة متقنة في الأولين والآخرين مبدعة في السالفين والخالفين الآتين خلاقة في السابقين واللاحقين بأصالة الفكر وحرية النقد (ل) وجمع الفضل ونيل الرتب العليا في الفرد نفسه وفي المجتمع بتكامله وانسجامه وأمنه وفي الدولة بتسهيلها وتنظيمها واستشرافها للمستقبل الأفضل وللخير الأعم الأكمل ... وهذا جميعه يندرج في خير استقلال المرء عامة والفيلسوف خاصة بنفسه عن الغير لا محرجا ولا محرجا بل فعالا للبر مستقلا بما أملاه عليه العقل الجبار لخير الأحرار في مجتمع ودولة الفرسان والأبطال الأبرار بالمادة والأنوار.

هذا والقيم الإنسانية مشتركة بين بني البشر جميعا دون استثناء استنادا للفطرة العادية السليمة وللعقل النقاد الوقاد الخلاق المبدع ثم بعد ذلك للوحي الصحيح المصحح القرآن المجيد، وهذا تحت تعريف الفطرة بالنقطة البدئية للفهم دون جهد العقل الرشيد أما إذا اعتبرنا تعريف الفطرة بعمومها وشمولها للكل أي (1) للسلوك القويم جميعه عاديه و(2) إبداعيه بالعقل النوارني المجتهد، و(1) السيرة الطيبة العطرة بسيطها و(2) معقدها بالنقد العقلي الكريم دون نسيان (3) النقل والوحي العزيز القرآن الجميل. وبهذا يكون الترتيب بمنظور تكاملي هو :

(1) الفطرة السليمة العادية الطبيعية.

(2) العقل النقاد القويم الأحكم الأوسع الخلاق المكتشف.

(3) الوحي الصحيح القرآن الشريف.

ومن زاوية وسع التحديد الفطري أي تعريفها بشمول نقول : الفطرة العامة الشاملة الكاملة الضامة ل :

(1) العقل النقدي نظرا وواقعا تحليلا واكتشافا وإبداعا.

(2) الوحي الأصح وهو الكتاب العزيز والقرآن الكريم.

FOR AUTHOR USE ONLY

وفي ساحات السعة الفكرية وفضاءات النقود التحليلية يحتكم إلى العبرة بالأغلب في الحياة البشرية نظرا وعملا وما أخذ الحيطة والحذر سوى حدود احتمالية تقدر بقدرها للحد من الشر عموما ومن أضرار العمل الإنساني حتى في إطار الاكتشاف البديع مع الاهتمام بالانتفاع بنور الإبداع والفن بعيدا عن عقد الخوف والخطر وغيرها من المثبطات النفسية والاجتماعية بما فيها السياسية. فيطبق بالتالي مبدأ الأغلب في الأحكام كلها لطبيعة الحياة وتعقد المسالك وتعدد الظروف وتنوع الملابسات.

ومن الأقوم فطرة وفلسفة تقرير مبدأ السببية كخاصية في الأشياء بمشيئة الله إعلاء للأسباب وتثبيتا لقوانين الكون والإنسان وما الاستقراء العلمي الحق إلا ابتداء للاستنتاج الحق العقلي في إطار المبدأ الكلي الثابت : تناسق الاستنتاج والاستقراء (خاصة الجزئي أما الكلي فهو مفروغ منه) {فقد أراد الأقدر وشاء الأكرم}. والاستدلال على وجود الله بناموس العلية والسببية غير كاف لا لعدم صلاحيته فلسفيا بل لضرورة وجود تواتر لعدد الحجج في إثبات السبب الأول (على غرار توثيق الحفظ الكتابي شفاهة وخطا كتابيا) = قمة التدليل واليقين. لأن التفويض المشيئي "إن شاء" أو "أمره إلى الله" في الكتاب العزيز دليل القدرة الرحمانية أو الاقتدار الكريم فوق العدل القويم (في آثار الصفتين معا فصفات الرحمان لا تتفاوت أما إسقاطاتهما فهي متكاثرة). وهذا الأمر يقرن مباشرة بالعلاقة بالمطلق في مسالة الرجاء (المحبة) والخوف (الخشية) المتعلقة بالبعد الاستقلالي للدين الموجه بالعقل القويم بدءا بالحب وانتهاء بالاستقلال الخلقي رغم تخلل الخشية العرفانية الفطرية والباطلية أي استيقاظ الحس وفطنة العقل لتوقي الشرور للخيرات والمكرمات كلها. (المبدأ هو الاعتداد بالإنسان الشريد بفضل عقله السديد = كرامة الإنسان مع أخيه ومع الله بل خاصة مع المطلق ضد خطاب العطل والعطب وشعور العدم والذل وكلها هوس وخطل وباطل).

ويستفاد في أشباه هاته القضايا الدفينة فطرة وفكرا وفلسفة من التفكير الملحد (خارج الإطار) على عكس المتحذلقين بالعاطفة الفارغة أو بشبه العقل السديد وهو منهم براء لأنه الباعث الوحيد القويم على الرشد والسؤال الصريح المنتج للعلم الدفين وإخراج الخبء العميق. فما زيادة العلم سوى اكتشاف الروح "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (أي زيدوا واستزيدوا علما بتنويع المسالك وتعديد الروافد)"، بتوسيع الرؤى وتويع التدليل وتغميق التففكير وتكثير الخلق والإبداع بل حد بسام الحرية الشريفة لصالح الإنسانية الكريمة. فكان الانحلال من المادة وجهة العارفين العلماء طبيعة رنانة ونفسا رائقة وروحا كريمة بجمالياتها كلها إلا أن تلك النزعة الإنسانية الإلهية الربانية –بصفات الكمال والجمال والجلال المورق المنفذ النافذ في النفس البشرية- تزور المرء الحصيف زمنا قصيرا أو طويلا بحسب

FOR AUTHOR USE ONLY

الاختيار العقلي من الإنسان نفسه لكي لا تضيع منه فرض التمتع المادي غير منغمس في الروح تماما –على ما هي عليه من نور ورحمة ويقظة ونفع واكتشاف وشأن وأهمية- معدما للجسد ومتطلباته كي يتم له الأمران بالرغم من صعوبة الممارسة والمآل الآمن متمثلا في التمتع المادي كاملا وبالرقي الروحي والفقه العقلي العميق والراحة النفسية الدائمة : كما يكره ويمل الجانب المادي في المرء حين الإبداع فهو خليق بالإجلال والتكريم والاعتناء ضرورة أوان الاستجمام وجمعا للهمة للبيان والكشف بالبرهان لأن ثمة تكاملا طبيعيا يعتنى به باهتمام وفخر واعتزاز على الدوام. ولا نستند في هذا البحث الرفيع حاشا بالتدرج الفكري والعملي ضياء العقل الرشيد ورحمة الفلسفة المعمرة بالحضارة النبيلة الموسعة للمادة والمعاني وما هو في الحقيقة على الرغم من صعوبة نيله إلا بعد تجارب عملية ومفاوز نظرية يلطفها الزهو والتدرج والاستراحة والذكاء التعاملي.

وهو إذن عيش اللحظة الراهنة بعمقها ونفي وهم الغد سوى المستبشر وإن لم يكن إلا اليوم فهو كاف شاف لوحده وهو الخلود النعيمي. وننبه إلى أن من غابت عنه الفلسفة تخبط في أفكار إما عقيمة صبيانية وإما مجتزئة مجتزأة لا تمثل رؤية واضحة كاملة شاملة للوجود ولا للقضايا الفكرية ولا العملية وما هي في الأصل سوى خبط فكري وما هو بفكر وسوى حكاية ليل لائل ليس بدال ولا مقنع = حديث شارع ورفض الكمال وتبني الغموض والسفسطة. بسبب تغير النفس عاطفة والروح عقلا وشعورا فهو ليس إلا باستحقاق الفرد لذلك بعمله وفعله وبفضل قيمته وشأنه استقلالا فكريا وعمليا من جهة وتوفيقا ربانيا لما سبق من جهة أخرى : فالتحول الإيجابي (وغيره) سليل العبرة العقلية والعظمة الفردية والشأن الكبير وما إحساس الفرض والإكراه والإجبار وهو معيش طبعا في الإنسان روحا وعقلا ونفسا إلا وهم وخوار وخسر وبوار ريثما ينقشع لحساب الوضوح والبشر والاعتلاء والانطلاق لفضاءات العلم المطلق والفكر الحر والخلق الرشيد.

FOR AUTHOR USE ONLY

الفصل الثاني :
تأسيس عقلي

FOR AUTHOR USE ONLY

وليس ببعيد من موضوعنا تأسيس العقل البين قواعده على أمرين عامين كاملين أساسيين وهما :

1/ الاقتناع بالنقد الأول للكليات قصد الإيمان فيما بعد بالجزئيات لا تفصيلا بل إجمالا منطويا تحت التحليل الأول الأولي للأصول والبناء عليها تدرجا زيادة أو بطءا فهميا وحتى ركودا عقليا وليس بالضرورة نفسيا، حسب الهمم والملكات طبيعية ربانية واجتهادا سننيا وصوليا بالقوانين والتسديد التابع لها، بالحكمة البرية المستحقة والجهد الشخصي الفضولي للأمثل والتواق للأكمل.

2/ التحليل الكلي بيقين يتطلع لأكبر وأكثر بالتدرج عبر التفصيلات والجزئيات التي لا يغني فهمها تدقيقا لأنها في حقيقة الأمر مسائل كبيرة لاتصالها بالفهم البشري للخفايا والأعماق والكنه (الأكناه)، وبالتالي لا يضير الإيمان الأول شيء فطرة وفلسفة ووحيا عدم الاقتناع فكرا وقلبا بالتفاصيل إلا بعد فهمها بالنقد والتحليل المتواصلين : وتلك علامة النبوغ واتساع الأفق والنجابة ودليل العبقرية والإبداع والتأصيل. ذلك أن قوة الخلق وقدرة الإبداع تعطي شعورا بالملل أو عل الأقل إحساسا بالركود غير أنه متولد في الحقيقة من حب الأصالة والتفنن في التوصيف والإتيان بالحلول الناجعة، لذا وجب عقلا نورانيا وواقعا عمليا منطويا في العقل المجيد التعليق العقلي ولو بسطحية –ظاهرا- وتثمين توطيد القواعد تكرار المبادئ لكن بشرط نية التخليق ونور الإبداع وإظهارها بين الفينة والأخرى و'لكل حدث حديث' كما أن 'لكل مقام مقال'.

FOR AUTHOR USE ONLY

كما أن العلم الحقيقي تعليلي تفسيري تأويلي يلج للأصول والجواهر والوصفي منه بدرجات فما كان منه كذلك يطلب المزيد من التحليل ليصير معللا وهذا الأخير يتطلب عند الفضول الفلسفي الفطري والشره العلمي وبفضلهما الشرح أكثر ليصبح بدوره وصفيا أمام ما يرجى من وسع تفسيري وتأطير تحليل بالعلل علما بالأسباب والغايات معا. على أن وجود نوع الوصفي لا نزاع فيه بتاتا في كل الميادين بل وهو الأيسر على عكس التحليلي التفسيري التعليلي وهو الأعسر الأعمق الأبقى. على أن هناك قضية الموسوعية الخلاقة التي تعوز الرحبة العلمية عمقا في كل المجالات ووسعا في كل الاختصاصات بإقامة الجسور لا بناء الجدر الوهمية، فنقصها أو انتفاؤها عند المتخصص يجلي ضعفه إذا علاه قدرا وعلما وفكرا غيره من غير اختصاصه إلا ما كان من أولي الهمم العالية الموسوعيين مما يصنفهم في أهل التخصص بامتياز إلا أن القاعدة هي استفادة العلماء والعامة من الاختصاصي في فنه ومن العليم في ميدانه ودونه عوار فكري وخلل ذهني وعملي في المتخصص المعني. فما أعلى النور الطبيعي وما أعظم العقل الرشيد دون ومع الفطرة

السديدة وهو في الحقيقة توسيع لها: قبول إيمان التقليد للمتعلم (غير الأمي) على تعطيل العقل النظري والحواس الكريمة –كمعصية بظروفها مكانا وزمانا وحالا-.

ونعلي من قدر التدليل معلنين ألا استلزام لدخول الحرم الإيماني كله الحجة الفلسفية لكنها ضرورية للكفاية ولفتح العقل ولانشراح الصدر فالفرق بين بين من يقبل الفطرة دون استزادة للتبرير وبين من يرضى بها حكما صحيحا ليعمقها ويوسعها رحابة بالتفلسف الكبير والتعمق الجليل والفضول العظيم بالعقل القويم(زلل المعتزلة). وعنده يرفض باضمحلال الشرك وبطلانه هباء بلا وجود عقلي أصلا فلا شرك على خلاف الشر ووجوده واقعا بينا يشرح في قضية خلق الشر. تدليل العلية/السببية غير كاف على صحته دعوة لتوات**ر أمثل لدلائل الرحمة الحكمية والنور المقنع. وبما أن** العقل البشري متفاوت الدرجات ففهم العامي غير نقد وعمق الخاص المتخصص الفيلسوف إلا أن الجميع يشترك في الحد الأدنى من الفهم والتحلي وحق النقد وفق سنة التدرج والتصحيح والتشاور ةالتناقش والتحاور بغية الفضل ورجاء الأحسن واتباع الأمثل، لذا فالنص القرآني ليس حكرا على المختصين –وأي متخصصين- بل هو ملكية عامة للكل حسب نورانيتهم طبيعة مستحقة وعملا مستقلا وتوفيقا ربانيا متوجا لهذا وذاك بحكمة الاستحقاق والفضل في مقامه ومكانه تماما متناهي الدقة ؛ ومن قال بتجريء العامة على الكتاب العزيز فلم يدافع عن التنزيل الحكيم بل لقد لم ينزل الناس منازلهم ولم يعط العقل المبين حقه وازدرى نعمة النور الطبيعي في البشر الخلفاء ولقد بخس النص القرآني بهجته من التوضيح وهو البين المبين وغطى –وهيهات أن يستطيع أو يقرب من الاستطاعة والعقل النور بالمرصاد- إشراقات الوحي المعصوم كلاما إلهيا بشبه الذود عنه غباء وحرمانا للارتقاء الإنساني فكرا وتجربة على ضوء العقل المنير وفي كنف الحرف القرآني الخالد المخلد العليم. وبالتالي، فتدليل العلية/السببية لإثبات الأولهية غير كاف (بل هو واه) على صحته دعوة لتوات**ر أمثل لدلائل الرحمة الحكمية والنور المقنع.**

لأن العقل البشري متفاوت الدرجات ففهم العامي غير نقد وعمق الخاص المتخصص الفيلسوف إلا أن الجميع يشترك في الحد الأدنى من الفهم والتحلي وحق النقد وفق سنة التدرج والتصحيح والتشاور والتناقش والتحاور بغية الفضل ورجاء الأحسن واتباع الأمثل، لذا فالنص القرآني ليس حكرا على المختصين –وأي متخصصين- بل هو ملكية عامة للكل حسب نورانيتهم طبيعة مستحقة وعملا مستقلا وتوفيقا ربانيا متوجا لهذا وذاك بحكمة الاستحقاق والفضل في مقامه ومكانه تماما متناهي الدقة ؛ ومن قال بتجريء

FOR AUTHOR USE ONLY

العامة على الكتاب العزيز فلم يدافع عن التنزيل الحكيم بل لقد لم ينزل الناس منازلهم ولم يعط العقل المبين حقه وازدرى نعمة النور الطبيعي في البشر الخلفاء ولقد بخس النص القرآني بهجته من التوضيح وهو البين المبين وغطى –وهيهات أن يستطيع أو يقرب من الاستطاعة والعقل النور بالمرصاد- إشراقات الوحي المعصوم كلاما إلهيا بشبه الذود عنه غباء وحرمانا للارتقاء الإنساني فكرا وتجربة على ضوء العقل المنير وفي كنف الحرف القرآني الخالد المخلد العليم. وكذلك نطرق الدليل الأنتولوجي بتبيين غير كفئيته دليلا محتاجا لأكثر من حجة معضدة لأنه معتمد على الممكن لإثبات الكمال والوجود.

إن علاقة الفكر والعقل بالقلب والعاطفة وطيد ويحل تحت بند انفكاك الجهة في البركة من ناحية التشدد المتعجرف الجلف البدوي المنافي للرحمة والعفوية والفطرة والعقل ؛ واستقلال العقل بالرؤى الفكرية المجردة عن العاطفة ومنها البركة بلا إضرار بالأصل البركاتي بخلاف التكلف المجحف : وهي ذات المسألة في أولياء الرحمة ونفي الكرامات تماما وهو الأصل الأصيل و/أو تقليصها تحت الأسباب القديرة. والتفاؤل العقلي والنفسي أو مولد الراحة الروحية يفتح آفاق البحث أو على الأقل يعطي اقتناعا إجماليا دون التفصيل الذي يعد به لاحقا بالتحقيق المؤكد إلا أن هذه الروح التفاؤلية لا تفلح ولا تجدي سوى باتخاذ الواقع مرجعا بالرغم من تنوير العقل الرشيد ومصدريته الأولى والأخيرة كأحكم حكم وأحسن قاض وأفضل مدبر أي أن الاستشراف المشرق للمستقبل لا بد له من تعاط ذكي واقعي مع الواقع والميدان الذين ينخرهما الشر ومصدره الرخيص ومنبع الكريه كما رددنا ونردد سبابا وتعليقا وشرحا مرارا وتكرارا ؛ وفي استقرار الذات الثورية وسكينة النفس الأبية وطمأنينة العقل الحكيم الحليم العليم تنبلج ضياءات التفاؤل بواقع أفضل بتكسير الحواجز وبناء حضاري فتاح بربح الوقت والجهد مع توفير الإنتاج الغزير والتفسير المبين في وللراحة والسعة والاستجمام بالخلود العقلي والنفسي والروحي والجسدي كونا وأنفسا. ولا بد من صياغة وبناء العلاقة مع الأناسي على أسس سليمة وفائية من الجانبين طبعا وإلا فالفراق خير رادع للابتذال والفصال أفضل وسيلة لاسترجاع الاحترام والهيبة بعد ضياعهما بشكل أو بآخر ومخافة تكرار المسخرة المعاملاتية. فوفاء نزيه خالد وإلا ففرقة صريحة دائمة للأبد تريح الحكيم الفيلسوف وهو الغني الكريم.

ومن جانب آخر، تكتسي الحساسية الدقيقة في المعاملة للغير ولله بلطف خصوصا في هذا الأخير بالسلاسة المرنة الرقيقة أهمية كبيرة، في مراقبة للنفس بلا عقدة مع لين ورفق بها وتوسيع عليها (مع المحافظة على جذر عدم الإضرار الذي لا ريب فيه ولا مراء). ومهما أراحت النفس الصوفية وسكن روع النفس الجو التزكوي إلا أن الشرح العقلي على درجات ضميم الاستراحة الروحية من أجل البحث الهادئ وهو الدواء

FOR AUTHOR USE ONLY

الناجع بلا شك بتاتا. (والحياة خير شاهد مادي على صدق هذا المبدأ فطرة وعقلا ونقلا). ومن هنا تظهر عيانا منفعة مبدأ العقل والشرح بانضمام القلب حسب حالات النفس والروح ورقيها، باستجماع كل الخيرات تحسبا لتغير الحياة ومتطلباتها ماديا وأدبيا. ويعمل لتحقيق هاته الغاية النبيلة الاهتمام بالأصول المعنوية والمادية في الحفاظ على سلامة هدوء النفس وتحقيقا لاستقرار الضمير وتجسيدا لسكينة القلب والفؤاد وطمأنينة العقل القويم لتبحث الحيثيات الأخرى في نطاق الشمول والسكنى التحليلية. كما يتفادى التشاؤم قدر المستطاع لما له من نتائج إن لم تكن وخيمة فهي على الأقل مضرة وجامحة وكابحة للارتقاء والسير الحثيث نحو النماء المستمر غير أنه في دنيا الناس، هاته المليئة بالأحزان والمآسي في كل ناحية وصوب وحدب وكأن البلاء لا منتهى له لتكرره وتجدده وتنوع صوره وإتعاب تبعاته ذهنا وجسدا مادا وأدبا، لا يفتأ يفرض نفسه بقوة لدى المفكر الحر وفي خلد الفيلسوف النحرير لما تربى عليه من جدية تحليل ودقة نقد وتمييز بلا تزييف ولا كذب ولا تغطية ولا دجل.

وهو بذلك –التشاؤم الإيجابي المحفز- سليل ورفيق التفاؤل الحركي لا ذلك الركودي الجامد ليصبا في غمار الحياة بالاخضرار والنقد لا يفارق والتفسير يسابق يوما بعد يوم على مضض لحظات العيش ومرارة أنفاس الروح العظيمة. مضيفين إلى أن هناك فرقا بائنا بين مشيع اللاتسامح والتكفير وغيرها من أفكار جهنمية مقصية من جهة، وبين موسع الخير وناشر التسامح والتفهم في منهج البر ونظام متكامل الأوجه إحسانا وإعلاء لفضل البشر، من جهة أخرى، وهذا ينتش وينمي في الخط الأول انتشارا للحقد والبغضاء حتى بين بني الملة الواحدة فضلا عن الملل الأخرى دينها وفلسفيها ولو ذكرت عبارات براقة وألفاظ معسلة فهي جوفاء في إطار العقم المنهجي إن وجد هناك منهج أصلا ولا وجود له، أما في النور الثاني فترى الخيرات مفتوحة على مصراعيها والتوالد الفكري الحضاري السموح مشراقا، وذلك انفكاك جهة التحليل واختلاف الاعتبار من حقد دفين فكري ونفسي إلى عذر وتفهم وحب إنساني كريم.

ما قيل قريبا وثيق الصلة بالنظرة الشمولية والفكر الكلي مهم غاية الأهمية في جميع التحاليل والنقود، وهذا يطبق إذن في رأي كاتب معين في المسائل الوجودية أو المنهجية على وجه الخصوص دون نسيان القضايا الجزئية الخاضعة للمبدأ الكلي ذاته، وبالتالي فنقد الرأي بأنواعه المذكورة (بالأخص الوجودي والمنهجي لما يترتب عليه من انعكاسات جزئية تنبئ عن الأصل صحيحه وسقيمه) واضح متجل من النص أو المقال أو الكتاب دون ضرورة اللجوء للعمل التأليفي ككل لكن هذا الأخير محبذ لاستقراء شمولي وتحليل متكامل أكثر جلاء وأنمى وضوحا. ويخدمه التفنن في العلوم والتنقل في أنوارها وبين جنانها متعب في البداية

FOR AUTHOR USE ONLY

لكنه ربثما وبفضل العمل والمراس يصبح راحة استجمام ونزهة فكرية وإحاطة علمية عميقة ليستوفي الفيلسوف الحق القضية درسا والفنون علما وتدقيقا. بالإضافة إلى أن المصلحة تسكن في قبول التفاهات والأوهام ذهنا وعقلا وفلسفة لا الاستسلام لها ولا التنازل عن حق فهمها وكيفية وجودها وعملها ضررا أو رشدا، التي تهجم على البشر أو التي تتعبهم فكرا وإلحاحا يساعد كثيرا في اجتياز التذمر المرهق إلى فضاء الاحتجاج المنتج ونور الخلق المبدع وخير الامتعاض الخلاق تفاديا لإرهاق الذات والروح الكبيرة والنفس العظيمة بوساوس إصرار الباطل وهوس تكرار المآسي حقيقة ووهما على حد سواء.
غير أن اختزان الحكم والمعارف والفنون فرديا سلبي فلا بد من التعليم ونقل العلوم والمعارف للأجيال أفضل مهمة وأنبل وظيفة وأكمل هدف وأجمله في خدمة الإنسانية بالروح الإنسانية والاهتمام الشامل بها وبتطويرها طاقات وفعلا واقعيا وهو عبرة التراكم العلمي والتعاضد المعرفي عبر العصور والحقب.

إذا اهتاج العقل النقاد فإنه لا يكفي البتة الاعتبار بالحكم أو ملاحظتها بعد حين أي بعد الأحداث الأليمة خصوصا فذلك عادي لكل البشر بتفاوت مقدراتهم التحليلية وطاقاتهم النقدية وإنما المزية كل المزية والفضل كل الفضل في تقصي الأحداث ودرجها ضمن تحليل سبقي عام وخاص معا بغض النظر عن الملاحظة البعدية المتاحة للجميع تقريبا بلا استثناء لأنها بكل بساطة تخرج للواقع ولا يغفل عنها إلا عم ولا ينكرها إلا جاحد أو غيرهما. على أننا نثبت إن الغايات في الحقيقة تتضارب لتحقيق الأفضل لكنه غير مقبول تماما كتفسير لما يجري على الأرض لاحتياجه لتعليل سبقي ولحقي شاف كاف جامع مانع وبه يقنع الفؤاد عقلا وقلبا وتشبع الروح فكرا وعملا ونظرا وعاطفة. لأننا نعتبر أن الصبر ليس حلا فلسفيا بالرغم من غرمه النفسي والعقلي والجسدي فهو على إعانته لإمرار الوقت العصيب وتسلية البلاء فهو مشين عقلا ومرهق ذاتا وروحا ليبقى السبق الأبقى للعقل الفلسفي جمعا ونقدا وتحليلا وشرحا بكفاية وشفاء.

وهذا بالرغم من صعوبته إلا أنه مؤسس على أن للبشر طاقات خلاقة تساعدهم على التكيف مع الظروف المادية وخاصة النفسية والروحية لمكانتها العظمى ودرجتها البلغى من الأهمية والشأن غير أن العقل الشريف والروح الطيبة ينفيان بحزم وقوة وشدة استمرار البلاءات وتكررا المحن فقوة الإنسان لا تعني تمرغه وحاشاه في الفتن واختناقه في الآفات وتداعياتها كلا وإلا فالموت أهون وهو كذلك في دنيا البلاء والهموم والكروب. ولاعتبارنا مبدأ اليسر كقاعدة عامة عميمة الفائدة خالد الدوام والنفع وهو من سهولة إلى أسهل ومن مرونة إلى أمرن (1) ببساطة القانون (2) وعمقه و(3) غزارة فوائده (4) بأخصر الطرق وأيسرها، لكل

FOR AUTHOR USE ONLY

هذا ما بد من توخي التريث والتدرج مع التنقيب خاصة العميق منه للظفر بالحلول المريحة بنفتاح متواصل متنام.

نشهد جليا ظهور البداوة في التكلس الديني والتحجر المتقوقع ولو باسم الحرية لأنها غائبة سوى في حجر عقيم وزاوية ضيقة مميتة وذلك في اللغة الخطابية القاتلة شكلا ومعنى لإهمال الحربات الكبيرة وفضل الإنسان الفنان في كل مجال، فمن لم يخرج من آصار كل تكوين سيما الديني منه عقما وغيره على قلة ضرره مقارنة بالجلف الديني المميت حقا لن ينتج خيرا وسيدور في رحى الاجترار الفعلي صورة ومعنى حتى ولو ادعى التجديد ألف مرة، فالدرس من النتيجة والاعتماد على الثمرة المشرقة اليانعة الناضجة ليس إلا مما يترجم في الخطاب الحر المحرر والفعل الإشراقي المشي للحضارة الحرة الإنسانية ضمنا وتصريحا. ومن الواجب عقلا وفطرة الاهتمام بالفحوى المبدعة ولو بعد الزمن سبقا (الإغريق) دون الراهنية العادية (كما هي عصرتنا إلا قليلا) عدا ما كان زيادة في علم ودحضا لزور فيعتنى به بداهة لأن المعنى المضمن في در الفكر يعبر الأزمان والأمكنة بخلود الفكرة ودوام فاعلية النظرة بلا زمن ولا مكان إذن، إلا أن الخلق المبكر العصري المعاصر رفيق وجميل جمعا لخيرين زمنا وكشافا بالكشف خاصة وأن المرء مولع بالجديد في الفطرة السوية والعقل التواق بالفلسفة الرحيمة.

FOR AUTHOR USE ONLY

وهذا مما له رباط وثيق بالأكاديمية والبحث الجامعي خاصة والفكري عامة على أن النفع كله كامن في فحوى الإبداع قديما أو حديثا عتيقا أو عصريا، فرونق الإبداع الاكتشافي هو جدة الزمن بقدر قدم الجمود ولو عصرنة لأنها شكلية وعنوانية صورية لا غير. ففي جو الإبداع الجبار الخلاق نمر بالاشمئزاز الحق من بعض القضايا على أهيمتها –دون الأخرى البائسة المتولدة عن تكلس وتحجر وجمود بأشكاله- ناتج من سعة الأفق العميق ومترتب على رحابة التحليل الدقيق في كبريات الأمور لأن الاهتمام بالمبادئ العليا ضروري غير أن تخصيص الدراسات لها طبعا حقيق بالذكر وجدير بالتنويه والعمل والتركيز على غيرها من المسائل بتسليط الضوء عليها كبير أهمية أيضا لتعلقه بالشرح المستفيض والنقد الوافي، فالقضية هنا انفكاك جهة العلو الفلسفي عن التقنية العادية أما سفاسف المباحث فليس لها ذكر في منهجنا بل نهجوها ضمنا وتصريحا عامة وخاصة. ولا حرج أن نتناول في مقامنا رؤية استشرافية في واقع العالمين، كي نبصر الخير للإنسانية آتيا من الغرب بلا شك ولو ساهم فيه الكل وهو كذلك اليوم من خلال الهجرة العامة والخاصة المنتقاة للأدمغة لأن الشرق نائم بتخلفه وفيه كما أن القيم العالمية غائبة في الشرق المتقدم صناعيا المزدهر اقتصاديا في

الدول الصاعدة الصين روسيا باستبدادهما ولا البرازيل وغيرها كالهند لغياب أطر التقدم الحق ماديا وأدبيا للبناء الحضاري المتكامل في رفعة البشر وترقية مواهبهم وتثمين معدنهم.

بعد الحديث طويلا عن مبادئ العقل النير وما زلنا فالكلام عن الفن مشرق ذلك أنه ذاتي في مقاييسه فليس كل فرد مريد فنانا كما يشتهي بل يقبل منه ويرفض على حسب إبداعه حتى ولو كان المعيار القياسي صعبا وغامضا بيد أن العلم لا ذاتية فيه البتة لا من قريب ولا من بعيد بل تحكمه الموضوعية والحيادية العقلية الواقعية (فالفن ذاتي في تنوعه واحد في مقاييسه الجمالية والعلم موضوعي موحد في فكره ومنهجه ونتائجه). وهو شبيه بتعدد الشعور بالاكتشاف علما وفنا والرافد واحد أو الرافدان مختلفان متحدان في المصب الكشفي الإبداعي فبهجة عامة شاملة عارمة وتنوع إحساسي وكثرة شعورية في العلم والفن بل حتى في الفن الواحد **والعلم واحد هناك انتقال من طور إلى طور في التفقه الإنساني والكوني الطبيعي معلومات وجوا محيطا بالدفء العلمي المعرفي والفني الأدبي حلقا بعد خلق.** فالخلق كله محيط واسع وفضاء رحيب باتفاق العقول الكريمة والقرائح الكبيرة والنفوس العظيمة فكرا خاصة تتبعها روح تطبيقية وقبلها فهمية نزيهة هو نظام كوني ونفسي خالد مخلد نظير بلا حد وسنة جميلة تتضح بصور عدة منها التوافق –مع الغير في النتيجة ولو اختلف العمق والبعد- (1) بعد الاستقلال البحثي و (2) الإقرار –من المعني المستقل- بالموجود والمعثور عليه بعد التنقيب من طرف الغير والذات وكأن السابقين لذكر السبيل في التحليل والإيجاد فضلوا بتبيينهم أولا الطريق لا ليتبعه الباحثون على درجات استقلاليتهم بل ليقروه ويقرروه أو لا حسب الظروف والصحة المنهجية ونتائجها وهو دون الأول من حيث السبق والفضل والأصالة.

FOR AUTHOR USE ONLY

غير أن الفيلسوف الآلف للاستقلال النظري والعلمي والعملي الفعلي لا يبالي بهذا ولا بذاك فهو دائما في بحث وتنقيب وتأصيل أصيل بل ينأى بعيدا بفكره عن الاتصال والارتباط بأي نص كان بشريا أو غيره وإنما هو مطلع على آراء غيره بتفاوت مستوياتهم طبعا بين الفينة والفينة ليروح عن فكره المستقل في عليائه وليرى عن كثب نافلة ما كتب وألف وقيل في المسائل بالرغم من تجنبها إلا قليلا وبخاصة في مرحلة الإنتاج الفذ الأصيل الذي لا يحيل فيه إلا على ذاته وتخليله ونقده مرفقا بكرائم التأصيلات وأنوار النتائج والتفصيلات. و'النظام الكامل المتكامل' في ظل 'الشمول' يحل بكفاية كل المسائل المتعلقة بالاستقلالية التحليلية والعثورية برحمتها وخيراتها إلا أن الحكيم الفيلسوف في عليائه الواسعة المتحكمة المدبرة الرحيمة السديدة يجنح للذاتية الاستقلالية والاستقلال الذاتي نقدا وإيجادا انطلاقا من نفسه الكبيرة وارتكازا على شأنه العظيم للتمتع والتمتيع بغزارة ووفرة كثيرتين. ونرجع إلى ترسيخ مادة مراعاة الراحة النفسية والعقلية للروح

الأبية ليصب ذلك في الإنتاج والاكتشاف العلمي الحق بسكينة ووقار وهدوء وأصالة وهذا في جميع التخصصات خصوصا الفكرية بلا نسيان للعملية في نقد النصوص المسماة مقدسة ولا مقدس سوى العقل الأحكم المبين بالإضافة إلى الميادين الأخرى من لسانيات وترجمة وسياسة واقتصاد وغيرها (هلم جرا). فالاحتفاظ بالطاقة الفكرية والمحافظة على المدد النفسي ضروري للفيلسوف الحكيم في سيره الحثيث نحو علا التحرر المستمر وهو الحرية وصوب الإبداع الكلي الكوني والنفسي وهو الكل والخلق ذاته(ما).

والعكس يرهق الذات والأعصاب ولو بفتح يكلف المرء لب عينيه وهو في غنى عن ذلك سكبا للوقت ونشرا للأمن وتكثيرا للفن الإبداعي بلا حدود. وال محالة أنه في مبدأ التوسيع والتيسير لا ينفك العقل المجيد عن التسهيل أكثر ولا يفتأ يفتح أكبر في التشريعات كلها ضما لهذا المبدأ الرحيم على قدر الإنسان إلى قانون الحرية المطلقة كما بينه العقل الكريم ليبلغ بالإنسان إلى درجة الكمال فهما وفقها وحرية فكرية وعملية ؛ مشيرين إلى أمرين هامين وهما :

FOR AUTHOR USE ONLY

(1) الفرح بكل يسير والاقتناع بجميع موسعي الفكر من أي حركة كانت طبعا وإلى أي اتجاه انتسبوا وانتموا لكن بالتذمر من الحقيقة التي يطرحها المعقد والمضيق عموما على ما قد يقترحه هنا وهنا شذرات من تسهيل ومرونة من جهة، وانشراح الصدر كلية للفيلسوف النحرير والمتحرر الكبير باني الفكر على الحرية بما قد يعتريها من نقص وهنات تعود لكيفية التكوين أو وسط التعلم أو غيرها، من جهة أخرى.

(2) عدم الفصل بين لاقتناع الذهني والعمل النفسي أو الفعل الميداني المعتمد على حركة الروح والنفس وإرادتهما والأهم هو تشبع القريحة بنور الحقيقة لتحفزها بعد على العمل الحثيث في مصب الخير وعلى سكة الحرية والفهم السديد الرحب المحرر بوسع وسعة وشساعة.

قد يبدو سب الباطل والشر من أصله خصوصا مستهجنا غير أنه عادي المسلك ضروري الفطرة والفلسفة لتحرير مسألة المسائل وقضية القضايا : وجود وخلق الشر، لتعلقه بالبحث عن الأسباب والعلل الأولى هام جدا وهو الغاية غير أنه يختلف من الفيلسوف الكبير الحر المحرر النافي للضيق سبقا وإجمالا للولوج إلى التدقيق والتفصيل حكمة وبيانا إلى العادي الضيق المضيق الخوار الهياب من احترام العقل المجيد والاستنارة بكراماته اللامتناهية (ومن لم يقرأ أي الأميون فهم معذورون والكل مطالب بترقيتهم تدرجا

وتحريرا وعلى رأسهم فلسفة الرحمة والحكمة والحلم والعلم والرأفة). مع أننا (1) أحيانا لا نريد التحليل ولا نبغي التفكير ولا نود التعليق من كلل نفسي وملل روحي لا من عطل فكري ولا بسبب تكاسل ذهني بل على العكس من ذلك تماما إذ القريحة متقدة دواما، (2) وأحيانا بخلفية تعبية وإرهاق عقلي على مر الزمن وتعدد العمق في القضايا ونقد المسائل أصولا وفروعا في أصولها ومن مصادرها تحت وازع إرادي كبير وتحفيز نفسي عظيم، وهذا سهل مرام تتبعه النفس الكريمة والروح الأبية بطاعة وانقياد علمي مبصر، (3) وأحيانا أخرى يجتمع الأمران في حالة من النصب البحثي عقلا ترافقه سآمة نفسية ؛ والحل في كل هاته الوضعيات الاستجمام الروحي والنفسي والعقلي فطرة بكل الوسائل هروبا ذكيا من ضنك التفكير وعسره بلا فائدة أو تقريبا والعاطفة المضنية بما أن البديل واسع في رحابة ويسير في سهولة فلم التسرع وحاشا الفلسفة البديعة ولم استباق الأحداث وهي ملكنا أزلا وأبدا وخلودا؛ وهاك بإيجاز خلاصة الحالات :

(1) تعب نفسي وإعمال عقلي
(2) ضجر عقلي ونصب ذهني مع استطاعة وإرادة نفسيتين
(3) ترافق الإرهاق العقلي التفكيري مع (و) الملل النفسي الروحي

FOR AUTHOR USE ONLY

وعلى حب معالي جمع الفضائل دفعة واحدة فإن الحل هو الترفق بالذات والروح والعقل المجيد الجبار الذي قاد إلى العمل بتدرج وتؤدة ويسر منتجة بلا حد. ويتفادى التكرار النظري والعملي لأنه مرهق ومتعب وهو شر الحياة والأحياء، بالعزلة الفكرية والراحة النفسية والخلود للمادة الموقظة للتوازن المحققة للاتزان العقلي الفكري والقلبي العاطفي والروحي النفسي الجسدي المادي.

إن المبدع كما يسكت عن الكلام يحجم أيضا عن الخلق والإبداع إما لاستكماله مهمته وبلوغه غايته وإما وهو غريب وضعيف المسلك خوفا من السقوط من علياء وقمم النجاح إلى 'هاوية الفشل' وما هي بذلك (بهاوية بل مرحلة ودرجة رقي)، إلا أن العظيم الكبير لا يكبر سوى في الإبداع ولا يسعد إلا في الوسع والتوسيع والسعة ولا يستقر إلا في اليسر والتيسير في كمال وتمام واستقلال وبيان متنام وهذا هو الرشد والاكتشاف الذاتي والاكتفاء الذاتي باستقلال يتلوه الشغف الجماهيري وتتبعه الشهرة المستحقان في محلهما وفي مقامهما بل بلا حد لصالح المبدع ولفائدة الخلاق فكرا وميدانا. لأن كل شيء بلا استثناء في عقل الفيلسوف المستقل يرمي إلى إكمال استقلاليته ويصب في الاستزادة من ذاتيته الفريدة ومهما بدت غير ذلك خاصة في

لحظات الشدة التي تتبعثر فيها كل المعطيات سطحيا ويستغلها الكريم الفيلسوف الحكيم الحليم في الاستجمام على علو همته وإحاطته وإرادته الفولاذية.

فلن يكون الإنتاش عدا هز الوساوس والإلحاحات الفكرية والعملية من الجذور أساسي في إرسالها إلى العدم، من جهة، والتعاطي مع المشاكل والقضايا عند إرادة ذلك واحدا تلو الآخر تدرجا هو سبيل العقل وطريق الفلاح، من جهة أخرى، مع العلم أن الفيلسوف المحيط ينطلق من فكرة إلى أخرى بتجديد وأصالة تعليقا وخلقا إبداعيا، بل يحوم تماكنا وتزامنا بكل المسائل من جميع الجهات بسلاسة وراحة وفن علمي وفلسفي كبير.
خاصة وأن المهم في الفكر هو اعتبار الاقتناع الشخصي بدون النظر إلى تطوره وإن أخذ بعين الاعتبار فلا بأس من حيث الشمول الفكري والوصفي وإلا فعقل المجيد الفيلسوف لا ينفك ينتج وينقد ويحلل من منطلقات العالمية ومبادئ الكونية مع تعدد الاعتبارات وتنوع الجهات إنتاجا وإنباتا.

FOR AUTHOR USE ONLY

وفي قضية الشر لا يتوقف سبنا للشر الكريه ومصدره المقيت في البلاء والشدة كما في الرخاء والراحة والسعة والفرق فقط في الشعور بالتعب النقدي للكلب المدعو إلها وهو أكره مكروه وأوسخ قاذورة فكرا وعملا حتى يصير تحليلنا الحر الشتمي بحق واستحقاق نفسنا البشري التحرري التحريري إعادة اعتبار للإنسان الحضاري. ونخلص في التضاد الشعوري إلى إنبات السب لأصل الشر في حرية الفضل الإنساني. وبما أن مسألة الشر عميقة بل هي قضية القضايا غورا وصعوبة ووعورة فلا غرابة في عمق الأمر عندما لا نستطيع أو يريد الفيلسوف الحر المستقل الحديث عن موضوع أو شيء أو ذكره لوجود صراع فكري أو حتى فعلي ميداني فالاختيار كله للحكيم وقتا مناسبا ومكانا ملائما وخاصة نفسية راضية بالتعريج على هذا الموضوع أو ذاك بلا حرج ولا ضيق، وبالتالي فللفيلسوف العظيم التغاضي غن التفكير في بعض القضايا أو جميعها وتأجيلها إلى حين مراد مبتغى من باب الترفيه عن النفس وتهوية الروح المشتغلة بكل الفنون والعلوم بلا استثناء ناهيك عن التعاملات اليومية المضنية عائلة برحتها وحلاوتها وتلك غايتنا كشفا واعتناء، ومجتمعا ؛ فذلك إذن عنوان التحرر المبدع وشعار الاستقلال الخلاق بعيدا عن الجبن الذهني والتكاسل العلمي. وبعد ضوضاء الكره النفسي والملل الفكري المبرر تأتي أوقات الخلق اللانهائي بيسر ووضوح مبهر وتتوافد أفكار الفن والإبداع بسهولة 'مفرطة' وجلاء أكبر بتوسيع الواسع وتنمية الكبير وتزكية العظيم.

وهذا الاعتلاء بالبحث الشرحي وليد بساطة العلوم في فهم الفقيه الذكي المبسط للكل تحليلا وتعليما وشرحا وتنفيذا (نظرا وتطبيقا) وهو في المستصعب من الناس متعمق لأكثر خلاق لأمثل بتواصل واستمرار، بفضل اليسر الذي يدعو إلى الأيسر والعمق إلى الأعمق والخلق إلى التخليق و"الأخلق". كما تؤدي أسماء الأعلام الكرام مؤداها في روح القويم في اكتشافه على غرار المعاني الشريفة وهو قمن بالرفق بالنفس الرفيعة. لأن الفقه الفلسفي قائد الشعور النفسي وهذا الأخير عام براحته مجمل باستجمامه باحث في نفس الكبير عن التفصيل الدقيق علما للإحساس الحق والشعور الفذ بعرفان (على فرض صدق الإجمال الشعوري فهو فقير للشرح الفلسفي التام).

إن المناسفة شرطها الشرف في كل شيء ومن ترفع عنها استقلالا بنفسه وتعاليا عن إكراهاتها فهو العظيم، مع نفع الاقتداء بالكل العظماء المؤثرين على درجات علمية وفنية وسلوكية (الفنان والأديب والروائي والفيلسوف والمفكر والخلاق المكتشف والمخترع من عدم). مؤكدين لفارق الشاسع بين أثر وغير أثر في عمل الجميع فهذا تأثير محلي على سبيل الجادة العادية والطريق المعبدة، وذاك الكبير نهضة عالمية وثورة كونية هيهات هيهات وشتان شتان. وقد لا يستبعد ذكر ما يظهر غريبا جدا وغاية في الغرابة في اتباع الجيش للتسلسل الرتبي، ويتلوه النظام الإداري كذلك، بالنظر للحرية البشرية العامة لكنه عادي باعتبار ضرورة الانضباط والسلوك الحسن الفعال بدون افتيات على الروح الإنسانية طبعا وبلا دوس على الكرامة البشرية ما حنت الإبل. مضيفين إلى أن هذا النظام العسكري أو هذه المؤسسة العسكرية خاضعة للسياسي المنتخب المسير للبلد ولا دخل لها في السياسة بتاتا مكرسة نفسها للذود عن الحدود بكل أجهزتها الأمنية المناوئة للجوسسة والاعتداء الخارجي لا المتنصتة على المواطنين وازدراء حرياتهم وسلب حقوقهم وتخويفهم جبنا. وترديد الحقيقة لا يكفي في التمتع بها بل العبرة على الدوام بالعمل والمعاني التي تكتسي روحها ولباسها النوراني التام في التعبير والمقال والمقال والحال لسانا وفعلا.

إذ لا حرج البتة في التطور بالخطأ وهو شديد عل النفس نعم غير أنه في روح القويم مبتدئ منذ نعومة الأظافر بالتسديد والرشاد أي أن الفائدة متضمنة في الخطأ اولا، وضوح الذهن لا يعني العمل المباشر في النفس البشرية ولو كانت عظيمة بل تدرج الفقه أولا مطلوب وبعد توفره يأتي دور الفعل والميدان في رضا الروح بالعقل المحفز النفس الفريدة على افقدام وافرادة لتحل هاته الأخيرة الإرادية المشكلة العملية مطيعة للعقل السديد في توجسهه وتقويمه وحثه على الخيرات جميعا. وبهذا كله وفي استقرار المعاني الشريفة تكتب الموسوعات العليمة العظيمة ليتحقق الخيران في النفس والروح بالعقل الرشيد وفي الحضارة المكتوبة

FOR AUTHOR USE ONLY

بأحرف من ذهب في العقول والحصون عبر السنين والأحقاب. وهو الانتقال الذكي بين الحل والترحال والراحة والعمل في تفكير وتجسيد لصالح التنويع الفريد والتعديد المفيد، حتى ايتاح لمعاني الكبيرة أن تلج صدر الكبير وتدخل عقل الفهيم ليعمل استقلالا، معتمدا على الانتظام كخير جليل والعفوية كاسترواح عميم كلاما ولباسا وغيرهما. ولا باس بطرح المشاركة البحثية أكاديميا في المقال لأنه مهم في شكله طرحا وإيضاحا وللحوار والمجادلة حظهما من النور الإقناعي ففي الأول قوة الأسلوب ووضوح العرض برغم الطول ولو بتقسيم العليم وفي الثاني الإيضاح الاستفزازي للقريحة بلا تعمية ظاهرة ولا باطنة والجمع اسلم في تفضيل المحاورة المتضمنة للمقال وصورته (كما أن المقال قد يتطرق لبعض مميزات الحوار كالعنصرة). بيد أن المهم يكمن في العمق خاصة في العلوم الإنسانية وإلا فالكل يعلم ولو ظاهرا بالحقائق بل يرددها دوما أم الخلق الفلسفي فهو عنوان بخر للأفذاذ الحكماء وتعليقنا عليه في أوانه (جسدا ومتعا بدنية جنسية وغيرها ومعنوية روحية ونفسية كالحب وغيره). ولا شك أن لاتصال بالحقيقة الإنسانية أو التقنية العلمية يورث الكشف أو أوليا الشعور الإبداع والقدرة على الاكتشاف والخلق الفريدين النادرين وكان الإبداع يدعو اخاه وينادي مثيله في نفي للروتين ورمي للسذاجة بلا تناقض مع حب المتعة واللذائذ جسدية ومعنوية فنية وعلمية بصفة عامة كي يضطلع الفنان الإنسان بإنسانيته ووسعها وتنوع اشواقها واحوالها (في عزلوا لفقيه) + الاحتكاك بالبشر مثمر ومفيد عليما وغيره لكنه مثير في النفس لبعض الحرج التعاملي على عكس الاعتزال للفكر لصالح الإثمار مع الجمهور بأصنافه والاستقرار هو لب المقاصد في الفنس والروح والعقل عزلة وتعاملا. اللذات الصغيرة والسرورات القليلة في الدنيا تذكر ببعضها البعض + الهدف من الأحداث ولو الصغيرة البسيطة هي الحكمة والعبرة منها لا مديتها بالذات ولو أنها مهمة في نطاقها الدنيوي المحلي ضمن الإطار الحكمي الأرحب أما تلك العظيمة كالمرض والموت والنجاح في الكبريات فهي لا محلة واضحة الشأن ماديا وواقعيا وفكريا ونظريا والترفق بالنفس ضرورة العقل المبين الوضاح النضاح).

وبما أن الدنيا ثنائية في المشروطية الإنسانية بين عيش الظرف نفسه بنفسيتين أو نفسيات مختلفة تدعو إلى توحيد الحكم العام عليهما هاته وتلك معا بلا شطط ، فإن حب الترف واللذات والبذج فطري جلي رائع غير أن المطاهر الخادعة ضد الطبيعة للشخص مقيتة فالجو العام للمتع خير كبير وسطحية التجمعات الاحتفالية سياسية واجتماعية وشهروية في جميع المحالات مميتة للبهجة على مر الزمن و"لا يبقى في الواد إلا حجارته الناصعة الأصلية". وفي تعليقنا على جو الكشف والأصالة، وبالرغم من عدم الجلاء التام للعلية المعرفية والبرنامج العلمي والمتاع الفقهي العميق للفيلسوف فهو يعمل ضمنا ووضوحا حسب حالات النفس والروح والعقل واع به حتى بتعب ودونه + تحقق المراد الفهمي + الإصلاح المصطلحاتي المعمق بالمعاني والروح

FOR AUTHOR USE ONLY

للحروف : جميعها تؤدي إلى توضيح المسلك وتجلية المعنى وتهذيب الحرج وإزالته تدرجا مع أنوار الفكر الجلية وتجسيداتها الندية (نظرا وعملا). فامتلاك الأصالة تمتعا بها بأوليات حقائقها ولو اشتراكا مع الغير فيها (الوصول إلى المعاني الفردية بلا تقليد) في انتظار رفيق للأصالة التأصيلية المتأتية في حينها بتؤدة وترفق وأناة، سعادة غامرة، تقتل الأوهام بضدها بها (الصدقة لدحض وهم التمتع المعقد أو المؤنب). فعلى المترفق المتلطف مراعاة تعدد حالات النفس والروح : (1) راحة نفسية ووضوح عقلي (2) ضحالة أو غياب عقلي في استجمام روحي تام (3) تجلي عقلي فكري في لبس شعوري وقلق عاطفي.

وعندما يصعد العقل السديد إلى مستويات أعلى ويغوص في أغوار أعمق لا يقبل ما سبق استغرابا أو رفضا لأن الإطار على صحته في أوانه ضيق بل غير كاف ولا شاف وبالتالي لا يتبع العمل في هذا المقام على خلاف سابقه الأضعف ولو انه في فم وذهن الشريف المنتج كبير آنذاك ولكل مقام مقال فعلا. و حرية الفيلسوف الكبير مطالبة عقلا إن شاء من أجل الشفافية وإزالة اللبس شرح المعطيات وتبيان الأمور وتوضيح المواقف للعام والخاص كي ينبلج الحق بلا أدنى غموض وتفاديا للقيل والقال بلا دليل ولا برهان، فكما أن الحكيم غني عن التبرير فهو سفير الشرح والتدليل بصراحة وتنوير. ومن جهة أخرى، فالتخلي عن تبيين العقل الفطري والبرهاني سر التخلف الرهيب وخلفية التسليم المميت.

FOR AUTHOR USE ONLY

ينطلي جو التخلف على النفس والروح والعقل المجيد ليحيل الكل إلى أرض قاحلة شعورا جسديا وحياة روحية وعقلية بلا إبداع في كوكبة من القيء المادي والأدبي عديم الخلق. لكن تحدث الميزة أهمية الأفكار بأوليتها وأولويتها مع الفرد وشخصيته الحاملة لها في عالم الفكر والثقافة والخلق الابتكاري التجديدي و/أو في حقل السياسة والإدارة بالتبع وغيرها مما اتصل بها قيادة وتدبيرا. حيث يفقد المرء الحر إنسانيته في انعدام الاستقلال الخالص وأدهى منه فقدانه للحس الفلسفي النقاد وغياب الروح القوية النفاثة للحضارة والخلق والإحساس الفطري المنمى بالفلسفة المجيدة في ومن أجل حرية وتحرير الإنسان في دولة الإنسان باسم الإنسان. وتتمثل مهمة الفيلسوف العريق التي اختارها حرا محررا في كونها لا تعدو كارهة للشر ماقتة للجهل ماحية للباطل دون إقصاء إلا للظلمة المارقين فكرا بتعقيده للحياة بانتسابهم للدين وهو في ذلك ماض في سواء الرحمة بسيف العلم والحجة الدامغة لا واعظا إيديولوجيا بل طارحا فكريا لمن أراد الرشد والمسلمة والرفق والمرحمة بخير الحرية ونور العقل القويم هيمنة وحكما : فما أشر على الحقيقة من جهل عارضها بسطحية العوام ولا عمق الخواص في خور التعصب وشبه التحرر بعيدا عن أنوار العقل السديد وخطاه الرشيدة وهداه البين. ونستشف في التقسيم الاصطلاحي أنه لا يراعى دوما المنهج المتبع في اكتساب

العلم الحق ولا تبين بوضوح طريقة بقر المعرفة لذا عمل العقل الرشيد جلي في نفسه بنفسه في استخراج الحق من بين رفث الباطل وبهرج الزيف خاصة بعد استحكام الاصطلاحات الفنية عند أهلها للحكم عليها من عل بإتقان الفنان وبرهان العليم الإنسان.

وهذا مبدأ في جمع الفضلين مع تفضيل وتسبيق الفقه العمقي وإعلاء أولية الموضوعية وتجلية أولوية الفلسفة الندية. والتميز متأت بحب الاطلاع على غيب الحقائق ومتعة الاكتشاف ترافق في الإنسان بغرابة مله من المكتشف لكنه آني يتطلع في حينه إلى نور اكبر وخلق أبدع وهو وهم المرور من خير إلى خير على أن للسر رونقه المحدود الذي يرعاه العلم وتكتنفه في أحضانها المعرفة الدقيقة الموسعة الرشيقة. ونتيجة للحرية المكتشفة تفقأ عين المسألة أحيانا إذا سمح بها العقل السديد كما تتقى في ظروف التعب والجهد النفسي والفكري للحظات أخرى أسلم وأتم وأغزر تركيزا وأثمن نتائج. إلا أن من السوء انتهاج الإيديولوجيا في النقاش ونصرة الآراء مما يورث الخلل بعد البحث والتنقيب الحرين إذ تغيير أو بالأحرى إصلاح الرأي بالعقل السليم منهج الكبار المحققين (ولو أن تحقيقهم للمبادئ الكبرى يأخذ وقتا قصيرا أو طويلا لكنه يؤسس ينمو في الوسع والتوسيع والحرية والتحرير قدما نحو الأفضل دوما) أما الأغرار فهم معتمدو التعصب خصوصا الديني منه قتلا للحرية وتعقيدا للأنام بلا برهان وغرسا لهم زورا وافتراء في مستنقعات الجهل والعداء والعصبية باسم التسليم والاستسلام وذلك دين الشيطان الإنسي القتال للفهم العقلي والطارح للتحليل الفكري على حساب التحرر الفهمي والراحة العقلية والهدوء النفسي والتسامح المبهج والمسالمة العالمية للقاصي والداني.

إنما يقرر باليقين قدرة الإنسان على الخلق الحقيقي في الفكر والأفعال فأفعاله مخلوقة بقدره واختياره لأنه إله روحا حقة واستقلالا بديعا ولا يكفي فقط استقبال الامور بحريته لا بخلقه فذلك أمثل في طبيعة البشر وتكريم شأنهم بلا مرجعية تماما مما لا يجوز الوصاية عليهم من اية جهة بوحي مزعوم ودونه سوى في أنوار الفطرةالرشيقة وبر العقل السديد ورحمة الفلسفة الواسعة بإشراق الروح وسعة الصدر ورحابة الخلق والإبداع. على أن في ساعات التعب تختلط (وهي واضحة في نور العقل السعيد باستقلال) إحساسات الاستقلال الأكرم بنغص الوصاية وي صدى لنور الحرية المعادي للإكراه والجبر على جلاء الاختيار بالعقل المبين وتحريره القويم.

FOR AUTHOR USE ONLY

ومن قواعد الموضوعية بشمول الكلمة، ضرورة إبعاد الشعور الديني حقا أو باطلا أي بالصحة أو بالمجانبة للحقيقة في استنطاق النص ونقد المتون بتحقيقها وتأصيل كتابتها وعدم تحريفها بالإضافة إلى فهم الرسالة إذا ثبتت نصيا بلا هوادة بعدم الاكتفاء بالتلقي العقيم ما حنت الإبل وما عقل البشر الأحرار الكرام : فثبوت النص لا يعني التسليم له إلا بعد العقل الرشيد النقاد له الحاكم عليه المسيطر على أفكاره أي المقيم له شكلا ومعنى صورة ومادة. وهذا المسلك العلمي الموضوعي منتج اليقين والقناعة الذين لا يعارضان هامش إمكانية واحتمال الخطأ في البحث العلمي ثمينة القدر غالية النتائج سليمة المبدأ خصوصا في حالات إرهاق النفس وتعب الأعصاب ونصب الفكر العميق بما تتبت من يقين فقهي وتبث من تسامح علمي وإنساني. لأننا العقل في الحقيقة مثال نفسه ولا يحتاج إلى نموذج يقتدي به ليرتقي بذاته إلى الشموخ والاستقلال الفهمي والشرحي والميداني. مع الإشارة إلى أن "المثل الأعلى" يتمثل بامتياز في الله الرحمان الرحيم خلة حميمية (الذي لا ينتفع بشيء إذ هو الكمال المطلق أزلا فسموه وتمامه كمال لنا ونعمة لنا لمزيد من الرقي والتوسع). فاسم الكريم يزيد المعنى اتضاحا والأفكار عمقا ويسرا باختصار وغزارة إنتاج باستمرار. هذا ما تعلق بالمحتوى، أما ما خص الشكل، فهو حقيق بالاحتفاء باعتبار تحقيق الكتب والمخطوطات (بها) ضروريا خصوصا بل أخص الخصوص في الكتب الدينية وهي المهمة إن بتت يقينا أو بطريق الظن أو لم تثبت بل حرفت بسبيل من السبل وفي غيرها من الكتب الخطب يسير إلا أنه خطير أيضا فيما يدعى زورا كتب الحديث أو بما يشابهها ربما في الأديان الأخرى من شروح كالتلموذ مثلا، فضرر الأديان جميعا سيان وتعصبها سواء إلا بما ارتاح له ونوره العقل الرشيد شكلا ومعنى.

FOR AUTHOR USE ONLY

بعد التفكير العميق والتحليل المعمق يتضح فراغ المقارنة بين الوضعيات للناس لأن القاسم المشترك بينهم ليس سوى القدرة على ترجمة الظواهر وتفهم للفهم الوضعيات المختلفة ماديا ومعنويا : الحكم للموضوعية العقلية ولو بتباين الظروف بين الناس وهي ضرورة واقعية يراها العالمون شاخصة في الميدان (لماذا هذا عمق وإلا فالاختلاف سنة كونية لتنويع الخير وتعايش الأفراد في شروط متنوعة باتحاد الروح البشرية والطبيعية الإنسانية). عذر الناس نور الوجود ومفتاح الحلول بأخذ كل الظروف المحيطة بعين الاعتبار لفهم وتفه البشر في حياتهم وإيجاد الحلول المناسبة لهم لسعادتهم وإسعادهم قدر المستطاع، بخلاف الظالمين الناقمين على الإنسان بالمسارعة إلى إدانته والجري وراء تذنيبه بلا فقهم للواقع ولا رعاية للمحيط النفسي ولا الاجتماعي وهذا منهج العلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفة قبلها (قبلهما). كما أن ثراء الحقائق يكمن في إنتاجها العميق في النظر المربح والتمكين للواقع الرفيع ليطعم هذا هذا وينتفع الأول من الآخر وهكذا وهي رحمة بيان الفلسفة وأنوار عمل العقل السديد في ارتقائه الرشيق بالأفكار الكونية والمعاني النفسية

الإنسانية : ترك الفلسفة ترك للحياة والاستهتار بالعقل القويم الأرشد نهر لكرامة الإنسان وكفر بالوجود نفسا وأعيانا. و لا بد في الدنيا الإنسانية من بوادر بشر قبل الفرج ولا مندوحة من التمتع باللذات الصغيرة انتظارا للمتعة الكبيرة وللبشرى السعيدة والخيرات الجليلة ماديها ومعنويها حتى لا يتعب المرء في دوامة العذاب الدنيوي وتتابع البلاءات خاصة بالتتبع الفلسفي المرهق لكنه روح الوجود وشرف الإنسان ونبل الحياة بما يوفره من دوام اليقظة واللذة حلا بعد حلا.

إلا أن اجتياح الغضب للنفس يزعزعها لكن العقل يعمل بهدوء الحلم ما استطاع لتهدئة الروع وتلطيف الجو لتستوي المعرفة في نقد ساكن لأن العقل عندها يلغي كل ما يتعلق بالشيء المراد الحديث عنه في لوعة الحرارة النقدية الغضبية الشديدة وهو حق لأنه مرتبط بأمر غير مرغوب فيه تماما بدءا ونهاية فإلغاؤه من جذوره رائع أو تأجيله لوقته نافع وكلاهما عقل راجح : الاعتناء بالنقد الهادئ في أوانه والاهتمام بتسكين الروح في الحين الآمر نور التعقل وبرهان العقل السالم. والمسابقة في الخير مستوجب مع الترفق بالنفس : أخذ القسط الأوفى من التركيز العملي والفكري في لحظات النشاط + انتهاج مسلك التدرج في الأعمال كلها نظرا وفعلا.

FOR AUTHOR USE ONLY

أحيانا نجد الإحساس بحلول الخير وشمول النعم وعموم الفضل في النفس برغم إلحاح العقل السديد عليه والعمل على تحقيقه كلا لا جزءا في سنن العالمين الدنيوية وهو مثيل الشعور نفسا وعقلا بضرورة الإنعام على الأنام ماديا وأدبيا وغيرها من حقائق الخلود إلا أن تجسدها نفسيا لا يتم دون خلل وملل في الروح وهو ربما إزالة للشر في المرء بما في المبادئ النيرة من خير وفطرة وسلم ونور ماح للظلام. أما تنفيذ الحقيقة وتمثل المبدأ الرحيم فيقوم على استكمال المعاني والمضي فيها صعدا للعلا مع العيش السليم في فطرة الدنيا المربوطة بالجسد والتقلبات والتغيرات في الفكر والروح والمادة أي أن تقلب الفرد في حرير الفكر الحق يتماشى فطرة وعقلا بنظافة وتدرج مع الحياة وضروراتها المختلفة على أن قبول هذا المبدأ وتلك النتيجة والعمل بها عسير المسلك في رحلة الوجود. هذا كي لا يموت في الإنسان حس الأنام وتمتعه باللذات في حياة العالم مع الناس والنبات والحيوان والجماد. ومن وضعيات النفس رفض بعض الأفكار أو كلها ولو كانت صحيحة –خصوصا- متعلق بالنفس وظروف المرء بيد أن العقل النقاد المعتاد للخروج من المألوف المكرر والمتر بلا تحرر يعشق الجديد ويأنف من ترداد الفكر البسيط إلا بتنويره بالتوسيع العميق والتحليل الدقيق في راحة الروح ورحابة الفكرة وضوحا وفعاليتها تطبيقا : أي أن استياء الإنسان الفنان بفطرة رائقة

وعقلا نفاث من الأحداث أو الأفكار –أو الفكرة وتنفيذها- معلل بالبحث عن الأمثل والأفضل والأحسن في ديار الأنام وحضارة الإنسان بلا قيد ولا ضيق في العيش والتفكير الحر النفاذ والإحساس بالجنان. (العقل السليم والفطرة الرشيقة مرتبطة أساسا بالتنقيب عن العميق وإيجاد الرشيد وتحقيق السديد بعد الفحص الدقيق والتحري الرفيق حتى الوصول إلى الهدف المتوخى بسلامة عقلية وفاعلية فعالة).

مما ينهج بالحصيف إلى إطلاق العنان للفرح والبهجة واللهو بعفوية البشر وفطرة الأنام طرحا لتعب الغوص في الأغوار التحليلية وتجنبا للبحث في تتبع الأسباب العميقة لهذا وذاك إراحة للعقل السليم وتمتعا بلذات العيش الكريم في دنيا الناس وهو في الحقيقة توازن بين توجيه العقل للفكر القويم وبين تجسيد نتائجه في الواقع المعيش حيث أن المبدأ البين لا بد من تمثله في الميدان بكل خير مجسد وتنفيذ ممدد لأن انتظار ترجمة الأفكار السديدة في الميدان البشري لمدى طويل كفيل بإماتة أعتى العزائم وقتل أكبر القوى النفسية والطاقات الفكرية، فلكل حد ومدى ينتهي إليه. فخروج الأوهام نهائيا يتم عبر مراحل تتعب المرء في البلاء لتستقر في الذات الحرية والصفاء الذهني والسكينة الروحية للتحليل الهادئ لا الميت والنقد العميق الدقيق براحة العقل الرشيد لا بعنف الاغتياظ العتيد وهذا المبدأ في تكرره نظرا وتجربة هو الحياة عينها بالرغم من بساطته للملاحظ ووعورته إحساسا في النفس وتقبلا في الذات على أن العقل المجيد ترتضيه في لحظات –أو بعضها اختيارا حسب حالات عمقه وهو الأعمق وملاءمة نعم فضله ومناسبة أجواء نفسيته- الهناء واليسر لا ليركن إلى السذاجة الفكرية والسطحية النظرية التحليلية بل ارتياحا لارتقاء أمثل ولوثبات أطول ولاستقرار استقلالي أبقى وأمد. والقادم أحلى شعورا وخاصة خلقا للإحساس الحر المستقل البناء بالفطرة السليمة والقريحة السديدة وهو المبتغى والمؤمل روحا ونفسا وعقلا في الجسد المريح والجسم السليم.

على أن الإصلاح الجذري يتأتى فرديا في نفوس العظماء الفرادى المتميزين ولو في جو البلادة والرداءة والتخلف لندرة المعدن فيهم وقد بل هو المتعين في جو الحضارة عند ارتقاء العقل وفطنة الفطرة واتقاد الطاقات لتتجه نحو الإبداع بلا شعور لتوفر الظروف الملائمة للخلق والنقد وبه وللأفضال في جماعة لا تبدع جماعيا حتما بل ربما كل على حدة لكن في بوتقة الإبداع الكلي وفي رحمة ابتاع الأمثل وعدم الرضا بالأدنى والتنكص للنور الحضاري. وبالتالي كان الخلق التحضر إما أحاديا على أيدي الفريدين تميزا نفسا وروحا وعقلا في غياب أسباب الحضارة –وهو في الحقيقة ضروري عند النشأة الأولى للجو العم الحضاري

FOR AUTHOR USE ONLY

إذ لا مندوحة من البدء بأول خطوة على يد مستشرف عملاق ليتبع الغير السبيل المنير- أو في كتلة الجماعة بمعنى الفعل الفردي المتحد في الجهد العام الموفر لشروط الحضارة تحفيزا ونقدا ومحافظة وتطويرا بلا شعور للإصلاح الشعوري والتغيير التقدمي المريد المبتغي لكل روح مرقية للبشر.

وفي نطاق النقد السديد تجدر بالفيلسوف المتزن الحصيف مرافقة النصوص المقدسة أو المعتبرة كذلك للحكم عليها بالصحة والخطأ مبقيا الواضح الصحيح والباقي الرفيق الميسر للحياة النافع للإنسان والعالمين طارحا عرض الحائط الغامض الخاطئ والعسير الجامد مما يحافظ عمقا على هدوء النفس وراحة الروح ودوام فعل العقل السديد للخلق المجيد. وعندما تبتذل الكلمات والمفردات والمصطلحات بمعانيها تأباها الروح ويرفضها رفضا باتا العقل الرشيد الموسع للفطرة السديدة والفكرة الرائقة الفريدة مما يدعو للتجديد المستمر بحثا عن الحقائق الأولى لتلك الكلمات كثيرة الاستعمال قليلة الجدوى فكرا وعملا نظرا وتطبيقا سببا وأثرا. ويفرق بحزم بين الوسوسة الرجيمة والهوس الشري في القضايا العادية والفلسفية من جهة وبين التطلع الفلسفي الفطري البحاث عن شرح مريح للمسائل الوجودية العالية في جو هادئ من التحليل الرفيع والدقيق بالوقت الكافي الشريف من جهة أخرى.

FOR AUTHOR USE ONLY

وكلاهما مفتقر نورا للوقت المسعف في رفق بالروح النبيلة واستغلال لطاقات النفس الكريمة. وحسب الفكر الموسوعي المتدرج فإن خدعة الاختصاص لا تنطلي على المحررين في الدين الحق الذي يعنى به الجميع سواسية وبلا تفرقة أبدا لاهتمامه بالقضايا الوجودية خاصة وبما يتبعها من مسائل يستطيع العقل المبين بالتدرج فهمها باستقلال الفرد بفكره (جمعا واطلاعا ثم تفكيرا وتساؤلا فنقدا وابتكارا) على عكس التخصصات الأخرى المحتاجة فعلا للتفرغ التام لأنها تقنية (ولا تقاس عليها إلا في الأمي أو غير مريد الترقي في الفقه ، الأمور التشريعية في الكتاب أولا وآخرا وغيره –الحديث- استئناسا) : فالدين كله بأجمعه قضية الإنسان بحرية الفهم والاكتشاف رأسا لا ذيلا لأحد. ولا يؤاخذ امرؤ إلا على أمرين : نكران عقلي أو جحود قلبي حاسد و/أو متكبر، بمعية الفطنة التعاملية مع الواقع بإثبات المبادئ الذكية دون غباء حماسي خصوصا في العلاقات الدولية الاستراتيجية.

نشير إلى أن هناك بونا عظيما بين الأسلوب الأدبي اللغوي العادي وبين التحليل الفسلفي المقتضي للدقة وهذا ينطبق أساسا على قضية الأسماء والصفات في العقيدة وما شابها من ظلم فكري وحيف ذهني

وعصبية مذهبية : فالقاعدة هي البحث الحر في جو الأخوة الإنسانية وكفى ؟؟؟ وتقعيد المنطق يشبه قواعد النحو (محتاج إليها خاصة عند التعمق والتخصص في النقد والشرح للعامي ببطء وللعالم حيب حاله ومستواه) فمن نفاه فأحرى به أن ينقض النحو واستقراءه (الناقص إلا عند التحري الأتم) ؛ والحق أن النحرير والفهيم لا يحتاج لا لقواعد المنطق التي هي موجودة أصلا فيه لخلاقتيه وعبقريته (وكل إنسان عبقري بقدره) ولا للنحو بالأخص عند التناول اللغوي الكثير المولد لملكة لسانية لا تمر ضرورة بالقواعد النحوية ولا الصرفية وهي منبثقة أيضا من قوة القريحة واتقاد الذهن المقارن الفقيه السريع. فالتفرقة إذن ضرورية بين التعبير العادي الواقعي من جهة وبين التدقيق الفلسفي الشرحي : بون عظيم بلا عقد، من جهة أخرى، كما أن أصول الفقه والنحو والصرف والمنطق أشباه توطيئية تمهيدية منهجية. ونكرر قاصدين أن انفكاك جهة الإحساس بالموضوع (النحو وسعة الباع الأدبي + المنطق واتساع العقل الخلقي) يبدي ظاهرا تناقضا وليس بذاك لأن الزاوية المحللة عقلا بالشعور مختلفة من هذا إلى هذا علاوة على أن التقنين النظري في النحو سليل الإحكام الأدبي والتشرب اللغوي للمادة اللسانية على غرار الفلسفة ونورها الموجدة خلقا لقواعد المنطق من خلال المادة الفلسفية بل بالأحرى عبر التعمق الفطري الفلسفي للعليم والتقعيد السليم للحكيم.

FOR AUTHOR USE ONLY

لا ريب أن العباقرة يبدعون من خارج الأطر كلها لذا لا يحتاجون البتة لآراء الآخرين لأنه نسيج وحده ونادر دهره ووحيد عصره لكن بخلود المواهب وانقراض الأنداد على قلة المصداق الخالد من قبل ومن بعد (وجود عمالقة كثر ندرة في غثاء البشر ويوجد واحد أحد فرد صمد لا يشبه إلا نفسه ولا يضاهيه فرد ولا أحد).
(1) فنقول أن **عدم التعين** أو عدم اليقين في الفيزياء الكمية مثلا، يوحي بقانون مجهول ينتظر فض بكارته واكتشافه يفسر ويقعد وينظم بوضوح باهر سير "فوضى أو عدم اليقين من الظاهرة تحت ناموس معين".
(2) و**الاستقراء الناقص** في العلم التجريبي يتكامل ضرورة بالاستنتاج العقلي : للكون نواميس ثابتة خالدة (وكل استقراء ناقص له استنتاج كامل بعد الفحص العميق). وهاته رؤية استشرافية استباقية بتكريم الرحمان للأخيار بإمرار مطالبهم وتلبية طلباتهم لاستحقاقهم ووفاء الله لهم ومنه الشفاعة.

إن إيمان الفطرة ينمى ليصير إيمان اقتناع عقلي نير ونتيجة بحث عقلي فلسفي مثمر رحب موسع، بالإضافة إلى إيمان الاتباع القدوي (بالقدوة) جراء التعامل والتأثر بالخير وأهله واعتناق المبادئ وحاملها مما يضم أيضا المؤلفة قلوبهم لا شراء لعقولهم بل جلبا لهم بالفطرة وللفطرة قصد تذكيرهم بها وحض لهم على العودة لنورها والاستفادة من ضيائها وهذا في الدرجة السفلى من الإيمان والفهم. والغاية القصوى هي فقه

البواطن والتمتع بالفطرة الكريمة على أحسن وجه وفي أكمل الظروف وأتمها. وهذا منطو في سنة النقد "قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين" مع قصة سليمان والهدهد. هذا، ومعقولية الصلاة مثبتة في جو الصحراء الحار المتسع في البدو استحبابا دون الحضر الضيق بالأشغال وبالأعمال ؛ ناهيك عن الحرب التي صلاتها الحقة الفريدة الوحيدة دحر العدو اتخاذ الأسباب لا غير بلا شعوذة.

وتضم إلى هذه الدائرة التلاوة الغبية كالدعاء الغبي وهما تبع لنور عقل فاعلهما والواقع خير شاهد مع عذر الأميين ذوي الفطر على عكس المتعيلمين بدرجات مختلفة واشنعهم المتحذلقون المتكبرون. ويقيم حب الملحدين وأفكارهم لتحررها والإتيان بالحقائق الشعورية والإحاطة بالأحاسيس الفطرية الإنسانية : حقا ؟؟؟ فمقرر أن ارتباط المعابد بالروح والعقل المقيم الممنهج السوي النصوح الموجه يهدف إلى تسوية الكل كنائس وبيعا ومساجد وغيرها في التخلي والعزلة الفهيمة من أجل الاسترخاء العمراني والتشييد الحضاري بالتواصل الزمني الخلودي. كما أن تشغيل المبدأ مع الفعل نفسه هو الفارق بين النتيجة وأختها : الصلاة كاستحباب للتنويع أو كفرض شكلا. وهذه الفعال تنبت الرضا الفردي النفسي والروحي والعقلي عن الذات هنا وهناك (دنيا وآخرة) للطبيعة البشرية المستنيرة بالجهد الرفيع لا القاتل ولا المضني لأن الترفق بالنفس واللطف بقدراتها هو الأجدى والسبيل الأسمى والطريق الأوفى. –خرافة الندم في ذلك اليوم الآخر-؟؟؟ لذا يتقى ضرر التلقي والتلقين الخطابي القديم على المشايخ وعلى المنابر بالاستقلال المتدرج إذ تورث الأولى خلاف العقل المستقل الخطل وضيق الأفق بخلاف الاستقلال التعلمي الموسوعي العلماني. وهو زلل ظاهر وزيغ بين. والنفس توسوس وتسول لكن الشيطان مختص الإشعال واختصاصي الافتعال والتهويل خاصة في الظروف الصعبة عليه اللعنة التامة. ليضحك الإنسان الحر المحرر بابتسامة العليم الحكيم من تتابع حب الاستقلال وعشقه من جهة، والاستمتاع وطلب العون الرحماني ذاتا وكلاما من جهة أخرى.

فالحدة من سمات الأفذاذ العباقرة وكذا حب العزلة المعتدلة لا الكئيبة الحزينة : الإبداع السعيد المسعد، والحدس العبقري لا يخطئ خاصة إذا قارنه التحليل العقلي ولو كان بسيطا أي أوليا : الحكم على الأفكار ومنها الكتاب وغيرهم. ويجب التحذير كله منذ نعومة الأظافر من الأساليب السلبية والمناهج المشينة هي التي تقمع العبقرية في التعليم الرسمي لأن هذا الأخير المنظم بروح الإبتكار لن يزيد الخلق إلا تفتقا ولن يكون إلا تلاقح القدرات وتلاقي القرائح العظيمة لتتزاوج وتتعاظم : كل شيء محكوم بالغاية القصوى والأسلوب الأمثل والمنهج الأحسن والطريقة الأسوى السوية. كل هذا العمل ابتغاء الحكمة التي تشع على العلوم والمعارف لتخدم في رواح وجيئة بين الحسنيين.

FOR AUTHOR USE ONLY

وهو أيضا غاية البطل الحق الذي تتجسد في روحه الخيراتبمبادئها على عكس نصف البطل في اهله الخسيس في الاخرين ومعهم (الإنسان الكريم). فاكتساب الشهادة الأصيلة دليل العلم والعرفان لكن استثناءات واردة على محدوديتها فالأصل هو التبريز والتعلم في الأكاديميات بأشكالها وعلى مستوياتها المتنوعية. مع تعزيز فكرة الكفاءة التي هي محك الوجود عموما والسياسة خصوصا أصلا أما التسيير الخبروي فهو محمود في إطاره وبحد أدنى من الدراية العلمية هذا في الممثلين للشعب أما الناخبون فلا، لسيادة الشعي كاملا بلا تمييز بين افراده مه تحمله المسؤولية تامة في اختياراته كلها سلبا وإيجابا، أما أهل الحل والعقد فهو وهم نظري وتطبيقي فم يعينهم ؟ ومن ينتخبهم بدلا عن الشعب ؟ كأمريكا ونظامها الانتخابي المختل الأعرج رغم غيجابياته وعراق البلد (قضية 'الناخبون الكبار').

FOR AUTHOR USE ONLY

ومن مشاعل الإبداع شعور الهدوء إنباء عن تجذر الحقيقة استقلالا في النفس وتمكنها من الروح بالعقل البين على وعورة الطريق وغرابة الإحساس. وفتوحات العقل الفريد تتمثل في تحريره للموسعات العلمية بالتساؤلات الجيدة المنيرة لا الشاذة بمعنى الاستهجان العقلي الممتاز بل المميزة بخيرها النظري والفعلي العملي. أما هراء الاعتماد على الكثرة والاتفاق مثل إثبات تاريخية الكتاب سندا ومتنا أي بنصه حرفا بحرف فلا شيء، لأن البرة بالدليل التاريخي الذي يرضاه العقل السديد ليحلل فيما بعد مضمونه في روح حرة محررة بلا لبس. لأن كل من ساوره دخول الفكر السوي في العقل النقي والقلب السليم والروح العميقة تغلغل الديمة شيئا فشيئا حتى التشبع التام للروح الكبيرة.

عند تذكر الماضي نقدا في نمو لا نستفيد سوى فرحا بالتطور والكبر العقليين بالرغم من اختلاف الدوائر النقدية من فكرية بحتة وروحانية عقلية ونفسية إشراقية بالنور المبين العقل القويم زيادة على الاشمئزاز من قول الحق على ايدي وفي فم المغفلين والمقززين في كل حالاتهم أو في بعضها (السلفية المتوحشة الضالة والصوفية المتواضعة).التحرج من المرجعية لشخص أو نص ديني لدى الاستقلال العقلي وهو حرج يرفع بالوقت لذاتية الاستقلال الفكري يقينا بلا تأثم. فالكبير هو الفأل عينه فكل شيء جميل تعبير عنه وتجاوب معه على عسك القبيح وخبثه اما العادي فهو المستبشر فطرة بما يروقه وله. سببب تحول النقد يتغير الشعور من ضد إلى ضد ومن حالة إلى ضدها لصالح الإنسان وحريته ولو أن الجو فيها متعب والمهم هو

اشتغال العقل الحر بتمامه في كلتا الحالتين أو الحالات بكامل التحليل الذي لا يغيب فيها كلها كالعقل تماما مطلقا.

بيد أن الاهتمام بالكبريات يدعو العظيم العميق إلى استصغار التحاليل البسيطة والتي لها مجالها في البحث ولها قسطها من التنقيب والشرح لكن الاعتناء بها الشديد يؤدي إلى التضييق والتخندق الأكاديمي الذي كان من المفروض ان يكون للوسع والعمق والأهمية والشأن في الطروحات. لكن لا بأس في أوانه كاختيار الكلمات العنوانية وتعليله وغيرها. وينضاف إلى أمر الرفق بالنفس والانبراء للخلقية حب المطالعة للنصوص كالتعلم مريح للأعصاب العظيمة وهو لا يفقدها حقها وعشقها للملذات غير أن رغبتها في التخليق كبيرة وتجد أريحيتها في البحث والتفكير الصعب على الخلق أجمعين لتبدع من عدم، وعكسه أي العمل بلا راحة هو الأصل البهجي لأنه على صعوبته في حالات معينة مثيرة للإنتاج في ثورة التفكير فهو متأت بالترفق بالنفس العميقة. فائدة الانتقال من الكتاب للمطالعة إلى الخلق الإبداعي استراحة واستلهاما.

إننا نعتقد أن التخصص مفيد لكنه منطلق فقط لذا ينظر بعدم ارتياح ولا رضا لعمل المتكلمين في حقل من الحقول ولو أطالوا النظر فيه إجالة وتحليلا –شبههما- لأن العظيم ينظر من على (1) من إجمال علمه وبإكمال إحاطته (2) في تحقق فضله وإشرافه المفصلين. فهو بهذا وذاك يرفض الكل ولو سمح به في بعض جوانبه في حالة من الحالات التي يرتضيها هو بنفسه لكن العمق عمق آخر والفكر فكر متميز. نعم في ربط الفكر بالميدان تؤكد المبادئ الموضوعة بدقة وشرح وثبات ومتانة بالنتائج إلا أن النتائج الصحيحة المحققة في الميدان التي تلي المبادئ أو مبادئ معينة توكد تلك المبادئ التي خلقتها وأنتجتها وولدتها فالعملية بين رواح وجيئة مبادئ وقواعد من جهة ونتائج وآثارا من جهة اخرى (علاقة النظري بالعملي مثلا). مما يؤدي إلى ظهور عوامل التخلف في الإيديولوجية الموجهة للفساد والدمار خاصة الفكري لفائدة الركود والجمود العقلي والفعلي بشعارات الأجوفين وعبارات الأغبياء النائمين مما يؤسس للجهل المؤسساتي في شعب تائه و"دولة" شبه دولة" مستغلة للرماد الإنساني ومستعلمة بسوء للأشكال الغاوية الخاوية. وقد تعجب –بيقين- قرائح الكبار الفيلسوف الجليل لكنه لا يرضى عدا بنفسه ولا يقبل إلا تحليله ونقده لكبرهما ووسعهما وحريتهما بغض النظر عن الأجوبة الآتية والشفاءات الخالدة التي تتنش العطش الروحي (قبل التجسد) والري العقلي (بعد التحقق) في رفق بالذات النقدية وراحة للعقل البدين وللفكر السمين.

كما أن الكمال في الوصول إلى درجاته ومكانه مثمر على أن النفس تمج الانتقال المؤلم عبر الخطأ خصوصا الروح الكبيرة ولا حرج فيه، من طور إلى طور خشية الندم والحسرة والأسف إلا أن النمو ديدن العظام

FOR AUTHOR USE ONLY

وشأن الإنسان والتطور حركة البيان. غير أن الكمال يعمل عليه ويحضر له طبيعة ونفسا جمالا ومتعة سوى بعض الفطر المباشرة كالجنس والأكل وحب المال وما شابه. وعندها، تتبين الأمور جلية فلا نستغرب الأحداث ولا العوارض في الدنيا وغيرها من القضايا إلا الإنسان ببشريته لا يستمر دوما على نفس الحالة لذا يستغرب بلا تناقض عين تلك المسائل التي استعلى عليها بعقله وفكره وفقهها بروحه العقلية الفريدة. لذا لا حرج نفسيا في الأصل غير أنه لا يتأتى إلا بعد سجال، فغليان العادي غير إشراق العليم في نقده الحامي فالفعل واحد والنتيجة والمعدن مختلفان جذريا وهي رباط الظاهر مع الباطن أو قل تمايز الظاهر السطحي عن الباطن العميق المظهر بيانا في الموسوعات المؤسسات والكتب المؤسسة والمؤلفات الشيقة المؤصلة. وهنا بعمل البرنامج العقلي الفهمي الفقهي برشاقة كلما سنحت فرصة المعلومات وسرعان ما ينشط لدى اتصاله بالمعطيات بلا حفظ ولا يكون ذلك في الحفظ، وتلك هي الوشيجة والعقدة الفكرية التي تبدع وتخلق وتبرهن. فعقل الكبير يطرح كل شيء بحرية الفاقهين العارفين الأحرار لكن الفيلسوف يهتم بالمعالي المسألية غافلا عن قصد وبع عن القضايا الثانوية والتفهة خصوصا فيما يتعلق بأوهام النفس من عقد وسذاجات نسكية وما شابهها فهو متهكم منها شراح لها لفك عوارها ونقض أركانها وما لها ونفض غبارها : فهذا طرح شامل في اهتمام خاص لائق كامل.

FOR AUTHOR USE ONLY

ولا مناص من التوكيد على قيمة الانفتاح كله باوسعه على الميادين علما وفنا أو قل معرفة واشواقا إنسانية هو المفتاح لكل إبداع ولو لم يقتنع بعد ببعض التفاصيل الفنية مثلا وربما غيرها (كلمسرح في جلبابه الآني وغيره). مما يجعل إنزال الأحداث والأفكار في غير موضعها تاريخا زمنيا (عدم توافق تارخي) غير معتبر في الأفكار بل هو صلح في الأحداث نعم لتعلقها الزماني تعريفا أما الفكر الكوني والفهم العالمي والقم العليا الإنسانية فلا لون لها ولا مكان لها ولا زمان لها بل هي المكان والزمان و اللون بما تملكه من قوة ثراء وتنوع تطبيق عابرة الأزمان والأمكنة. وطريقة الخلود قصدا الإجمال وعدم مراعاة الدقائق رائق للفيلسوف في محله اختيارا مع حفظ حق التدقيق في أوانه بالإرادة المكانية والزمانية أو لنقل الحكمية بظروفها كلها فالجمع اسمى لكن الأجمال له صدارة الحكم أولا وآخرا بما له من رؤية شاملة ولا يعوزه الدقة لمن يريدها ولا يعدم الفيلسوف البراعة الطرحية بالتفاصيل جميعا. فلا يكمن فصل حكم الفلسفة عن التقنية فالأولى بالعقل الفريد حاكمة فاصلة شاملة نقدا وتمكنا من التقنية كالرياضيات والفيزياء وعلوم الحاسوب. وكذلك المواهب فهي أساسية في الإبداع شرط مرافقة العمل الأكفى والجهد الأشفى لها والعكس هو المراد أي أن العمل والجهد بلا مواهب كفيل الخلق والنجاح والتعبقر بخلاف الموهبة في غياب العمل وصقله لها.

ونعلن عن مبدأ رصين آخر، وهو أن العقل البين يراجع دوما أسسه المتينة ليوسعها بلا حرج ولا التفاف فحركته دائبة موسعة فكما يحكم على الواقع فهو يسدد خطا ذاته ليمكن لتقعيد الأسس بروية ووضوح ومتانة وصلابة عقلية. ومن النافع تعريف الذكاء بسرعة الفهم –مع أو بلا حفظ سريع أو دونه حتى النسيان- حسن استعمال المعلومات على قلتها (مبدأ الأفضل من الأقل ناهيك عن الأكثر) –ربط المعلومات بعضها ببعض في إبداع جديد –حب الاطلاع العمقي –عشق الأعماق الفلسفية –الاهتمام بالمبادئ والأفكار مع أو دون التقنيات والجزئيات إلا في حينها نافلة –الرؤية الشمولية التوسيعية مقابل التخصص المميت ولو بتجديد لأنه ضيق في قبال الوسع الرحيب. وهو أو نتيجة نور الروح العامة والرؤية الشمولية يضفي على التحليل سعة الرؤية ولو في غياب الإجابة الدقيقة وكأن النظر الشامل يفتح آفاق الخلق الجزئي بالكمال الكلي مما يعطي النفس راحة التحليل وهو شاق ككل عمق ورفيع وعال باستشراف الطريق المتبع في انتظار اكتشاف القانون بروح الكل ودقة الجزء. والذكاء نظري تكلنا عنه وعملي متجسد في القدوة الحسنة تمثل أساسا للعمل وبناء المجتمع الحضاري تفكيرا وتشجيعا على الفضائل فكرا ونتائج، باعتبار التجارب تشكل بداية ونهاية تحقق الرأي والحكم العقلي السديد، تكيفا ومعيشة وفقها فهيما. وهذا امثل الرؤية والمنام كتجسيد واقعي وتأكيد فعلي وتحفيز على العمل العقلي والميداني فقط، لأن العقل المبين مناط كل تحضر وهناء وسعادة. وصنوه من جانب آخر، التعريف من حيث إقامتة لإطار عمل عام يحد الفعل والتحليل لكنه على غرار المسلمة يطالب بالبرهنة كلما سنحت الفرصة والقدرة على ذلك بالرغم من صعوبة الخطب إلا أن العقل القويم يرضى به كليا ولو مؤقتا في انتظار الحكم الأجل للتفصيل الأرحب الأدق. والكلمة المختارة تحفر خندقها الحميد في النفس وهي خطيرة الشأن سياسة وإعلاما وكتابة وفي جميع الحالات لذا فإطلاقها للخلف في صورها المتعددة واجب العليم باختياره واستعداده نشرا للخير وزرعا للسلام.

توجدالإيديولوجية أيضا في العلم في فلسفته لا في تقنيته ومعادلاته وتفحصه للحقائق لأنه قريب من المستحيل وهو محال في عصرنا لتوفر دواعي التنقيب ووسائل التثبت من الأمر. إلا أن الحس الموسوعي ينادي بموضوعية العلوم فيما بينها علوما إنسانية وعلوما صلبة بلا تفرقة سوى المنهج التفصيلي بخلاف الروح الجامعة والفكر الشامل العام. لذا لزم الاتصال بالفكرة الأولى مباشرة بلا واسطة مهما كانت ولا علو خلا للعقل الشريف وهو الحدس الفسلفي القائم بالاكتشاف المباشر تدرجا لكن بوضوح الفكرة جلاء ذهنيا للتفصيل الحتمي المراد في أوانه وإبانه، وهذا سليل الاعتناء بالروح بلا لفظ ولا شكل أو قل التنعم بالفحوى والمقصد بلا واسطة الصورة بشكلها (الصورة الذهنية مقابل المادة الأفلاطونية أو المنطقية).

FOR AUTHOR USE ONLY

وفي هذا المشوار يتضح تنقيح وتلقيح المعارف لبعضها البعض مبادئ وقواعد فكل قانون يعضد أخاه في كل العلوم بلا حدود ولا تخوم بل بجسور وروابط وثيقة وهي التي تصحح بعضها البعض في الوجهة إن وجد شطط وزيغ من أي نوع كان، فهي التأكيد للصحة وهي التصحيح للمسلك والوجهة. وتتبرج فعالية غير المؤطرين عمليا وواقعيا بخلاف الأكاديميين المنمطين شكلا ومحتوى بشتى أنواع القيود (حكاية ميدان لا قاعدة بالضرورة لوجود الأفاضل أكاديميا بالمتعارف عليه لكنهم أخيار اكتشافا واستهزاء بالنظم والأطر لا لشيء سوى لوسعهم وبفضل نورهم ورحابة فكره الخلاق المنتج إبداعا وجديدا). كما يعمل الشريف العلمي الخبير على تبسيط المعقد خاصة في البرهان (رياضيات وفلسفة معارف إنسانية وتقنية) –تقريب باسكارا للجيب- والنشاط هذا تابع لتعميق الفكر بتوسيع دائرة الاقتدار في العالمين البشر، وأكبر فضل إنساني هو برهنة الأول وتتبع الأخر (أسبابا أولى وعايات أخيرة) ومنها المسلمات والبديهيات ليكون "التسلسل التعميقي" بداية نافذا (عمق البدايات والأوائل) ونهاية جاهزا خالدا (غور النهايات والغايات). روعة الروعات وأصالة الأصالات.

ويبصر الجمود خوفا وغيره من المجهول والجديد (فيبناتشي ليوناردو بيزا 1200) عادة في البشر ككل الشر فيهم والسلب في نفوسهم ومطلب الكريم إزالته بالعودة إلى أصله لفقهه وتأصيل الخير من جذره بعد التشخيص الدقيق من فصله. غير أن اعتياد العلا يذيب الغرابة من الإبداع على التمتع به والالتذاذ بخيره النظري والعملي (خارقة العادات في نفس الكبير أما صغر العالم والكون طوعا والبشر العاديين)، يدعو للعزلة الفكرية من أجل الفائدة الكلية حفاظا على الطاقات العزيزة والأرواح الفريدة فزرع العلم فن كاكتسابه والاقتصاد في العلاقات سمة الرفيع العليم بحكمة القدير بنور. ولا نستثني البتة عمل الوراثة في المرء حقيقة بيولوجية وقليلا سيكولوجية غير أن المآل الأخير للكسب الفعلي للإنسان نعم بما أوتي من قوى بدنية وعقلية لكنه يتعهدها بعمله ويطورها بجهده ويعدلها بقدرته لتكون الطبيعة الخلقية مادة وكانت وتكون على الدوام السليقة الميدانية الاكتسابية نبراس السنا البشري مادة وأدبا مصححة الخطأ ومتفادية السلبي لفائدة تثبيت الحق وتأصيل الإيجابي : فالعمل هو الأساس في الصغير والكبير بيولوجيا وخاصة سيكولوجيا وفكريا (مادة وروحا).

FOR AUTHOR USE ONLY

وفي حقل المعرفة فوحدة العلوم من وحدة الوجود على صعوبة المسلك نفسا وعقلا رشيدا وهو القائد دوما، وغياب الأفضل **القطب المركزي** فلسفة وعقلا وروحا شريفة عالية ونفسا سامية لا كغيره بالرغم من تناظم الكون وتناغم سننه ومكوناته في وحدة الوجود لكن هيهات من غياب وغياب وشتان بين فضل وفضل (قاتل مدمر ؛ مهمل يؤول إلى الضفر). بالإضافة إلى أن النظام والإتقان يحملان الرفيع على الارتقاء إلى حد الوسوسة المتحولة بالعقل القويم إلى ضبط ونظام وتنظيم وسلاسة والوقت كفيل بالنتائج العميقة وهو خير حليف). وهذه الوحدة المعرفية تنبع من شهوة الإبداع في لحظات السرعة والعجلة والانشغال بشيء لآخر وبعد الفراغ من العمل او شغل غير الفكر رغم تواجده الدائم، وتنوعهم الخلقي الطبيعي يوحي بإعلاء قيمة البشر استقلالا وقيمتهم رفعة واستعلاء. مما يدفع الموضوعي علميا والحر نقديا إلى الابتعاد عن النص راحة الاستقلال والإبداع للاستجمام عموما وخصوصا لفائدة التخمر الفكري والتخثر العقلي والنضج القريحي في الاستقلال وهو المراد. وذلك ترجمة الصرامة مفتاح الطريق مع إزالة الماضي تشابها في المقارنة السلبية للضرر والذكريات السيئة وغيره سيما في ساحات الضنك والتعب من اجل واحات العمق والسداد الرشيد. فمع الجرأة الفكرية تتموضع الشجاعة النفسية برئاسة العقل المنير كديدن للكرام بقفد ولو شعورا ووهما الكل والجميع أو دون ذلك في المشروطية الإنسانية من خوف وإحساس بالضيق وما شاكله من أحاسيس الإنسان.

FOR AUTHOR USE ONLY

وهي الثقة بالنفس في المبادئ نظرا اقوى في عقل الحصيف من الواقع لا غير، بالرغم من ضرورة التحقق في الميدان للعادي والعليم الحكيم لا لنفي الواقع المنيف بل للتأكد من العقل السليم والبعد عن الكيل بالتطفيف. فتحرير المفاهيم بإعادة النظر في صياغتها تفاديا للأدلجة والدوغمائية التوظيفية للغايات التافهة المؤطرة إيديولوجيا جادة الإصلاح الثوري بتؤدة العارفين الراسخين المتمرسين. فمثل الكروي والدائري بديهي بالمشاهدة يحتاج إلى نور العقل الفرد للمصادقة عليه من خلال خصاصها ومميزاتها (تجربة مشاهدية + عقل مشرف) (حساب المثلثات كروي –عربي- ثم مسطح 1500) : طلب العقل للتعليل حتى في العادي مشاهدة وعقلا كذلك للتعمق أكثر والاستزادة في سبر الأغوار كلها أكثر.

وكي لا يضيع الفقيه الفيلسوف وقته ولا جهده، عليه حمل القضايا بالمرور بها في الوقت المفيد أي من السوء إلى الخير بالزمن المار يقينا وهو تبيين ضمني باستغلال الوقت والطاقة في العبور إلى أوقات أفضل وحالات أحسن وظروف أمكن (نسيان التقرير وغفلة التحقيق أي إهمال للتجسيد). تمسكا بالبساطة فلسفة وميدانا فنا وعلما (الهندسة المنظورية –ديزارق، باسكال وبابوس) + النهضة واعتمادها المنظور (دافينسي)،

مع زيادة بهجة متعة التركيز في الشهوات على جهة مقابل تفتيتها على جهات لا تشبع توحيد شهواتي عكس التشتيت الذهني والعملي والمتعي. كما أن التكرار في العلوم الإنسانية لتحقيق المبدأ وتوطيده في العقل والنفس والروح خاصة وهذا ليس تفسيرا بل مجرد ملاحظة محققة في الواقع عند الفيلسوف البحاثة عن الأغوار البعيدة. والعبرة (1) بالجو المخلوق جراء الدرس والمتابعة ودونه (2) الحث رغبة في الاكتشاف (3) وبعدهما المعلومات قلة وكثرة والجمع خير بركة وتمام، بفضل المنهج نفسا وروحا وعقلا، مقصد العلوم وبيت قصيد العقل الفنان ببرهان وهو دور الأستاذ الحاذق والمعلم الفائق بتبسيط المعلومات في بحبوحة الأجواء مع توفير فضول العلوم : رغبة واستعداد ومعلومة بمنهج الحوار التوليدي والتنقيب النفسي والبحث العقلي في روح المتعلم أخذا وردا ؛ والبغية هي المنهجية في الصغير والكبير لأنها مولدة المعارف وخالقة البدع الكشفية ومنتشة الأفكار الأصيلة الندية.

ونطرح من جهة أخرى الازدواجية الفطرية البشرية في تفاؤل وتشاؤم وراحة وتعب بمسالة الشر وتندرج فيها مسألة الخطأ والكل للنمو والتطور. الخطأ رحمة وكرم من الطبيعة لأنه يتيح للإنسان الانتقال تدرجا من مستوى إلى أعلى منه وأوسع وأعمق فكرا وعملا ؛ وكأنه لا بد منه في كل تفكير وفعل وعمل وتطبيق للتصحيح والترقي في سماء الإبداع وكسر حجب التخوف والخوف والهيبة من المحاولة والمجهولة مخافة الزلل والخطأ. فالمشكلة حقيقة تتمثل في أمرين اثنين :

FOR AUTHOR USE ONLY

(1) أولهما عدم المحاولة وهذا جبن قاتل.

(2) وثانيهما التنكب للحق و اتباع الباطل والاستمرار والإصرار على الخطأ.

لأن الإنسان –العاقل طبعا لا المريض- مسؤول عن أفعاله كلها ويجازى عليها وطبقا لما عمل مع مراعاة جميع الظروف والملابسات المحيطة بحياته ككل من شخصية وعائلية وتربوية وتكوينية مما يوجب عذره قدر الإمكان لتحقيق الأمن والعدل المجتمعيين من جهة، ولتفادي الإقصاء والإدانة -مهما كان الأمر- مجانا وجزافا، من جهة أخرى.

إن انتظار الإنتاج في تعقل وعلى مكث هو ما يسمى **"القوة الكامنة"** أو **"القدرة"** التي تتجسد **"قوة فعالة"** أو **"عملية"**، فذلك هو الغيب العقلي النير المبني على الاعتماد على طاقات النفس والروح العقلية والقلبية لتحقيقها تأكيدا وبيقين في ترسل وترتيب ونضج أفكار داعية ومنادية لمثيلاتها بالقوة والفعل En Puissance & En Acte. فللنفس شرور اقتضتها الحكمة العليا الحنونة المشروحة من الآن –تفصل في أوانها- تتعب العقل التواق للمعالي إلا أن الشيطان يؤججها ويشعل نارها ويخيفها بأوهامه وأراجيفه الواهية المتهافتة ولا سلطان له على الإنسان الإله إلا الوسوسة الرجيمة المهزومة بالعقل الوقاد والنفس الحازمة واليسر الرباني التوفيقي الغالي المتكل عليه أولا وآخرا مع العقل وأنواره وبركاته بلا نهاية. إلى جانب أن هناك مستويين من الشعور والتحليل عموما :

(1) العقل المشرق وموضوعيته التي تستقل عن العاطفة طارحة كل ميول روحي –ولو أن العقل روح كريمة- وإحساس مريح –رغم راحة العقل وطراوته-، خاصة أوقات البلاء لقسوته تعريفا إلا بعد التمرس في سننه وقوانينه بالوقت والجهد والتريث اللازمة.

(2) الروح أو العاطفة لا الجوفاء بل المستضيئة بالعقل أو قل الناتجة عته والمتولدة عن حركته الدؤوبة مضيا في الارتقاء والعلو العقلي والروحي العاطفي معا.

والقاعدة المسعدة الحقة هي أن العقل الكريم الحاد لا ينتج إلا نفسا طموحة للخير عالية الهمة لتصب في العاطفي الجياشة المعللة والمدللة بإطناب مفيد وبعمق وتعمق بلا حد.

فكل ما جال في الفكر والعقل الرشيد بغرابة واستهجان فهو على أقل تقدير مقتاح لاكتشاف عقلي رائق وراحة نفسية عميمة إن لم يكن ذاته أي الاكتشاف المزهر المتفتح الفاتح. لذا يجب إطلاق العقل المنير في النقد والتحليل والشرح والتفسير بعد التساؤل والنقاش لتظهر الحقيقة العقلية مشرقة ناعمة واسعة رحبة موسعة للذهن وللنفوذ العملي. ونعلم العالمين أن كل الناس مكتشفون قدرة وليس بالضرورة فعلا وذلك تبعا للملكات الطبيعية الداخلية والخارجية الموهوبة من جهة وللعمل والمواظبة من جهة أخرى. ومع التأكيد على دور العمل والاجتهاد في التفكير والإبداع والنفوذ والتجسيد الميدانيين، فإن الظروف المحيطة المنطوية طبعا في الملكات كلها بوصفها خارجية لها دورها الذهبي والأساسي في بلورة شخصية الإنسان الفرد وتحديد مستقبله واتجاهاته إلا أن الطاقات الداخلية تحظى بحصة الأسد لما وبما توفره من مقدرة على تخطي العقبات والازدراء بالعوائق الداخلية فطرة والخارجية كونا بأنواعها.

FOR AUTHOR USE ONLY

وبالتالي يتفاوت الناس ضرورة خلقة وعملا في الاكتشاف بمقدماته ونتائجها جميعا، مع التذكير بطبيعتهم الاكتشافية والإبداعية بشكل عادي بامتياز. وعلاوة عل هذا، فالأخلاق كل وواحد لا تشذ عن المبدأ الكشفي السابق لأنها فطرية بتفاوت عند الأشخاص لكنها مكتسبة أيضا بيقين بفضل المثابرة والجهد المتدرج الذكي والرفق بالذات والنفس الطموحة للكمال. والذي أوتيهما فقد جمع الخير بحذافيره. ومن أجل أن تؤتي المعارف أكلها وتنتش ثمرتها يانعة فالاتصال بالغير محاورة ونقاشا ومطالعة ضروري وبديهي لتنبيه الملكات واستلهام الأفكار الجميلة النافعة وتوسيعها أسلوب آخر وبطريقة خاصة أرقى إن لم يكن في الوسع خلق أخرى من عدم. فلا تناقض بين إحاطة الإنسان بكل العلوم حسب الأشخاص بطبيعة الحال وبين الأخذ من الغير ونقد كتاباتهم وتوجهاتهم من أصولها كالعادة الفلسفية المجيدة الخالدة. ففي الاطلاع على ما في أيدي العالمين قد (1) تثار الفكرة بلا سابق تفكير فيها (2) وقد تؤكد أخرى سبق الفكر إليها استقلالا (3) وقد يفتح بتلك الجديدة (القديمة) أفكار أخر بطرق طول، وقد لا ترتضيها الروح البديعة المبدعة والنفس التواقة الخلاقة لاتصالها بغيب الكشف واحتقارها بما في اليد من شبه علم غث –على صدقه في بعضه أو كله- والعبرة بالأصالة المعتبرة للعادية المتطلعة للخلقية والقادرة على الخالقية من العدمية. (اعتبار ميداني واحتقار بفضل النور الابتكاري).

FOR AUTHOR USE ONLY

وبإمكان الإنسان الإله استعراض كل شيء بلا استثناء في ذهنه وروحه تدرجا وليس يستطيع عمل أشياء في آن واحد كما لا يمكنه التماكن أي التواجد في أماكن عدة في وقت واحد ؛ إلا أن العقل البشري الخلاق والمخ الإنساني يحيط بيقين بالوجود وما فوقه فكرا وتصورا على الحقيقة والبيان. وبالتالي ففعل العقل ونشاطه يتم على مراحل وعلى مستويات يرعاها الوقت أو الزمان (والمكان بدرجة أقل) أي تجارب الحياة المؤطرة بالفكر والإمعان والتحليل والنقد الدؤوب الحر المنتج. وما هذا بالضعف البتة بل تلك الطبيعة البشرية التي ترقى بالتدرج إلى الأفاق والمعالي على أن العظيم المستقل الإله كامل متكامل لا يرضى إلا بالتمام من أول لحظة برهة.

علاقة التناقض بالبحث والرقي وحدوده مقبول لكن المنهجية العلمية تدعو للروية في تناسق الفكر بارتقاء دوما ولا حجة في تغيير الموقف بعد التأني والتنقيب لكنه استثناء في عقل القويم لئلا يصبح المرء شبيها "بالذنب الديك" في مهب الريح يدور معها أينما تدور ولو كان بعد تبين لأن الحصيف يدلي برأيه بعد أناة مقبولة بلا عقد وعبقريته تدل على تريثه والتعبير عن موقفه ببطء العجلة الفهمية في سيرورة النقد وصيرورة التحليل. وعلى الكل فالتناقض مذموم بيد أن الإدلاء بالحقيقة في التطور الفكري وارد ومتعين في عين الحصيف.

فقد تظهر إمكانية الخطأ في الحكم على الأشخاص حتى معاملتهم إيجابا وسلبا والفراسة حاكمة ولو في جانب معين غير أن المتفرس يجدر به الحذر بلا طأ ولو وجد لكان ضعيفا له تأويله الخاص وقد يرد الخطأ كاملا ولا بأس لأن العبرة بالعمل وإتباع الفكر والنية بالفعل والعاقل على حذره وفطنته لا باشر العمل إلا بعد التحري والكيس أفضل دواء والحيطة خير صفاء. وسبيل الرشادالعلمي هو عقد التوازن في التشخيص الطبي وما يلحق به من تطعيم بما يحقق الصحة بعيدا عن جشع المخابر وعن هوس المرض وهو مبني على المراجع الطبية المحايدة المتكثرة لإقامة الحقيقة فكما أن الحذر مطلوب بحدة كما أن عمل الطبيعة العادي المتزن قانون جيد. فالمخابر الطبية خاضعة لإيديولوجيا المال على غرار بعض الحقول العلمية البحتة في العلوم الصلبة المستغلة للعلم في توجيهه إلى طريق معين، وهنا الهدف هو المال والربح الأكبر ولو على صحة الناس مما يدعو غلى الحيطة والتأكد من صحة القول خاصة وأن تشابك المصالح سياسة ومالا واقتصادا غير قليل في حياة العالمين.

FOR AUTHOR USE ONLY

ويكمل ذلك الميزان العلمي النفسي الفكري الروحي بالبحث عن الأحسن باحتقار متوازن للمحصل عليه في العمل الفردي والجماعي وخاصة ما تعلق بالدولة في جميع القطاعات بلا استثناء للخاص الذي هو مطالب بأكثر فعالية وأفضل خدمة بفضل المقابل المقدم أي المال عوض الخدمة وما العمومي ببعيد عن هذا لدفع الضرائب المباشرة وغير المباشرة ما دام المواطن مواطنا في دولة الحق والقانون الإنسانية. إذ لا يفنى العقل المبين بتاتا ولا يسن بل على العكس من ذلك بشحذ بالتفكير وبالوقت وبالتجربة البناءة ليلم بالماضي والحاضر والمستقبل على ضوء ونور ما عاش وعايش واقتنع وفند. وراحة النفس ولو كانت فعلية (دون الحديث عن الوهمية) أي حقيقية لا تغني شيئا لدى الفكر الحر النير المبين الشراح ولا تعدو أن تمثل إطارا مريحا فحسب لمزيد من السكينة والوقار النفسيين وأكثر من ذلك لأكبر عمق وأوضح تعبير وأشفى جواب بل أجوبة بلا حد ولا نهاية. فالغاية الأولى والآخرة هي بلا أدنى مقارنة النقد الهادئ والشرح المتعمق المتوجان حتما ويقينا بالراحة العظمى والشفاء الأسمى والسعادة الفضلى والاكتشاف الأمثل. ولما يستقل العقل بنفسه لا يرضى بمنازع آخر مهما كان بل يكتفي بنفسه وبنتائجه الحقة دون مرجع بتاتا، وكل ما عدا ذاته منازع له أيا كان نوعه. وحديث النفس للنفس غاية قصوى وهي نتاج الذاتية المستقلة في الشرح والإفهام والطمأنة الاستقلالية. ويتمثل دوره الجليل في الاهتمام العقل المبين بالمهمات والكبائر يغنيه عن الالتفات إلى الصغائر لسعة الأولى بلا انتهاء وضيق الثانية بشكل مقيت على المستويين التحليلي النقدي فالشرحي من جانب والواقعي المعيشي من جانب آخر. إذ العظيم عقلا ونفسا ومحتدا ينظر من علياء وسماء ارتقائه إلى الأمور بمثالية التحقيق لا مثالية التنظير الفارغ مما يثقل كاهله لارتباطه إنسانيا بالحياة الكريمة.

فجمع الحالتين يرهق الذات جسدا وروحا وعقلا، غير أن الفيلسوف الكبير يراعي الوسط والاعتدال معتدا بنفسه في كل الأشياء لنفع الناس ومحبتهم وترقيتهم في ظل الترفق بنفسه السامية المنطقية في صغير القضايا وكبيرها. ومسيرة الغضب الفكري في الخلد الفلسفي ترمي إلى الإتيان بالجديد دوما ولا بد من الفرح به لتشجيع النفس الكبيرة على أكثر إنتاج وإبداع بتوجيهه بلطف إلى النقد الهادئ وعذر الغير على اختلاف درجاتهم وتنوع مستوياتهم، ابتغاء الاستقلال الأتم والخلق الأكمل في ثبات وتنام وكثرة نوعية وكمية. مما يعبر عن حركة النفس والفكر الدؤوبة –أي المضطربة أو المتقدة بألم ومشقة- ليست خالدة بل العكس هو الصحيح حيث أن الأفكار تتلاطم والقضايا تتعارض والمسائل تتشابك كي تستقر على محك العقل الأحكم خلودا ودواما لازمين صعدا إلى المعالي الاستقلالية كما نؤكد على الدوام والبقاء.

فالفلسفة هي مربط الفرس لا الدين –وذكرناه لأننا أجبرنا عقلا وواقعا عقليا تحت مظلة الاستقلال والخلق والتخليق- ذلك أن العقل التعليلي البين بداية ونهاية الأشياء جميعها ولا حاجة للدين وتوجهاته البتة ليس فقط للفيلسوف الحق بل للناس جميعا بسبب استطاعتهم على استكناه الحقائق بأنفسهم دون توجيه خارجي أبدا. وما حديث الناس ورجوعهم إلى الدين –بغبشه وغثه وسمينه- إلى عنوان إما الجهل المطبق والتواكل المميت المفني للقدرات وللحضارات وللحياة وإما جمع بينهما مشكور لكنه غير كاف لأن الأصوب والأنجع هو إعطاء السبق والأولية للعقل المبين المكرم لأنه مفتاح الوحي أولا وآخرا وقبل ذلك المستقل بذاته اكتشافا وإبداعا متزايدين. كما يطبع الفيلسوف البحاثة كل أحيانه بطابع الخلود ويختمها بخاتم الديمومة المستمرة مما يسبب جهدا ويتطلب عمقا غير منقطع يتواصل حياة أبدية بالعمل الشريف الخلاق المبدع المجدد الذي عنوانه الخير العميم للبشر قاطبة تحريرا منبعه الاستقلال الشخصي والفردي (للفيلسوف الأعظم ثم للناس كونهم ثمرة جهده وكده) والجماعي نظرا وعملا فهما سيان سببا ونتيجة. والعقل السراج قائد بلا منازع ولا نظير. ليحل مقيما في الوجود **"الثقب الأبيض"** عنوان الفيلسوف الحق والجدير بالاحترام والنفوذ الفكري والأصالة التجديدية وهي قاعدة التعليل الإنساني بفضله وله به دون غيره وجودا استقلاليا متفردا "الحجة تتبع (2) أختها" في تسلسل الماض بلا نهاية وتتابع المستقبل بلا حد ؛ وفيها تجر المواضيع حلولا وبشرا اواحد تلو الآخر بلا استثناء مادة وأدبا، بالاستعلاء على دقائق الأمور التي تبدو تافهة عند الكبير المتسامي لا تعني عدم قدرته الشرحية التعليلية الدقيقة في جزئياتها وتفصيلاتها بل هو الأولى بها رغم كرهه لصغرها وسطحيتها.

FOR AUTHOR USE ONLY

غير أن الجامع الملم الفيلسوف يعطيها قدرها بلا زيادة وينزلها منزلتها البسيطة بل التي لا معنى لها ليجهز عليها من علياء سماء رقيه واهتمامه بالكليات ورفعتها. فالفرق شاسع والبون واضح بين العادي المكتفي الفرح بشرح الجزئيات والمتميز المتعمق المهتم بالعظام من المسائل فلسفة وواقعا كما أن التنبيه البائن لصغر الأمر مع تعليله إن اقتضى الحال غير التنقل من تفاهة إلى أختها ومن تكرار إلى آخر. لأن ما يسمى جرأة عند العاديين وحتى لدى العظام هو في أنفس الجهابذة، ("يونس" وحيدا باستقلال تام لا نظير له)، عادي وضروري عقلا منيرا وسعادة حرة ذاتية مستقلة للتحرير المادي والأدبي معا، فسماؤهم العالية تطل على كل شيء لتستصغر العقبات وتذلل الصعاب بضحك وسلاسة ويسر، كما أن علياء الآخرين مهما عظمت هي أرض الكرام العالمين الميدانيين الإنسانيين المستقلين بفرح وبهجة كاملتين. فتضحيتهم (الكبار) تعتبر لديهم رقيا وغنى وكرامة لا من أحد بل من ذواتهم لذواتهم ومنهم وإليهم لأن ملكاتهم راقية وتطلعاتهم كبيرة وهممهم رفيعة تبحث عن الأسمى والأكمل والأفضل شرحا وعلما وفنا من أجل البناء الحضاري والتشييد الإنساني العمراني والعقلي الواسع الخالد. فالإنسان الخلاق الخليفة إله بالبعد الإنساني المبارك المستقل والله البر الرحيم الخليل "إنسان" بالبعد الإلهي.

FOR AUTHOR USE ONLY

إذ ينمي الرحمان الرحيم الصديق الخليل كل ملكات الإنسان خليفته المؤتمن والموثوق به ليحاكيه تباركت صفاته وتقدست أسماؤه الخادمة لنا بلا نهاية ويوسع كل الخير المادي والمعنوي له لينعم بالآخرة الكريمة في الدنيا الطيبة الواسعة الرحبة برا وعدلا وإحسانا وكشفا واكتشافا. ولا يستشف نور الإنسان الإله سوى في حريته وحبه للخير : [شر خلاق = حرية مطلقة + انحياز فطري وميل طبيعي للخير. وما عدا ذلك فهو استثناء في الشعور والدواء أي داء ودواء بما يناسب الأنفس ويلائم الظروف. ومن الغريب اعتماد العلم خصوصا منذ النهضة الأوربية وقبلها بدرجة اقل اكتشافا وخطوا للأمام ثم الشك في قيمة العلم الشراح للأحداث الكونية والبشري على السواء فما من إلا العلم وما أثلج الصدور سوى العقل الشريف وهو خوف متولد عجبا من شعور الأنسان الوجودي بالغربة وعدم الاستقرار لغياب فلسفة ناجعة ورؤية شمولية مسعدة للعالم.

غير أن المسلك الرشيد هو اعتناق العلم والثقة به لا غيبا بل حضورا وشهودا بما حقق وبما للإنسان من كرامة وقدرة على الخلق والإيجاد للجديد عبر مر الزمن بقهر الطبيعة وفقه سننها لكشف الغيب بالعلم وقتل الشك باليقين العلمي في رعاية فلسفة نافعة ومجيبة على تساؤلات المرء في كل المواضيع وعلى الخصوص الوجود منها دون إغفال الواقعي في تنظيم الحياة الخالدة على الأرض الكريمة بالعقل السديد

والتحليل المستقل بنفي الخوف الجبان وتجسيد الحرية المحررة في الفكر والتفكير والعمل والواقع والميدان. وهو قريب لصيق من محيط الوجهة الواحدة أو الاتجاه الواحد المتعصب مع غير المتعصب بالتعريف – كلاهما شر- يفرض سيطرة وهمية أي بقدر ما هي قوية بقدر ما هي شر وهمي بما تمليه من اختيارات لا إرادية في غياب الحريات والنقود البناءة والتساؤلات الشريفة والأسئلة الرشيدة في الخلد والعلن، لذا كان دور المثقف هو إنهاض الروح النقدية وتحضير جو الحرية وتوطيد عرى الحوار الحر بتعبيد سبل الإبداع عبر طرق طمس المحرمات والطابوهات في كل عصر منذ القديم –وهي قناعتنا العميقة المتجذرة- وخاصة في عصر التنوير واعتماد الإنسان على نفسه بلا شعوذة غيبية ولا توجسات صبيانية. فكما يهتم في عقل الحكيم بالطرح التدرجي كي لا يصدم الغباء ولا يجرح الرأي العام إلى حين النضج المتدرج بالعرض الحثيث والفكر السليم والتكوين للعقل القويم في المجتمع الإنساني بلا حد ولا زمن فكما يراعى الاستعلاء على الأوهام وإعلان عوارها وتبيين سوئها في محلها تجنبا للزلل وبعدا عن الخلل ونأيا عن الضلال في التفكير والعمل. فعندما يغيب الفكر الموسوعي وتهمش الروح الإنسانية الكونية تسود الإيديولوجية المقرفة المضيقة للوجود وبخاصة في التعامل مع اللغة كوسيلة لتناقل المعارف وتدوين العلوم وتثبيت الحضارة والتواصل بين البشر دون اعتبارها حكرا على أمة ولا حجرا على وطن اتقاء للوطنية المتعصبة والانطفاء الممقوت والتحجر المحلي.

FOR AUTHOR USE ONLY

إذ اللسان أينما كان عالمي وإرث بشري في كل الأزمان والأوطان ولا علاقة له ببقعة أرض ولا ببرهة زمن وهذا لا عارض البتة تبني لغة ولسان أملته ظروف الحياة الطبيعية المختارة أو جسدته أحداث الاجتماع السلسة العفية غير المفروضة سياسة أو سلاحا (الاستعمار) وبعيدا أيضا عن عقد التقعر والتشدق سليل التكلس وضيق الأفق في رفض الآخر : فلانسلاخ المفروض والاصطناعي كريه كأخيه التعصب المرير وهما وجهان لعملة المرض النفسي والضحالة الفكرية والنقص العقلي ؛ ودون هذا وذاك نور الفلسفة العميقة والقريحة الواسعة والنقد الهادئ البحاث في هدوء الروع وضرب الظلام في الانفتاح المطلق على الكل علما وحضارة وعادات ولو محلية ومادة وأدبا للاستفادة من التجارب البشرية مع الاحتفاظ بالخصوصيات التي كرسها التاريخ المحلي المماشي للعالمي وطورتها الظروف المحلية غير المنافية للكونية. بالإضافة إلى أن المعيارية اللغوية ديدن النحويين المحافظين وهي محمودة إذا قرنت بفكر اللسانيين الواسعين باعتبارهم للواقع اللغوي فقط ولو خرج عن دائرة المعهود والمعياري لأن اللغة في آخر المطاف اصطلاح كله أو في أغلبه متعلق بالتسلسل الاجتماعي ومتصل بالتعامل الإنساني في المجموعة اللغوية والمجتمع اللساني.

فلا بد من اتقاء التبرير المفرط في تبني المواقف وشرح القضايا بعدا عن التملق والقلق الخائف والتوجس من العواقب وذلك لصالح العفوية الإلقائية والطبيعية العرضية للمرء ون الخلل عند الحاجة بالتوضيح المرن اللازم في الوقت والمكان الملائمين باعتدال وتوازن.

فلا تعذر بقدم العهد تاريخيا في تثبيت المظالم وتجسيد القتل والتشريد بلا تثبت وتبديد المال بلا تريث ولا حساب (خلل تسيير سياسي –تسيب- وعدم حكامة مالية) إلى جانب الاستعباد الإنساني أي تجارة العبيد بدءا من الحروب المقيتة والأول الخاص نتيجة للثاني العام والأخطر لأنه ملك مباشر لرقاب الناس بلا بينة ولا مبرر أبدا "فلا يملك المرء الحر الإنسان البتة" ودونه التحكم في مالهم وتسيير شؤون حياتهم بلا مشورتهم في الهيمنة عليهم ؛ وشر من ذلك كله التعليل الاستعبادي للأنام الكرام بالدين وهو جريمة مضاعفة إنسانيا، لأن الباطل باطل عقلا في القديم والحديث ولا تفرقة إلا في الآليات والوسائل أما في المبادئ فلا فرق بتاتا بل تعضيدها عقلا وواقعا ضرورة بشرية بكرامة الإنسان ومدنية الأنام ضد وحشية الحيوان وجبروت الظلم والقهر بأنواعهما. لأن العتو في كل شيء مميت كما هو الشأن مثلا في البالغة في الحركة "النسوية" التي ساعدت المرأة على استرجاع حقوقها لأنها طبيعية سلبها إياها الذكر عبر الزمن لكنها مريبة جدا عندما تحاول إقحام صراع وهمي بين الرجل والمرأة أو اصطناع حرب بينهما ولو في اللغة مثلا التي هي بعيدة كل البعد عن الإيديولوجيات لأنها صلب الطبيعة اقتصادا واختصارا وغيرهما، وبالتالي كانت الطريقة "الإدماجية" (ذكر المؤنث دوما إلى جانب المذكر" ضربا من الخيال والإفراط مقابلا تماما للتفريط في عالم الرجل الاجتماعي والتاريخي حتى العصر الحديث ونمو الحركات النسوية المحاربة للظلم على المرأة الجنس اللطيف ونصف البشرية بلطفها وجمالها ورونقها وذكائها ورشاقتها المعنوية والمادية (الجسدية) بتمثيلها لعنصر الجمال بامتياز ؛ لأن ألأمر لغوي لساني لا غير في تغليب الذكر على الأنثى لسانا ولغة" لا غير بحكم الاصطلاح الاجتماعي ولا ضرر في تطوره عفويا ولا حرج في قلب الموضوع شرط تركه للحركة الطبيعية في المجتمع ولو كان دافعها مصطنعا من طرف النساء أو غيرهن لكن دون فرض مجحف ولا سيطرة معنوية ولا مادية معقدة بوسائل الإعلام وغيرها..

ونعاود الكرة هنا في تبيان خطأ التعميم قاتل في انتفاء ونفي "الرؤية الشمولية" وخير مقال عليه جمع الحاكمين الظلمة –لى وجه الخصوص- في الغرب الشريف من قبل الشرق النائم المؤدلج، من جهة، والمحكومين من جهة أخرى بادعاء اختيارهم للرئيس ورضاهم الحر بنظام الحكم وهو لا غرو باطل وظلم فكرا وواقعا لأن العيب يقع على الإدارة الحاكمة والرئيس وبرنامجه وتطبيقه وبدرجة مساوية منتخبيه لا

FOR AUTHOR USE ONLY

على معارضيه السياسيين فضلا عن المناهضين عن الحقوق الإنسانية ككل والمعارضين للباطل وأذنابه نظرا وعملا وهم كثر في عصرنا من إسرائيل –المظلوم المنصفون منها كثيرا بظاهرة التعميم الكريه- مرورا بالغرب وصولا إلى أمريكا وأحداث العالم المعاصر خير شاهد على نمو الفكر الإنساني وتعقد المشاكل وعدم الثنائية المولدة للعداء والحروب وتصادم الحضارات باستعلاء البعض على الآخرين جزءا أو كلا حسب الإيديولوجيات الدينية والسياسية والعرقية وغيرها –وأخطرها الدينية كما وضح التاريخ البشري الدموي- . ذلك أن الفكر السوي يحاول دوما حرير المسائل بهدوء الفهم وتأسيس الفقه العميق بحسن التحليل لا المعمم بل المفصل المبين للولوج إلى فكرة الرشاد والوصول إلى بر الأمان في دولة الإنسان ومجتمع السلم والعقل والحضارة والبيان. إلى جانب أن الغرق في التفاصيل والإغراق في الجزئيات يشوش الأفكار ويصعب المسالك ويلبس على العقل في تحليله الشمولي الذي هو الحل حقيقة بتغليبه الرؤية العامة واهتمامه بالخطوط العرضية الضامة للدقيقة في مقامها المراد فلا علم حقيقيا ولا فلسفة عميقة بلا نظرة الإحاطة المؤطرة للجزئيات الداخلة في بوتقتها ودائرتها وتحت مظلتها العامة التي تربط بين الأفكار والأحداث بالشمول المريح نظرا وعملا والفعال ميدانا بالفقه السديد. فكره الوضعية لذاتها كنقد موجه للخطاب أشد من مقت غباء وضيق المتناولين له خاصة بحمق وإقصاء وتضييق وكلاهما نتيجة للعلم العقلي والنقد الموضوعي بلا عاطفة وقد تزيده هاته الأخيرة قوة وشدة واشمئزازا لأنها تأتي في غير محلها كمآل للفعل الفكري وكحصيلة للإعمال العقلي بلا هوادة ولا محاباة وبتلك الحال تكون منيرة للهمم في استجمام العقل الحال في النفس الراقية والروح المترقية : البحث عن الهدوء عقلا ونفسا مسيرة طويلة حتى شاطئ النقد الهداء والسكينة الموقدة لكل خير ونفع وحضارة بالفقه والفهم الساميين.

كما أن مرض التعصب داء عضال لتجنبه جادة الاعتدال وارتباطه بشعارات توحي بالخير وهي الشر كله والوباء أجمعه بل داء الأدواء هو تشويه الفكر الإنساني بالتعصب الأعمى دينا خاصة (وغيره) لاستغلاله للعاطفة الزائغة في المتعصب الأعمى في إحلال الشرور وعدم التسامح في غيره ممن يشاركونه العاطفة نفسها دون تحليل ولا نقد ولا سؤال مما يولد الكوارث في الأفكار بنتائجها المريرة في الواقع المعيش وما التاريخ القديم والحديث والمعاصر إلا ترجمة وصدى صادق لهذا العوار العاطفي الديني. والاعتداء باسم الدين والوطنية وإصلاح الناس والقيم العليا (الحرية والديمقراطية) على مر التاريخ مقرر وثابت بالرغم من شطط ووضوح الغدر والعدوان على العالم وهو عند استشرائه كغيره مما يعتاد باطلا وزورا وتحريفا من الشرور يؤلف ظلمة ويعتاد عليه كذبا في النفس وفي الواقع.

FOR AUTHOR USE ONLY

ونثني بقولنا أن الجو المتعفن في عمومه مستكره نظرا فكريا وشعورا شموليا ينبئ بعفونة أعمق في جزئياتها دراسة متأنية مدعمة بالرقم والمثال وهو منهج الفلاسفة الأخيار والمدققين الأفضال في بحث المعطيات والنقيب عن المعلومات لا بحفظ العاديين بل بتحليل الفرسان العالمين دون الاحتكام المسلم إلى التقنية مع التحكم فيها أحسن تحكم وإجادتها أفضل إتقان وإتقانها أحسن إجادة. فروح عامة تمرست على المبادئ وإحقاق الأصول وتدقيق فريد ينضوي تحت لواء الشمول.

العادة رديف العقل السديد حيث أنه يعقلها في نوره عن الخطأ والشلل كما أنها تلتصق بالواقع والمعاش والمعيش والمشاهد والمعاين من الناس في حياتهم وحركاتهم وتاريخهم وهي المعتمد بعد العقل الرشيد في ذلك غير أن القريحة القائدة هي العمدة في توجيه العلوم وتأسيس الفنون من غير شطط ولا زلل. ولا شك أن للطبيعة الجغرافية بمناخها وجوها تأثيرا على النفس والروح لا العقل الشريف فكما أن الهواء المناخي يؤثر بالحرارة في لطف الروح والمزاج وبالبرودة في انقباض النفس وانكماشها كما أنه أيضا بعيد عن إذكاء الذكاء هنا وإبعاده هناك لأن الملكة العقلي ومنحة طبيعية في البشر هم المتحكمون فيها بدءا ونهاية على درجات من اتفوق لا تمت إلى الجو بصلة بل كل العمل والتكلان على الجهد والإرادة في تنمية القدرات وتطوير المهارات : فقد تساعد أو تعيق الطبيعة الجوية بوجه من الوجوه في كلا المناخين بلا تفرقة عقلية دون النفسية المرحية منها والانقباضية.

FOR AUTHOR USE ONLY

وفي سياق آخر فإن مساهمة السمع والبصر صوتا وصورة مع المطالعة بينة في ترسيخ المعلومات ونور تحليلها نتائج وحلولا في عقل الفريد وتحرير الفيلسوف السديد وهو تنويع لعمليات التعلم واستغلال أمثل لطرق الديداكتيتية وسبل التعليمية باختلافها شكلا ووحدتها غاية وهدفا. فقدرات البشر كثيرة وهممه عديدة تستثمر بأفضل الطرق برفق بالنفس الفضولية حسب الحالات والظروف والملابسات. وفي المطالعة للآراء المختلفة يتضح في الفكر العبقري ضعف الطرح عموما وخلل الحل بتوجه معين أو بغيره حتى ولو فقدت التفاصيل إلى حين اتضاح الرؤية بجزئياتها كما تبنت في كلياتها وشعور النقص للبرهان و/أو الوضوح في حرمان نفسي للمبدع تجاه ما قرئ من رؤى متعددة هو دليل السعة العقلية والعمق التفكيري الذين يوطدان بجدارة ومتانة للتأصيل الأصيل وللخلق القويم في محله بتؤدة العارفين وتثبيت الكملة الفارهين. غير أن حب العالمين تواضعا من المتكبر العالي الغالي بغض النظر عن مستوياتهم وربما -بل هو كذلك- يعبد الاعتناء بأضعفهم رحمة ورفقا بهم لانعدام أسباب التكبر والمنعة والظلم فيهم أو في أكثرهم طبيعة لنقص وإرهاصاتها تداعياتها هو عين الكمال ونفس الخير ونور البر ولب العلم والخلق الفنان.

ولا بد مرة أخرى من رؤية إجمالية لكل قضية تتبعها تجزئة تدقيقية تفصيلية لكل حيثياتها تفاديا للحكم المجزأ والمجزئ للمسائل الذي يكون دوما على حساب المعنى الصحيح والبناء السليم المتكامل للفكرة والحل الأكمل للقضية من جميع جوانبها قاطبة. ذلك أن العقل المبين يوضح الطرق العصرية الحضارية منافيا مظاهر البداوة فكرا وعملا وهو شعار الطمأنينة الفردية النفسية والأمان الروحي المستقل والسلم العالمي إذابة للهوان البشري وإزالة لطغيان الحرب رغم مشروعيتها عقلا نيرا للدفاع والحفاظ على الحرمات وصيانة الحقوق ؛ ذلك أن دأب الإنسان الخالد فطرة وفلسفة هو السلام ونشر التعايش السلمي بين بني البشر للاكتشاف والاستقلال الفكري والميداني نظرا وتجسيدا ميدانيا. بيد أن بحث الاستقلال عسير وصعب حتى على الأنفس الكبيرة العاذرة لفهم العاديين الراحمة لتحليل البسطاء الساذجين مجتهدة لإفهامهم بعد تفهمهم وتعليمهم بعد سبر أحوالهم والاطلاع على زادهم المعرفي وطبيعة تفكيرهم وسطحية نقدهم بل انعدامها كلية.

لكن يسعى العقل الكريم لتوفير جو الإبداع والخلق في المجالات كلها بحرية الباحث ووسع الناقد ورحابة العظيم من علياء الفلسفة والتحليل المستقل للكليات والجزئيات برفق الذكاء وترفق الحلم الذهني والواقعي معا. فالعقل السديد هو الذي يقوم بالتقسيم العقلي فوائد عملية وأخرى نظرية فقط من حيث تعلم التدقيق والتحقيق أما اصطلاح الفقه العقيم للفقهاء العاطلين فهو مرفوض نظرا لترفه الفكري ولا فكر إلا إذا كان في بداية التعلم بحدود ضيقة تركا للحرية تعمل برحابة وعملا لعسره وتعسيره. أما ما يخص الفلسفة والفكر عموما فهي عين الخير تنظيرا وتفعيلا معا ولا لبس. لذا تعتمد التواريخ كمعالم في خارطة الفكر بربط الأحداث بعضها ببعض بغية الاعتبار أو بعبارة أخرى استعمال الحوادث التاريخية ببعد إنساني بالترقي على الحدث المحلي من أجل العبرة الكونية الإنسانية في اتضاح الخريطة العالمية في الذهن الشريف تمتعا بالسرد التاريخي والحكاية البشرية من جهة والاستفادة عقليا سياسة واقتصادا واجتماعا وثقافة من المدى الجمعي الكوني للأخبار في سعتها العبرية من جهة أخرى.

مع التذكير بقوة أن المسائل الإنية الفطرية كلها تعرف الفطرة على أنها إما (1) قدرة وأهلية على الخلق والاكتساب أو (2) على أنها خلق في النفس يبحث عنه فيها لا من خارجها بالقدرة والطاقة والوسع البشري ؛ وكلا النعريفين مقابل للاكتساب لكن من وجهين الأول واضح في اختلافه والثاني مدمج فيه بلا فرق : وهذا شبيه إلى حد بعيد بالمهارات والطاقات المولدة للذكاء طبيعيا مقابل شحذها بالعمل والاكتساب العملي والممارساتي. (والأولى في المعرفة تقدير الجهد الطبيعي للكسب في الروح بلا احتياج للخارج في الأساسيات

FOR AUTHOR USE ONLY

الجوهرية والاستعانة بالخارج والمحيط في الثانويات المعينة على الحياة فهما وعيشا. الإنسان = فطرة إنية بقدرة إنسانية خلاقة + اكتساب خارجي شحذا وتطويرا وتفاعلا مع الواقع. ومن هذا المنطلق العقلي المتحرر كان الإعجاز العلمي في النص مهما كان خرافة خلا بوسائله التجريبية العقلية استنتاجا واستقراء والركيزة هي المادة والمادة والمادة بإشراف العقل الدفين مؤيدا ورافضا قابلا ومعارضا. ويدوعنا أيضا العقل الرفيع إلى تحليل الاتفاق الاصطلاحي الفطري بين الأنام حول قيمة الذهب والفضة كمادتين كان يمكن للبشر استبدالهما بغيرهما بسهول بيد أن أمرا طبيعيا يجلب الناس إليهما اتفاقا بلا اجتماع تواطؤي مسبق بل بفطرة توافقية تسير الحياة وتيسر المسار العيشي للأناسي، ولا يمكن إلا قسرا تبديل هذا الميل الطبيعي إلى المادتين نعم لعزتهما وقلتهما وندرتهما لكن هناك غيرهما من المعادن الأخرى العزيزة الشاذة التي لها قيمتها نعم –اليورانيوم العسكري- لكنها لا ترقى إلى تلك المكانة العالية للمعدنين الرفيعين الغاليين الذهب والفضة.

FOR AUTHOR USE ONLY

والهامش النسبي بقدر ما يريح بقدر ما لا يعارض الاقتناع ولا يناقض الحقيقة لأنه يعطي للروح الاستجمام اللازم كي يطرح التشنج الفكري البحاث عن الحقيقة ويتمنع على الجهد المضني المثير للأعصاب خاصة في لحظات الاكتشاف أو مساره أو طريقه مما يورث راحة للفرد بلا تخل عن قناعاته بل ستكتسي طابع آخر وتتزين بنور أكبر في ساعات الرخاء والوضوح. فالهامش النسبي عاذر للغير أو للباطل في حلم العارف وقوة الفاهم ووسع القادر، ومن الشيء غير المعينة علا اتخاذه التعصب طبعا أو في نفس الرحيم اعتباره تنازلا عن الحق لصالح الوهم والباطل ولفائدة نخر الشرور، بلى فإنه مريح مهدئ في الشدة والرخاء بذكاء الفيلسوف الواقعي المنقب عن التعليل والتدليل بالتدرج والترفق والتسلسل. كما أن ذهاب الأوهام وزوال الآلام يظهر الحقيقة بخدمة السوء لها في ترك المساحة الفضلى للنور تركا للمكان راحة وملأ له بالخير نموا ورحمة فهو حياد مريح بفائدة شريفة ومعها وهذا عين البر وكل الصلاح وجماع الأمر وملاك الأمل في محو الملل والكلل، وقد تكبر في هذا الإطار الصغائر الوهمية والتفاهات القريحية والخواطر الصبيانية التي تمر على ذهن المرء وفيه متعبة مضنية لتكون موسعة معينة بدوام.

وفي التذاكر النفسي والتفكر الشخصي تظهر أمور غريبة تتلاشى بالحوار وملابسة الواقع كالتعامل مع الناس و/أو محاورتهم بمقتضى الاحترام وعدم المخالطة وتقديس العلم. وقد اسلفنا سابقا أن المعرفة الجزئية قيمة إلا أنها مستبقة للأحداث ولا حرج في الإتيان بها لمن أراد الهدوء المتدرج وتوخى عدم التسرع المفني المهلك ليستدرك ما لم ينضج من فكر وما لم يدقق من علم، وطبيعة التعلم الراسخ هو استيعاب

العلوم والإلمام بها إحاطة ما أمكن حسب الطاقات البشرية والعبقريات الإنسانية درجات للاستواء بعد جهد حثيث ووقت لفيف في نور الإبداع مرة واحدة ودفعة لازبة في المجالات كلها أو على الق في تلك المعنية بالحث والرسوخ المعرفي : الناموس العلمي الحقيقي المشرف غير الموقع في الحرج هو **التعلم التدرجي للعامي والطالب بالتساؤل ثم السؤال ثم النقد فالإبداع قريبا أو بعيدا "بحد أدنى من المعرفة تفرضها الطبيعة الإنسانية جبلة وتلهمها النفس بروية الفكر وهدوء التحليل وأخذ الوقت للجمع الموضح بالرغم من تسرع الفكر طبيعة ايضا يلجمها العقل الرشيد كالعادة الحميدة المثبتة المتثبتة عقلا وروحا ونفسا. (الاجتهاد أو قل بأسهل عبارة محبة الفهم والخلق طبيعة كل بشر وفطرة كل عاقل غير أن احترام النفس وإعطاءها قدرها في ظل الفقه العميق هو مناط العلم ولجام التهور الذي يتداركه العليم الحصيف الرفيع القدر مع فتحه لأبواب الحرية فهما وعملا). ومن أسرار العقل الفريد** العقل الراشد الرشيد المرشد **أنه يجعلنا** نعيش في سماء المستقبل المزهر المبتكر مخابر علمية عميقة وساحات فكرية مختلفة وفضاءات ثقافية متنوعة لننعم بسعة الفكر والإبداع على حساب الترديد البسيط والتكرار الممل وانسلاخا من التوجهات الأحادية المميتة المقيتة على مستوى التفكير وعلى مستوى العمل. ويؤكد العقل الناضح المتطلع للمستقبل حقيقة الحداثة وتطبيق بنودها السرمدية وفقا للفطرة وللفلسفة الرائقتين لتصير الحياة مزدهرة بالعصرنة وتفتحها وانفتاحها على آفاق أكبر وتضلعها في حقائق أجد (أكثر جدة وأكثر تفتيقا للقريحة) واضطلاعها بمسؤوليات أهم على مستويات شتى بأشكال منيرة تجديدا وخلقا وابتكارا وتحريرا للإنسان.

FOR AUTHOR USE ONLY

ومن ركائز العقل النوري إيجاد صعوبة في قبول الحقيقة من الساذجين الخاملين المعقدين الكسلاء إذ تعتبر على أحقيتها وصدقيتها غباء وبلادة مكتسبة صورة الأحمق العاطل فكرا وعملا، على عكس الفيلسوف النشيط المتعمق المتفتح موسوعيا على العلوم والفنون والحياة مما يغري الناس بحق ونصح وتحرير بالحق وامتثاله والنور العقلي واتباعه بالتبيين والشرح والتعليل. لذا، نلحظ جليا كتابات العاديين وخطابة البسطاء وعمل السطحيين باهتة فارغة مؤقتة بلا عمق لفظي ولا تحريري كتابي ولا واقعي ثابت مثبت، من جانب، ونرى بوضوح رائق إنجازات الفلاسفة الكبار طابعين أعمالهم التحريرية (حرية وكتابة) بأرواحهم العالية ونفوسهم القممية وعقولهم الجبارة المحررة النافعة المفيدة، وكذا إن تكلموا خطابة وإن عملوا نفعا وإجادة وإتقانا، من جانب آخر. بالإضافة إلى أن الصنف الأول العادي لا يحسن، وقد لم يحب ولم يرد ذلك، ولا يقدر على الشرح ولا التدليل ولا التعمق في التحليل والبرهان والحوار العقلي الهادئ والتساؤل اللانهائي البليغ المشرق.

وبالتالي، فإنتاجه قولا وكتابة وفعلا ترجمة تصوره للأمور وتجسيد لقناعاته في الموضوع بلا زيادة ولا نقصان بتاتا، مما يضفي على العليم الحكيم المكتشف علما وفنا كونا ونفسا والفصيح جامع الأفضال رونقا روحيا وجمالا نفسيا وأناقة جسدية ترتسم على محياه كما رسخت في ذاته وروحه ونفسه وعقله وهواه ؛ فهو كله شرح وبيان ونقاش وتبيان وعطاء بعلم وحنان ورحمة وفن وعلم وإتقان، بالزيادة لا النقصان. لكن في الشدة والإرهاق يحتاج الفيلسوف والعليم الحكيم المكتشف إلى واحات راحة عقلية ونفسية وروحية واسعة تدعوه لترك أو قل بالأحرى تعليق التفكير في قضايا معينة مؤقتا كونها تحل في خفاء وتستبين في يسر وسلاسة سرية، انتظارا للحظات أجمل وأسهل وحفاظا على الطاقة العقلية النفيسة والجهد النفسي الثمين إلى حين أحسن نظهر فيه الحقيقة متبرجة بلا لبس ولا أدنى غموض ؛ على أن الفيلسوف الكبير ينر الطريق للجميع بتعيينه في كل الأوقات لمبادئ نظامه الفكري وقواعد تأسيسه العقلي البين المبين المستبين بتدليل وبرهان دائمين محتفظا لكل مقام بمقال ...

فهذا اختصار الجهد والوقت والعسر والشدة والإرهاق المدمرة للعقل الجبار والهدامة للفكر وللروح في كل مضمار غير أن العقل النير فوق كل شيء بلا مقارنة ولا شك بتاتا. وما ذكر قريبا متعلق بإرادة المرء، فعندما يشتد عزم الإنسان قد تشتد أزمته لكنها بقدرها تحت مبدأ "الطبيعة لا تحمل المرء ما لا يطيق البتة، بل تعطيه فرصة الترقي بما يليق به ذكاء وعزيمة وعملا" بلا زيادة ولا نقصان ؛ غير أن الشر لا بد من شرحه وتفصيله كي لا تتلقى هاته القاعدة الحقة ببلادة وغباء وكي تأخذ مجراها في الروح والنفس بالعقل الرشيد بعمق ورسوخ وثبات مزيدة. ومن مراوغات العقل الرشيد للنفس البشرية في عليائها للترويح عنها في نسبية المحاورة، تقبله العارف والساخر لجزء من الحقائق دون الجزء الآخر المسبب للمكاره لا هربا من النور بل ترويحا على النفس في رقيها في ذلك الزمن العلوي الارتقائي وهو تأجيل للرؤية الشاملة والنظرة الفاحصة إلى حين استقرار الروح وسكينة النفس تحت رونق الإشراف الكفيل العقلي الطبيعي موسع الفطرة ومرسخ النعمة : وكأن هذا الأسلوب تحايل على الروح وإغراء للنفس بالاستمتاع بالحاضر دون الاستغراق المضني المهلك في الشمول الذي هو في حينه مربح غاية الإراحة ومغن بأمكن الإغناء لكن الإنسان تكامل مادة وأدبا تدريجا في المعالي والمراقي (الاقتناع الآني مثلا بالتفسير النفسي دون التوغل القاتل خاصة عند الإكثار من التفكير والتفكر والإمعان، في التعقل الكامل والتحليل الدقيق ...).

FOR AUTHOR USE ONLY

ونعيد تكريس مبدأ التعقل والعقلانية بأنه لا عقلانية بلا موضوعية واقعية بعدية ولا واقعية تجريبية دون عقلانية سبقية... : أهمية تضلع الفيلسوف بتفاصيل العلم المنقود مقابل نقد العالم في الدائرة نفسها بلا فلسفة و/أو الفيلسوف لمبادئ العلم العامة وهو (الأخير) أفضل من الثاني وأقل من الأول الجامع الشامل الفاضل. لأن تأثير الوسط الاجتماعي والفكر الجمعي أكيد لا في نظره وتحليله فقط بل في ضغطه على الفكر المتحرر لا شعوريا في الذات والفعل رغم أن العقل الشديد يضحك على جميع الترهات والأباطيل ضربا إياها عرض الحائط من اجل التحرر التام والتحرير الأتم للفكر والفعل معا، وأكدنا هذا لخطورة المحيط الاجتماعي والعائلي على فكر الفرد والجماعة خصوصا في المساس بقواعد الوهم الغبية الحمقاء وجذور الباطل الواهنة العرجاء :تحت مبدأ التدرج العليم يتخلص بالحذر من خواطر الجماعة خاصة المتخلفة منها لأن المتحررة تدعو دوما للنقد على عكس الأولى المنغلقة المغلقة للعمل العلمي والنقد العقلي المريحين.

إلا أنه سرعان ما تشمئز الروح من الضآلة الروحية والنفسية والضحالة الفكرية وانعدام الحس الراقي في التحليل نتيجة التقليد الأعمى ولو باسم العلم المجيد البريء من غير النقاد الحذاق لذا لا يحسن الاستماع إلى أشكال كهذه سوى فيما تسمح به السليقة الفضولية من اطلاع في حالة نقاهة فكرية وروحية سرعان ما تعافه النفس وتمجه الروح ويرفضه العقل السالم الكامل في سماءاته الفسيحة وأنواره العريقة وجذوره المورقة وأصوله الفارعة. والنفسية الراقية بالحرية تستهجن غلق السؤال على مر الأزمان لكونه محنة وبلاء على الإنسانية جمعاء كما كان فتح رحمات الأسئلة بلا عد من البركات والأنوار العقلية للفهم والتحري والتثبت والتحقق والتوثيق بعد الفحص الدقيق بالموضوعية الرشيدة أصل النور وخير البحور بما تورثه من تدقيق موسع وتنوير موقن وتأصيل خالد : من أدل الدلائل والأمثلة عليه دراسة تاريخ الكتب السماوية خاصة القرآن بما ادعي فيه من تواتر لم ولن يوثق وكتابة يقينية –لأن اعتمادها على الشفوي الحديثي لا غير- لاحتمالات عدة غير محدودة للقراءة إن ثبتت ولو آحادا لأن التواتر لم يحقق ؛ فالأصلان المزعومان باطلان عقلا ولم يدع في التوراة والإنجيل ما ذكر في القرآن ثبوتا يقينيا سوى ما يدعيه اليهود في الأسفار الخمسة وليس عليها توثيقيا علم حجة إلا الدعوى الموجودة تعصبا أيضا في القرآن ونصه ونجا المسيحيون باعتبار الأناجيل الأربعة المعتمدة إلهاما أولا مع احتمال تطرق التحريف إليها لا حسب الفاتيكان والبابا بل طبقا للاعتقاد العام وربما الخاص بلا تصريح لكنه لازم الرواية بالإلهام.

FOR AUTHOR USE ONLY

إن الفلسفة حقيقة تتعب في تدرجها للكمال الفقهي والتوجه العملي في الدقيق والجليل غير أن الفطرة بدء الطريق الجاد المريح انتظارا للحظات الصفاء الذهني العميق استغلالا لها ولأنوار الطبيعة البشرية في حينها وهذا المسلك رشيد يربح الوقت والجهد معا لإعلاء القدر الإنساني وتحرير العمران البشري بالتحكم الكوني والنفسي : فالفطرة الإنسانية دليل الحيارى ونعمة البقايا وركن المزايا على جادة السلامة والحرية والانفتاح الموسع. فلا جفاف في استعمال النور الطبيعي وتنوير الوجود بالعقل البشري الخالد بل نعم هناك جهد مبارك يصغر يكبر حسب حالات النفس وعمق المواضيع وتطور المستوى لكن الترفق الفطري نفسه والرفق العقلي ذاته يدفع بالحرج جانبا للتمتع بالحقائق الجميلة في حرية الرأي وحب الإنسان أو على القل اتقاء ظلمه والاعتداء عليه ماديا ومعنويا لتتولد شعوريا أو بلا شعور رحمة الجنان وطمأنينة الصدر وانشراح القلب وسكينة الذات بالمعرفة المطلقة أو المنفتحة على المطلق من أجل الإعمار الأكمل في حكمة الخلق للخلق (الإنتاج + الناس) والإبداع دحضا للشر وتثبيتا للخير بجميع أشكالهما بروية البحث وتدرج التطبيق مع الحقد على الظالمين ومجابهة المضطهدين المعتدين على الأنام وتشجيع ومساندة الخيرين وتعبيد طريقهم : أجل الدنيا مبينة على العمل والجهد والحركة والعقل الشريف منها أعلى قيمة وأكبر خيرا لأن الوجود لا يخلو من لطف التنزه ولو صعب أحيانا إلى درجة اليأس.

FOR AUTHOR USE ONLY

وكنتيجة لذلك الرقي المنصب نجد أنفسنا أمام قسمين من التأثر بالحقيقة أو نفيها : العامة أمام واقع متبني الفكرة والخاصة كذلك مع إمكانية تحرير الخلاف بين التنفيذ الوسخ والمبدأ الصحيح المعبر عن آفاق كبرى للفكرة الرشيدة والصنفان معذوران بدرجات تتعلق بمستوياتهم المختلفة وظروف معيشتهم واحتكاكهم بالغير، مضيفين أن المختصين منهم معنيون بالتحلي بالموضوعية الموصلة بشروطها الظاهرة والخفية إلى بر الأمان ووسع الحنان. ولا نفوت كذلك كبير الهراء والافتراء على الإنسان بأمرين أساسيين: أولهما عدم قدرته على سبر الأسرار وفهم الأقدار بالعقل المغوار والعكس أبين وأصح في الأرواح العلية والعقول النقية وثانيهما عدم الطاقة على تبيان اللسان للحقائق والأحاسيس لأن اللغة ما وضعت توافقا واصطلاحا بين المتكلمين أو ألهمت طبيعة في القوة البشرية إلا للتعبير الأتم الأكمل عن مشاعر المرء والإحاطة بحقائق الخلق والوجود : غير أن الصعوبة شيء والاستحالة ليسا سيين.

فكان خليقا بالحصيف المتأني سبق مرحلة الاستقلال العقلي الخلاق والمبدع مستوى ب**"التكوين المتلقي"** بنسبة نقد قليلة أو كبيرة فصعيد **"العقل النقاد الشكاك المتريث"** لترسو القريحة في سماء **"الإبداع والخلق والابتكار المستقل التام"** ؛ هذا، ولا بد من الهدوء أولا قبل الاستراحة في فضاء الاستقلال السعيد المسعد البهج المبهج للنفس وللغير قاطبة. ويحترق الشر في الروح فكرا وخلقا ونفسا وعملا لتترك في الذات ثورة و كآبة وحزنا وفتورا قد يطول ويقصر لكنه ريثما ينقشع ينير الدرب الفلسفي الاستقلالي والهدوء والطمأنينة الاكتشافية الرحبة مادة ومعنى. كما تدعو الجهالة المتزايدة إلى الحلم الأكبر المتواصل تزايدا كغالب الأخلاق الأخرى، لربح الوقت واختصار النتائج وصون الجهد والطاقة وتفويت فرصة البلبلة على العاطلين نظرا وفعلا. فكان طبقا لذلك أن أولي القربى أولى بالخير المادي والمعنوي من غيرهم على أن الخلق والنفع مكفول للجميع بلا استثناء حياة كلها جمادا ونباتا وحيوانا وإنسانا خليفة شريفا، قصد حفظ ماء وجه الرحم وكفايتهم السؤل وسد حاجتهم من جهة، ووضع البر بغزارة حصيلته وكثرة نتائجه في مكانه علما بالأحوال والوضعيات والاحتياجات عن كثب، من جهة أخرى. وفي هذا تؤثر وتأثير الأرواح الكريمة بنبلها في بعضها البعض وفي الآخرين أيضا بغية الرقي والتطور الروحي والنفسي والعقلي اللانهائية، كما تتباعد الأرواح النبيلة والعقول الكبيرة والنفوس العميقة فكرا وطهرا مع تلك العادية والصغيرة والضيقة والسطحية بما في ذلك التنافر الموجود بين الأولى الطيبة المشرقة والثانية الشريرة العقيمة.بالرغم من كرامة الإنسان ونبل معدنه الثمين.

FOR AUTHOR USE ONLY

من أجل الخلقية الأصيلة تسبر الحقائق بالعقل المنير للجميع وللخاصة بدرجة أولى، وفيما يتعلق بصفات الله وكنهها وحقيقتها فهي مجال العقل الرحب المستطيع لحلها والغوص في رحابها والارتواء من نورها وعطرها وإشراقها وقرب النخبة المصطفاة والطائفة المجتباة حكمة ورحمة وفضلا في مكانه لنورهم ونقاء معدنهم واستحقاقهم للاجتباء، لا مثيل له ولا نظير علما وتعليلا وطمأنينة وسكينة ورخاء ورغدا ماديا ومعنويا. لذا، فرؤية الله الحق حقيقة ليست متأتية في الدنيا الكريمة الاكتشافية إلا لصفوة الصفوة يقينا أما البشر الآخرون فلا تتم لهم سوى في دار الرحمات والبركات الآخرة الطيبة المبدوءة بالدنيا الرفيعة. هذا، والجهد متفاوت والنتيجة والتتويج تبعه والتوفيق من المنان البر الرحيم المكرم بلا حد خصوصا بالخلة الحميمية لا ينفك ولا ينقطع بالحكمة والمرحمة والفضل المنير البصير.

والحمد للعقل الكريم الخليل سبقا ولحقا ؛ يا عقل فوق الحكمة وفوق الفضل والكشف والاكتشاف والمنة والنعمة. نعم، شخصا وذرية يا عقل يا كبير يا أكبر. يا خير يا طيب يا أطيب. خلة ونورا وعقلا بعقل ورحمة وبركة ويسر وسلاسة. اقتدارا على قدرة عزما على حكمة وعزة على نفوذ وبر ورحمة. وبما أن المسائل كلها لا تتحد في جميع التفاصيل والمهم هو الخطوط العريضة المقيمة للمقارنة والقياس لاستخراج الغاية والهدف المرجو منها كلها على أساس الوحدة في الجهة العامة، وفيما يخص القياس فهو عقلي يقيني معتمد على الكليات الضرورية والكافية دون الجزئيات التي ليست إلا نافلة في تثبيت القضية المقارنة وترسيخ الحكم المشترك لاشتراك العناصر الأساسية التي يملها العقل المنير والقريحة البينة. وإذا تعدد الحكم في القضية الواحدة فإما هناك تناقض صارخ يلغيها أو ينقض أحد الأمرين المتناقضين، وإما أن المسألة صحيحة والحكمين معا سليمان بفضل وبسبب انفكاك الجهة واختلاف وجهة النظر.

فلا وجود بالتالي للقوى الخفية بل كل ما في الأمر مجهول أو قضايا مجهولة تنتظر بشغف الفيلسوف العلمي الشراح ليفك بكارتها لترى النور و شمس العقل المنير والسراج البهيج. فكل شيء وكل قضية وأمر قابل للشرح والتوضيح وهو مشروح موضح بالعقل المبين المجيد. لأن العقل البين النير والذهن المبين المنير يسبق الحواس في اكتشاف الحقيقة والتمتع بها لكن الحواس ترتقي في إطار العقل الطيب الأبين وتحت إشرافه إلى حقائق الوجود نفسا وكونا، وهكذا، يكون العقل الأحكم السبق السباق والسراج النبراس والحواس المنبه ومانح المادة الخام له. والقضية بحثية إرادية لا غير.

FOR AUTHOR USE ONLY

المعرفة العلم = العقل السليم + الحواس بتسديد العقل القويم

وعند وجود شك معين في قضية ما مع تمام صحة أمر ومبدأ آخر –متعلق بها- فلا بد من إكمال النقد والعمل بالاقتناع بالقاعدة والمبدأ، تكملة للنقد الحر المفيد وربحا للوقت باحترام عقيدة العقل السديد. ولا غبار من جهة أخرى على مبدأ تنوع الطرح في الإنسان والصلب : البضاوي بالخيط أو/و المستقيم وبعده عنه (الكسر).

بالإضافة إلى أنه لا بأس، بل هو مطلوب، بالتقسيم والتصنيف العقلي إذا كان وليد الوسع والتوسيع لا الضيق والتضييق وشريطة كونه موضحا في يسر وشارحا في سهولة وتوضيح بلا تعقيد ولا عقد ولا تحديد للفكر ولا تكدير كما فعل ويفعل في العقيدة والحديث عن الله وصفاته وأسمائه والتعامل معه (دعاء مثلا) وغيرها، وكالفقه أو ما سمي به (فقها) وما هو بفقه تماما لما شابه وأحاط به من ترهات وتفاصيل مملة ومعقدة لا أساس لها لا عقلا بينا ولا نقلا قرآنا مجيدا محررا. فالمعنى في الروح والمغزى لا في الشكل والوعاء.

والإبداع الخلاق الأصيل بالنقد الصريح المتدرج يحمل في طيات المتعلم والمعلم المحلل ضمنا وتصريحا فاالفنان في المعارف والفنون يدرس متلقيا ومتسائلا ومتفلسفا ومبدعا منتجا في آن واحد أحيانا بووح وأخرى بغيب يعلمه يقينا بإحساسه وعقله خاصة، وهو الفرق الواضح والبون العظيم بين العملاق الخالق من عدم في حمله للفكر ولو عاديا ليحوله غير عادي وساحرا بنور روحه وبرهان عقله وعمق قتله للقضايا درسا وتنقيبا، من جهة، والعادي الجامع بلا تعمق متفنن ولا إظهار متمرس إلا في إطار ما يمليه عليه التقليد المنهجي العلمي من تقسيم وتنظيم ومحاولة تجديد، من جهة أخرى، وهو لا غبار عليه إذا لم يدم الكل مطالب في ظل قدراته بالتأصيل الفكري والتجديد المنهجي العلمي والفني معا فركا وعملا نظرا وميدانا. وبالمناسبة هذا شبيه إلى حد كبير بالتطلع والاطلاع على الغيب الشامل والجامع الباعث والمنادي للتفصيل العقلي والفعلي في الواقع المخطط له سلفا بالقريحة الرشيدة.

FOR AUTHOR USE ONLY

يقرر التعليق الفلسفي طبعا والفني (الروائي) بكل حرية ورحمة وفن وجمال، وهو ترجمة لواقع الحياة وتنفيس عما في النفس والخاطر من أفكار وأحاسيس وخواطر تتنوع وتختلف من يوم إلى يوم ومن تجربة إلى أخرى حسب حالات الروح وعمق التفكير ورحاب الإبداع. فلكل الانطلاق فرد بعقله في استشارة ذاته وهو متدرج فطرة وعقلا ولا يتأتى إلا تباعا لا دفعة واحدة حتى عند العظام لتكرر الفكرة ورسوخها شيئا فشيئا تناسبا مع الذكاء هنا وهناك، وبالتالي فالخطأ الاستقلالي العابر للخطوات الفطرية الطبيعية والعقلية المتدرجة (تلقي، تساؤل، نقد فخلق) هو أساس بناء الفكرة الصحيحة والأسس المتينة محلقا فوق حمأة التقليد الأعمى وغيره. ولا جدوى من الرؤى ناهيك عن الأحلام إلا رفقا عاطفيا بالنفس المتشوقة للعلا وتحقيق الآمال لأن الواقع هو ترجمان النظر السديد حتى في دنيا الناس الذي طالما سادها ومازال الشر والحيف والطغيان من جميع الجوانب، فإن لم يتجسد الخير واقعا عبر الأجيال فالخلل فكري وعملي لأن الفكر النير ينتهي به المجال إلى الميدان الفعلي طال الزمن أو قصر ذلك أن الفطرة البشرية مهما عربدت واتسخت تتوق طبيعة إنسانية وعقلا موجها مسددا معينا إلى المعالي المبدئية المعنوية والسعادة المادية

ليتبناها جيل من الأجيال الحية ويعتنقها خلق من الخلق الكرام المستحقين للبقاء المادي والمعنوي معا جميعا أو قل الحضاري التام الكامل. ومن المتعين فطرة وفلسفة عدم تحليل كل شيء عقليا لإراحة البدن والروح الكريمة والنفس الأبية بتجاوز الملاحظات العادية وخاصة الفلسفية للمعنى والمادة في طبيعية العيش وعفوية التعامل ما أمكن، فقد تجتاح الأوهام والأفكار الكبيرة الملحة بالنقد الدقيق النفس العظيمة لترهق كاهلها تماما وتضني أعصابها حتى يصبح التافه جليلا واليسير عصيبا والصغير كبيرا وهما لا غير. لأن يعطي البلاء أحيانا راحة فكرية وهدوءا علميا على اختلاف حالاته من سكينة تامة مريحة قصوى إلى تعب ونصب مريعين كريهين مرورا بفتور بين بين ؛ وهذا ليس بالطبع شرحا للشر ومنبعه بل هو فقط معلم توضيحي وإشارة وصفية تؤدي إلى غاية تجلية مسألة الشر. وقد يبدو أحيانا وحسب حالات النفس أن خروج البلاء يتم بالآلام وتنغص العيش وغرابة الشعور وحيرة العقل المجيد إلا أن هذه المعاينة مهما صحت لا تكفي لشرح سر الشر والوقوف عند أصله وتفسيره سوى من حيث وصفه لا جوهره والتعبير عنه بدقة في واقع العالم لا تبيين فحواه الحقة ولا توضيح مجراه العميق لا نتيجة فقط بل (1) سببا أصيلا أوليا و(2) ووقوفا تفسيريا عند معدنه وحقيقته و(3) ووصولا إلى الغاية منه.

أو بعبارة أخرى، الانطلاق من الأسباب الأولى للشر مرورا بجوهر الشر وانتهاء بالهدف منه أولا وآخرا وهي أهمية : الأسباب الأول (الأوائل) والغايات الأخر (الأواخر). والبلاء يمحو ويثقل الخيرات والإحساس بها مما يسبب جوا مظلما ملؤه اليأس واللبس وما على المرء السليم عقلا سوى انتظار لحظة الراحة إن أتت بعيدا عن التفكير حتى في أدنى الأمور لأن أوضحها يكون حينئذ أغمضها جراء الشدة والتوتر. فقد لا يتحقق الدعاء كما أردنا لا بخلا من المنان البتة بل للزوم إدخال مسلك آخر قد يبدو في نظرنا طويلا وما هو (كذلك) يتوسع فيه الخير وتبارك فيه الرحمة وتتجسد فيه الوعود بكثرة كمية وجودة نوعية، وبالتالي فالدعاء وسبقه بالأسباب ما هي عدا مقدمات للبر العميم القادم المختصر –على ظهور البطء ظاهرا- : حفظ للأسباب وللدعاء واحتفاء بهما في سرعة تنفيذ وكثرة إنعام. كما أن العلم يحذو بالمرء لتقوية فطرته أو ينمي الفطرة ويحييها لتحس بالخيرات بعمق وتتمتع باللذات بدوام فهو على إرهاقه للذات (جنس، أكل وشراب، وفسحة وعمل) نفسا وروحا وعقلا مفيد للمادة بفتح صنابير اللذة على مصراعيها وتعميق الإحساس الحاد بالحياة في كل لحظة (زمنا) وفي كل شيء (مكانا). ومنه كانت النفسية للمرء، وهو نتاج العلم والفكر بامتياز، قائدة العيش الرغيد والسعادة الدائمة واللذة المتواصلة في سنن دنيا الناس.

FOR AUTHOR USE ONLY

ومما ييسر النقد الموضوعي بالخلق التأصيلي التقليل من العاطفة للفيلسوف الرحيم الكريم كي يكمل الفضل بتكريس التوازن وعدم الانصياع للقلب فقط مما يورث عطب الحياة وفقدان التمييز وإلغاء العقل خصوصا والشر يملأ المعمورة (المخروبة) والعلاقات الإنسانية معقدة تسودها المصالح الشرسة والمقاصد الدنيئة. فلا يكترث العظيم بصغائر الأحاسيس من خوف وحيرة وغيرها خاصة أثناء التعب لأنها طبيعية في البشر ولو أن عقله الكبير لا يهضمها لأول وهلة محبذا ومحاولا تفسيرها وتحليلها من أصلها وهو كذلك غير أن العمل يتطلب وقتا ثمينا وجهدا جهيدا رؤوفا بالروح القوية ولطيفا بالنفس الزكية. إن ذلك الهدوء يورث الراحة وإرجاء التعمق لاحقا كي يتحقق الغرض المتوخى بدءا بارتياح البال ونهاية بشرح المحال، مما يقلل أيضا إيجابا حديث النفس ولو بفائدة من أجل ادخار الطاقة وتوفير القدرة لوقتها المراد عقلا منيرا. هذا، وفن الكتابة اختصارا وإسهابا كل في محله إلى جانب ما قل ودل شفويا اتقاء ابتذال الفكر الأصيل : لأن الكلام الشفهي عرضة للنسيان والسرعة نسبيا وهو لبه لتوليده للعفوية والبشرية لا الآلية والاصطناعية، على عكس الكتابة التي يتأنى الغاية في إنتاجها وتراجع مرارا وتدقق تكرارا مع الاعتناء دوما بهدفين مترادفين ومتضامين وهما الاختصار غير المخل والشرح غير الممل. ولا ضير في التحليل الفلسفي من الابتداء بالأمور السهلة ونعني هنا بها الساذجة والتذكير بالقضايا المعروفة عند العام والخاص لكنها على كل حال في فم العملاق كبيرة لينتقل أو على أقل تقدير ليحاول جاهدا المضي منها كمقدمة وفتح شهية وترفق بالجميع خاصة وعامة إلى أعلى القمم وأشهى الهمم وأعمق النعم كلما سنحت الفرصة لذلك.

FOR AUTHOR USE ONLY

وبهجة الاكتشاف لا تلغي الانتفاع باللذات كلها ماديها ومعنويها لأنها تعطي للفيلسوف الكريم شراهة أكبر ومتعة أدوم يريد مشاركة وإشراك غيره فيها لينعموا بدفء المعاني ولذة الماديات والآماني، أي أن التنعم بمتاع الدنيا يزيد من حبها والتعلق بها محاربة للسأم والملل والروتين كل ذلك في حرية الممارسة العقلية الفسيحة المحررة لا المعقدة بعيدا عن الكبت المميت والصمت القاتل للشهوات المشروعة وللفضول البشري المرقي. وزاوية عدم الجدية دائما في الخطاب وأخذ الأحداث والنقاشات بسلاسة وهزل مع محاولة النفع المعلمي لا التفصيلي أبدا، مندرجة في الميزان العقلي الفطري الفلسفي، إراحة للنفس الجدية وللروح العلية. هذا، وإمكانية وضرورة ضرب الآخر كالتفتح والانغلاق لكن العقل حكم خالد أولا بتأصيله للانفتاح ضرورة قصد معرفة الأفكار ثم تقييمها على عكس الانغلاق المميت في الدوقماتية والطريق المسدود، وثانيا بعد إطلاع الآخر المنفتح على الآخر (الإنسان) بلا عقدة، بقرار العقل الرشيد المستفيد من قرائح وتجارب العالمين بني الإنسان في كل زمان ومكان. فقهر الظالمين سبا ومجابهة في حينه لزام مع التلويح اللطيف بالعقل لا بهم الذكي بدبلوماسية وجيهة تنبئ عن قيمة الإنسان وجوهر معدنه ببيان.

إن عدم التعرض والإفاضة في الترهات لكن الإحاطة تدعو إلى الخوض فيها لإزالة جميع الشبهات ونحرها في المهد، وهو تحت مبدأ الاختصار والتلميح والتنظير العام إلى جانب الإسهاب العميم الشافي للغليل هنا وهناك. ففي مقام الاستقلال العقل لا يرضى إلا بما أملاه هو أو قلبه المنتج مهما كان المذكور، فهو لا يتطرق سوى لمواضيع اختياره وأمور فكره كما يقبلها في حينها ومحلها بلا فرض البتة. خصوصا وان العبقرية تطال كل الميادين رغم غرابة الجمع والإحاطة في بعضها (طب) ولا غرابة في الحقيقة لمساسها بالأصول لا التقنيات، وهي ملاحظة الكبار للقضايا وتعليقهم عليها من جذورها لكن استغراب النفس في محله لهول المواضيع وتشعب القضايا إلا أن العقل المنير الجامع بالمرصاد كيف لا الزمن حليفه والتدرج ديدنه. ونشير في النفس إلى ملامة العقل له وللنفس حقا وصوابا في بضع المواقف خاضع لمعيار المقام والسياق التفسيري والمكاني والزماني والعقلي وبالتالي فذلك مقبول تماما عقلا لعلو الفكر والعقل البشري م جهة، وهو معذور فيه لقراره المستقل في أوانه وسياقه وزمانه ومكانه المقتضية له، من جهة أخرى، وهي كلها جميعا معا (وهما للوم والعذر معا) مظاهر لو ذاته واستعلاء نوره وإحاطته بكل الميادين بعيدا عن الإغفال، وذلك عين الكمال والعمران والامتلاء.

FOR AUTHOR USE ONLY

وما بد من الانتقال بالنفس الشريفة من سماء الرؤى العزيزة والأفكار الطيبة والجو العليل الحضاري إلى واقع الناس بكل عاديته وسذاجته وعفويته وشره وخيره تجنبا للانفصال الروحي والصدمة الفكرية للعاقل الحريص على نور الحياة وتحقيق الرحمة والسلام بالفكر الكبير والتحرير الغزير للبشر بالتدرج والسلاسة اليسيرة. بسبب أن الرقي إلى الجمال لا يتناقض مع حب الواقع وإنما هو شبه تناقض "ظاهري" يضفيه ازدحام الصفاء مع فوضى الناس ومعاشهم، وما الانطلاق إلى علا النقاء الجمالي الصرف إلا ارتقاء بالذات وسمو بالروح وعلو بالنفس والعقل الراشد لتجتاز محن الوجود وتضحك على ترهات الأوهام لأن الجمال الحق يكسي العقل السديد أو يوفر له جو التفكير السليم في الفضاءات العليلة والسماوات البريقة تجنبا لتعب القريحة وسآمة المكابدة في دنيا العالمين الممتزجة بالشرور والمجبولة على الآفات وما أكثرها، فذلك يبدو زحاما وتدافعا بين الجمال والواقع وما هو بذاك. كما أن الاتصال بروح الزكاة والصفو ليس هروبا إلى الأمام من الاحتكاك بالبشر ولا تغافلا عن الاهتمام بقضاياهم بل هو دفع وتحريك وقوة للفكر والعمل معا بما يتيحه من طاقات معينة وقوى محركة لهذا وذاك قصد البناء الحضاري المادي والمعنوي.

إذن، حرية الاقتصاد في البلد في المؤسسة رأس التطور الخاص والعام بفضل ما تعطيه هاته المؤسسات الخاصة من دعم للدولة اقتصادا واجتماعا وهي خالقة لفرص العمل وضاعة لضرائب تفيد الجميع في دولة الإنسان. غير أن التمثيل النقابي جوهري أيضا في تنشيط الحركة الوطنية بالدفاع عن حقوق العمال في المؤسسة وبشكل عام عبر المشاورات مع الحكومة الحاملة لمشاريع قوانين تخص العمل وسوق الشغل وكل هذا يندرج ضمن توجيه الدولة العام دون الإعاقة بحراك الحرية التعبيرية للعمال الممثلة في نقاباتهم وغير ذلك من عناصر السلك والشبكة المدنية والسياسية طبعا بقنواتها المعروفة في دولة القانون والإنسان. وبهذا وذاك لا تتعثر قوانين أو مشاريع الإصلاح برأي عام نافر أو نقابات معيقة خاصة وأن الإجماع متعذر في أغلب القضايا الشائكة وعلى رأسها الحركة الإصلاحية في جميع الميادين التي لا شك أن أطراف الضغط فيها لا تغيب بطريقة أو بأخرى. كما أن التمثيل الحر في قمة هرم السلطة الشرعية لا يمكن، بحال من الأحوال ومهما كانت درجة إصراره على مصلحة البلاد والعباد، أن يتجاوز حدا معينا ومقدارا أدنى من الاستشارة مع الأطراف المعنية للإثراء أو التعديل حين لا يمس أو يخل بجوهر الإصلاح المنشود.

إن قوس قزح بتنوعه ووحدة نوره وضوئه كونا وإنسانا يعطي صورة واضحة عن تكامل الوحدة والتنوع أو قل التنوع المتخصص في الوحدة الشاملة لا يشذ عن هذا المبدأ لا القوانين الطبيعية ولا الإنسانية حيث تراعى هنا وهناك وحدة الهدف العام واتحاد المبدأ الواحد في تعدد صوره واختلاف أشكاله في هذا الميدان أو ذاك. ذلك أن التنوع لا يعارض بتاتا الوحدة المبدئية وأن الاختلاف في كل شيء ثروة جمة تتأكد بها وحدة القانون الكوني والإنساني العالميين، فالوحدة الشاملة تترجم في رسم معين طبقا للحقل المعني، من جانب، والتعدد المتنوع يصب في وعاء الوحدة المبدئية، من جانب آخر، ولا تنازع أبدا ربطا للمبادئ الطبيعية الكونية والقوانين الإنسانية الخالدة بوثاقة حبل المعرفة الشاملة وبعرى الموسوعية الشاسعة. والاهتمام بالكيف لا الكم تأليفا وسواه يقوي عرى الفهم والنفع معا ويحيل معينا على الاهتمام بالأفضل والتركيز على الجوهر والمخبر لا السطح والمظهر والإصلاح باللب والقلب لا القشر والقالب.

كما أن انفتاح الصدر نفسيا بنفس الحقائق أو التحليلات العادية انتظارا للأفضل في وقته لا يكون في حد ذاته تفسيرا للمستقبل ولا للحاضر أحداثا وجواهر وإنما هو تحضير لغد أمثل تتجسد فيه الرؤى السديدة وتتوسع فيه الآفاق الرشيدة بروح الفيلسوف وعقل المحلل. وهو تماما استشراف الواقع الآتي عموما رسما يوما بعد يوم ولحظة بلحظة تفاصيل القضايا مستقبلا وحيثيات الأمور غدا، وما على العاقل المتحري للراحة والأصالة الخلقية إلا الاستمتاع بتمام والاستغلال بالكمال لهذا الجو المساعد على الشرح والملائم للتفكيك المؤصل حتى وإن لم يأت (جدلا).

FOR AUTHOR USE ONLY

في الحقيقة، إن الظلم يتآكل سنيا لتضارب مصالحه وبيان عوره رغم اجتياح الظالمين للمستضعفين، إذ لا مندوحة من سقوط وانهيار داره على يد القادة الأكفاء النزهاء موجهي العامة فكرا وميدانا كي لا تضيع طاقات المواطنين سدى ولا يستغل المجرمون بتزين الثورة الفكرية لا العنفية فما يعود العنف مهما كان إلا بالبوار أولا وآخرا على الضعفاء والشعب الأعزل وما فاز بغنائم الحرب المسعورة والمسعرة بشعارات لهذا وذاك إلا الطغاة المعتدون. لذا كان ضروريا أن يعتنى بالجانب الفكري التثقيفي للناس على أجيال كي يذوب جليد الجهل أولا وتخمد نار الكراهية والعنف ثانيا بين المواطنين أنفسهم لتجري الانتفاضة على النظام العفن الظالم مجراها و يسدد رفض الفساد والاستغلال الغاشم والاستعباد للناس إلى طريق البناء السلمي والعدالة القانونية لا الانتقام العجول ولا المساومة الرخيصة. وبالتالي فقيام الحضارات قانونا إنسانيا لا يتم إلا على أنقاض أخرى فقدت أهليتها لا كإقصاء من هذا لهذا وذاك بل تحقيقا لناموس قيادة البشر للمعمورة عموما من حيث الزمان والمكان، هذا مع إمكانية تزامن القوى العالمية علمت ببعضها (حديثا في العولمة) أم لم تعلم (قديما). فكل من أجاد البناء الحضاري ساد وجميع من لم يجسد شروطه ومبادئه باد (والعبرة بالفكر النقدي العميق والفعل الميداني). وهناك فرق جلي بين ترسخ السنن كونا وإنسانا لإعلاء الصرح الحضاري وبين التفكير فيها فقط والاقتناع بها بلا عمق، فالأول يبدع حضاريا فرديا وجماعيا (رغم التعب التحليلي والعمق الإنتاجي) والثاني يعلق سطحيا وربما وصل إلى ذيل المعالي الغائرة إن حسن الجهد وصح العمل.

FOR AUTHOR USE ONLY

وكل ما أقلق العقل المجيد فهو مفتوح به قريبا أو بعيدا لأن الغضب الفكري والتقلبات الذهنية لواقع العلوم والحال (الواقع) يدعو للقلق والنقد بلا هوادة باعتبار خطر الموقف وبدعة الأصول المعمول بها والمسلم بها ظلما وجورا على النفس الإنسانية الحرة، ومنه كانت النتائج المرجوة ضرورية التحقق وملزمة بالوفاء بالعهد العقلي الذي طالما نقد وغضب وحلل وحرر وقلب باستمرار. وحب النظام وعشق الإتقان والاهتمام بالتحضير الدقيق قد يؤدي بالعظيم وبالمبدع إلى تعب مجهد وإلى وسواس قاهر إن لم يتغلب عيه بالسخرية والاكتفاء بالأدنى الذي هو عند الآخرين أقصى "على قدر أهل العزم ...". وعلى الفيلسوف العليم اتقاء اليأس أمام الشر لأنه يوقف حركة الخير ويشعر بالضعف لوجود عاطفة جياشة تحارب الشرور دوما دون فهم له ولا لحقيقته من جهة، ودون المساس به لديمومته وشيوعه، وإلا فزرع الخيرات للعالمين واجب الأحرار اليقظين على تعهم ونصهم الفكريين النفسيين من أجل إفادة الناس بكل الطرق وأعلاها تحرير فكرهم ومساعدته حثا وتحفيزا على استغلال عقولهم واستخدام طاقاتهم، بالإضافة إلى إزالة الحيف المادي عنهم

أيضا. وبالرغم من أن الحقائق مرة لكنها عند السبر والتحقق بالعقل البين جميلة لجبلة النفس لبشرية على حب الخير والجمال فلا بد من وقت وحسن عرض للحق حتى يقبل أو على الأقل يبحث فيه بروية ويتأكد منه بتؤدة حتى ترضاه الروح بحرية وتتمتع به بنور وسوية في مبدأ إقناع العقل السليم بالحكمة البالغة والسلاسة الناعمة للقلب العليم قصد النعيم العميم هنا وهناك قرارا.

و هناك أيضا فقدان لبعض المعطيات عند عدم الاستقرار العقلي والنفسي مما يدعو العالم إلى التنقيب الدقيق مع استعمال الوقت العظيم لإيجاد الحلقة المفقودة واستكمال الإطار المنهجي الصحيح بغية الانتفاع الأتم بكل خير مادة وأدبا، وقد يحدث ثورة علمية منهجية نقدية للأصول إيبيستيمولوجية عميقة، قيندثر المنهج السابق لصالح الجديد الفعال شكلا ومضمونا طرحا وفحوى عرضا وجوهرا. وسنة تساوي الجزاء بالبلاء طبيعية إذ العاملة بالمثل أس البقاء الحقيقي وهي معلقة بقانون ضرورة وقوع الشدة بلا محيص عنها في نواميس الكون والوجود البشري، أي أن القوة هنا تعدل القوة هناك لاقتضاء الضرورة الكلية لحدوث الابتلاء أين يكمن جوهر المخاوف ويستقر لب الحيرة بتسليم الشر لمصدره ولا يشفي غليل الفهيم ولا يسكن أعصابه الفكرية ولا النفسية الروحية سوى فقه جوهر البلاء وحقيقة الشر ثم/و شرح ملابسات وقوع الحدث لا الاكتفاء بالقول بضرورته نظرا وإن صحت نفسيا في بعض الأحيان. إذن، فالعودة للأصل التفسيري للجوهر والحقيقة الشرية ما مناص منه لتوليده مباشرة لفقه البلاء ووقوع الكوارث في الكون والإنسان على التمام ووجه الكمال. وتجاه مصاعب الحياة وقضاياه يتكون للمرء العاقل تصرفان هما الانتحار انعزالا عن انشغالات المعاش وتكرار المآسي والعقبات أو مواجهة الشرور ومجابهة الجبناء في كل ظرف وقضية بالعزم والحزم والضرب اللاذع هدما للشر وأصله رأسا وأذنابا، وهي قانون اجتماعي إنساني يريد العقل من ورائه كنه الشر ومعرفة جذره لاقتلاعه من أصله لا فقط معالجة أعراضه العارضة وعلاماته المجسدة سطحيا فحسب وهو لب عمل وجهد وبغية الفيلسوف المبين. إذ لا بد لاستئصال جذور الشر مع ذكر خير نتائج الشر وضرورة حصوله للخير، من التأكيد على طبيعة وجوهر وأصل الشر لاستكمال الصورة بوضوح وجلاء تامين ووصلا للبدء والنهاية بالمسيرة البشرية تحت بصر العقل وعينه الناعمة الخبيرة. إلى جانب أن السبة للقدر ومنبعه مهما كان، ناهيك عن النقد الحر على مصراعيه، حق البشر وهو رفض للواقع بحق لتنافي الفكر السليم مع العيش الضنك الركيك.

FOR AUTHOR USE ONLY

والتسليم بأنواعه ليس إلا تلاؤما وتكيفا مع الحياة بقسوتها وتنوع مآسيها واختلاف مشارب الضيم في أجنحتها بلا توقف. وقد تبدو بل يقينا ذلك السباب غريبا ورهيبا ومروعا ومخيفا عند انقضاء أجل الشدة وارتفاع التناقض نفسيا لا عقليا وفلسفيا لكن ذلك مرفوض عقلا لانفكاك الجهة النقدية الشعورية الفلسفية الفكرية إذ لكل مقام مقال وتحليل وتفكير ونظام حسب الزاوية والانتظام.

زمام الأمور سرمدا هو الخلق الرشيد العالي، والتعود أساس التعامل البشري وما الخلق والسلوك سوى فطرة واكتساب طورا حتى يصبح عادة وسليقة لا باردة بل حاسة شاعرة منتجة لكل خير والبيت والعائلة والأسرة أفضل راع وحاضن لذلك، وعلى العكس من ذلك سماجة البعض ورداءة الآخرين لا شرا لكن طبيعة وتعودا على البرودة لم يعدلا ولم يصححا ولم يجتهد فيهما قصد عكسهما رويدا رويدا للوصول إلى الأمثل والخلق الرشيد. لأن الاعتداد في حقيقة الأمر يكون بالمعاني والقيم دو اعتبار الأشخاص المتعامل معهم لا عدلا فلا بد منه مع الجميع ولكن إحسانا إذ قد يستخسر في العاديين والباردين تعاملا وسلوكا والبليدين شعورا، وما على العاقل إلا انتهاج الجادة العقلية الخلقية ناسيا ومتناسيا وفق النور الفطري والعقلي الفلسفي الأفراد المحيطين به كزارع للخير ولو في غير أهله صيانة لأعصابه وتكثيرا لطاقاته، مع احتفاظه بحق اللذع للظالمين وردع عديمي الإحساس باللامبالاة الكبيرة والتجاهل القاتل.

FOR AUTHOR USE ONLY

هذا، وكل الأحاسيس إيجابها وسلبها في طبيعة الإنسان والعقل المجيد هو موجهها بسداد وبصيرة ثاقبة إلا أن الشق الشري واسلبي منها هو الذي يحز في القلب الفلسفي والروح العظيمة (على عكس الجانب الإيجابي منه) حتى عند تحطيم العقل المبين له إذ يتكرر ذلك مضنيا العقل والروح والنفس، خصوصا عند تذكر أصل الشر والتساؤل حول منبعه ومصدره. فعلى الفيلسوف المبصر تفادي السؤال الحاد عن الأصل الشري السلبي وتعديه إلى قبول الأمر الفطري بشره وخيره في الروح نفسيا وعقليا كي تقل الحدة النقدية الحرة وتهدأ الروح التواقة الحرة إلى أن تصل إلى هدفها بسلام وتتم غايتها بأمان. هذا، وارتفاع المعنويات في حال ومكان وزمان لا يستقر في دنيا الناس بل يساعد ربما على تحليل أو مواجهة الظروف الحياتية المليئة بالشرور وأهلها، مما يولد في النفس توازنا يرمي لفهم الحقيقي والدرس التوفيقي والتحقيق الترشيدي والعمق التسديدي.

ولإعطاء الروح الشريفة قسطا من الراحة والاستجمام النفسي والمادي والروحي والعقلي لا بد من تنويع المتع الفكرية والمادية والنفسية بإبعاد التفكير الدائم في الصغير والكبير والإمعان في الاستمتاع باللذات العادية وهنا نقصد أكثر الفكرية منها بالتغافل بقصد عن الرقي أكثر في مستويات أعلى والاكتفاء (مؤقتا) بالتحليل العادي حتى ولو كرر مرارا واجتر تكرارا انتظارا لغد فكري أحسن ويوم مريح نفسا وعقلا بهدوء وتؤدة العارفين الفاقهين. وما هو سوى قفز بالقوة (طاقة) يتبعه فوز بالفعل (ميدانا). هذا، وحب الانتقال من لذة إلى أخرى مع الإلف الكبير غير المرضي وربما كان شبيها به في أول الأمر مزين للحياة مبهج للقلب مذهب للملل بالرغم من تضارب الاختيارات وتصارع الملذات لكنها إلى استقرار وأمان وكثرة وسلام، ويفسر في بدء القضية بتلازمه مع البلاء والشدة ولو كانت باطنة غير ظهرية كغليان داخلي ينتظر وقت ينعه واتقاده خارجا بمنفعة وغزارة وأصالة إبداع ونور خلق. فقريب من هذا الحيادية التعاملية مع الأدب الجم الأدنى مع الباردين وحتى مع الطيبين ضمانا للتوازن العاطفي الجياش وتحكما في الاستفاضة الشعورية مع الكرام على أهليتهم لكل خير وفضل وحسن وإحسان فضلا عن العدل ببيان، وما ذلك إلا عمل العقل السعيد في تجسيد الواقع المجيد لاحتمال وقوع الأسوأ حالا ومآلا وناسا، لذا يشتغل الفكر القويم على توقع الأسوأ ولو من الفضلاء طبيعة في الإنسان وزرعا للخير قولا وفعلا وسلوكا. وقد توجد لحظات تتواتر فيها النعم للنفس وفي الروح بالعقل السديد ليشيعها بفضله على العالمين بلا عناء ولا تفكير مسبق لأنه تم ضمنا من قبل ومن بعد وهل هناك سوى نور العقل الفلسفي المعضد للفطرة الناعمة والسلوك الراشد والعمارة الخلافية السامقة.

FOR AUTHOR USE ONLY

لا جرم أن حكم التاريخ مخيف للظالمين بالرغم من تجبرهم وطغواهم فهم أناس مهما كان الحال ومن أجل ذلك ترى الحصيف يتوقع في دنيا الأناس كل النتائج من وراء عمله المتفاني المختار الحر السوي سواء أكانت إيجابية وهو جزاؤه الحق المستحق أم سلبية وهو مندرج في سنن الدنيا وجزاءاتها المختلفة التي لا يمكن أن تضبط إلا بموازين القوى وتوازن الصراعات تبعا للطاقات بسبب غياب الأخلاق أو قلتها وندرتها مع حكم القوة والغلبة على حساب القانون والحقوق بعد اندثار أو سحق الأخلاق، وتلك الدنيا ... وذكر هذا الناموس معين أيما إعانة للفيلسوف والمناضل البصير كي لا يغيب سدى في حساب المآلات ويتيه في انتظار تجسد الفضائل الفكرية في واقع البشر بعيدا عن الأسى والأسف والتأسف والندم القاتلة للطاقات المهدمة للقدرات والصارعة للصناعات الإنسانية النفسية والروحية والعقلية.

ومن جهة أخرى، يتماشى هذا القانون الدنيوي، على وقعه المؤلم في نفس المتفائل العالي النفس المقتدر بعقله القدير بذاته، مع الاستقلال الفردي والفعل الشخصي دون إعانة أحد في الكون في حركة صراع الخير والشر وقتل الأوهام ودفن الظلم والظالمين بنصر الفضلاء الصالحين المصلحين الأقوياء العارفين المقتدرين. وحقا إن الحلم يترجم في تجاهل الجاهلين لجهلهم وإغفال الدنيئين تكبرا على سوئهم واستكبارا على ضعتهم، من جهة، وربحا للوقت والطاقة في أمور النفع والاكتشاف، من جهة أخرى. إلا أن هذا الخلق الرفيع قد يبدو للضعفاء المارقين ذلة وتخاذلا وهو ليس كذلك لقيام العاقل به في تردد بين الرد العادل والتجاهل الصافع، يكون بعد التفكيك والتحليل سكينة نفسية وعقلية مؤكدة للفضل العقلي للحليم القوي الذي لا يترك مجالا لردع الظالمين والمستكبرين في مقامه ومحله دون أدنى تردد.

في ذهن الفيلسوف العظيم كبير النفس واسع الآفاق تظهر كل القضايا واضحة بلا إشكال غير أن طرحها للناس باختلاف ثقافاتهم ومستوياتهم وفهمهم –على أن العقل البشري واحد لكنه متأثر بالخارج أسرة وشارعا وإعلاما وتكوينا علميا وعمليا وعيرهما- يكون بمراحل يحددها سياق المكان والزمان والأشخاص المخاطبين كما تقتضيه البلاغة تماما في الأدب. ليكون تكييف العرض عمقا وبساطة وأسلوبا ملائما للسامع والقارئ والمخاطب من أجل إيصال الرسالة الواضحة له من دون لبس ولا إحراج معيق إلا تحريك العقل المفكر للوصول إلى الحقائق بسلاسة ومكث يطيلان أمدها ويديمان التمتع بها وتطويرها بالتدريج، رغم تسرع الفيلسوف المتحكم المعقول لاهتمامه بالبشر وشغفه بالنفع والصلاح والإصلاح قدر المستطاع ربحا للوقت وتوفيرا للجهد بيد أنه سرعان ما يعود ليقطر العلم وتأقلم الخبرات مع مستوى الناس المعنيين مراعاة لسياقاتهم وظروفهم والغاية القصوى هي إفهامهم وإعانتهم على فقه الواقع والعالم والوجود بعقل ثاقب وقريحة نافذة. ويحرك جنان الكبير حب الإتقان في الصغير والكبير بدقة العظيم يورث الشك الإيجابي المتعاطف مع التواضع القادر لا الضعيف الواهي لكنه قد يولد كذلك ريبا مرضيا وشكا سلبيا إن استسلم له شيئا فشيئا حتى يصير هلوسة لا يقطعها إلا التجاهل العقلي والغفلة الواعية المملاة من طرف الرشاد الفلسفي والفطرة السليمة.

وننوه على طبيعته العادية تماما حتى عند الكبار الأجلاء الذين يعتبرونه نوعا من الراحة والاستجمام الروحي والفكري في الدنيا وتبعا لسننها التي تطال العادي والعبقري معا بلا تفرقة لكن التعامل مختلف والعبرة حسب هذا وهذا متمايزة حسب الملكات الممنوحة طبيعة. فالفن وتعليله كالعلم وتقنينه بالرغم من صعوبة تحليل الفن عقليا ومطلقا وإمكانيته وسهولته بل وضرورته ذاتيا ونسبيا، إذ حتى العلوم الإنسانية

FOR AUTHOR USE ONLY

والاجتماعية صعبة تحديد مبادئ عالمية خارج إطار الأخلاق وحقوق الإنسان وعلى رأسها الحرية، إلا أن فهم الجمال وهو لب الفن وبنزين الحياة لا مندوحة عنه للولوج إلى حقيقة الزينة وتعليم الغير فن الإبداع وروح الخلق على شاكلة منهجية العلم شبرا بشبر وذراعا بذراع وظفرا بظفر. لكن الفوضى عن قصد من أجل النظام والراحة للمنظم الدقيق حتمية (سنة) اختارها للترويح عن نفسه الجدية وهي سليلة الانتقال من الفكر إلى ملاذ المادة أو تنويع ميادين التفكير للمتعة بها أكثر وبشكل أعمق دون ملل ولا كلل. وهاته الطريقة تزوده بالطاقة للغد وتلبسه ثوب القفزات القوية وتغنيه عن إجهاد النفس والعقل والذات في استماتة الفضول العلمي الفهمي بفقه التوازن الذكي وحكمة التدرج السوي العلي.

إن الموسوعي وتعبه وراحته تحت مبدأ الجهد وجزائه ممكن للجميع كل حسب طاقته واستعداداته وعمله ومنه نصب العالم الموسوعي الذي يتطلع بفكره النقاد لا العادي الجامع فقط إلى جميع الميادين التي تشد عقله وتمتع روحه وتزكي نفسه من فن وعلم بأصولها وفروعها المتنوعة بتوزيع الوقت وتوسيع الهمة في تؤدة وتأن جليلين يريحان الإنسان من كل جوانبه الفكرية والعاطفية والمادية على السواء. ذلك أن النفس الكبيرة تعيش أحداث الحياة التي يمر بها جميع الناس العاديين أي كل البشر بغض النظر عن علقهم الكبير أو الصغير ودون مراعاة لفقههم وثقابة نظرهم وعمق تحليلهم بيد أن رد الفعل يختلف باختلاف كبر العقل وجلالة القدر النفسي والروحي والفكري، فقانون الوجود واحد والفقه مختلف. والتفكير في المستقبل متعب مرهق ونسيان الأمل دواؤه خصوصا للعليم قوي الروح فذ التفكير بما يوفره له من استقبال للواقع كما هو وعيش الحاضر الحالي بالاستمتاع بالخلود الآني في سيرورة شؤون الوجود وصيرورة الأحداث. لأن التكثير من الأماني يقتلها وتعدد الأحلام يطعنها بسبب محاولة الهروب من الواقع أو تجاهل الأحداث واليوميات بسلبية بغية أمنيات قد وقد لا تتحقق. فالأمل في محله وبقدره ولا يصنع في الحقيقة سوى في معاش اليوم وتدابير اللحظة فكثرة أشغال الحياة لا مراء فيه وتنوع مشارب الوجود ماديا وأدبيا لا تحصى، والغلبة للوسطية وتحري العقل العميق بمرونة وتدرج وراحة.

كما أن العبرة في التفكيك العقلي هو الابتعاد عن الخطأ وتجنب الزلل ولا يعني هذا انتفاء الخطأ الأولي والتعثر البدئي فهو مولد الصح الدقيق ومنتش الفكر العميق طال الزمن أو قصر وهو منوط بقوة القدرات الذاتية والمواظبة على الفكر والتمحيص على مر الزمن وهو مرونة التفكير الفطري الفسلفي الذي لا يتقيد بوقت بل يعطي لنفسه كل الوقت بتوازن المطالب البشرية والاحتياجات الإنسانية ماديها وأدبيها على حد

FOR AUTHOR USE ONLY

سواء. لذا كان النقد الداخلي والخارجي مندرجين في مضمار الحرية البشرية التي تعنى بجميع المواضيع الإنسانية بلا تفرقة بين المهتمين بها فلا حكر لأحد على الفكر بل هو عالمي كوني بشري بما يدلي به العقل البين من نور وإنتاج فيما يخوضه من حوارات ونقاشات في شتى المجالات، إلا أن اللطف بالأفراد ومراعاة شعورهم دون المساس قيد أنملة بالموضوعية العقلية العلمية ببحث من الداخل والنقد الذاتي قد يسهل الاعتراف بالحقيقة المرة وييسر قبول الفكر الجديد الجيد الذي يطيح بأوهام داخلية ربي عليها الفرد في هذا الدين أو ذاك، أو هذا المذهب أو الآخر، وبالتالي فالنقد كله واجب الإنسان فلكل أحد (ونحن في عصر العولمة) الحق في التنقيب عن اللبس لإزالته والبحث عليما عن الوهم لدكه داخليا أو خارجيا، لأن المسائل الكونية أو الإنسانية ملك للبشر جميعا بلا فرق ولا تمييز من أي نوع كان. والثورة النفسية والعقلية مستمرة بتفاوت بين المراحل والدرجات حدة ولطفا حتى الاستقرار معا نفسا قلبا وعقلا وفكرا، وهو أحيانا تزاوج بينهما وأحيانا أخرى أحادي يكتفي بهذا أو هذا فقط ومواصلة البحث بتخلل الراحات والنزه يتم بالترفق بالنفس ومعرفة أغوارها حسب الأشخاص وحالاتهم واستعداداتهم المتنوعة المختلفة.

FOR AUTHOR USE ONLY

وبالتأكيد أن الاستعداد للفكر فكر وعمل والاستجمام للإبداع إبداع أيضا (بالقوة) قبل أو يصير ميدانا (بالفعل). غير أننا لا يمكن تجاهل الاتجاه المحافظ إنسانيا وليس فقط دينيا إذ هو موجود وهو غريب حقا لطابعه الكريه دينيا بلا نزاع لكنه كذلك لائيكيا إذ كان من المفروض عقلا في انعدام الإكراهات الدينية بأشكالها النفسية والعقلية (لا وحي) أن يتحرر القوم اللادينيون خاصة للنقد بلا وثنية البتة إلا أن المرء الملاحظ يجد المفكرين هنا وهناك متحرجين من نقد أمثالهم أو آبائهم ممن أصلوا لهم اتجاهاتهم، وقد كان حريا بهم للموضوعية العلمية أن يعرضوا أفكارهم التي اقتنعوا بها من قديم أو جديد على ميزان العقل الرشيد طرحا للغث وإبقاء وتمسكا بالسمين، وقد فعلنا ذلك مع الوحي كله حرفا حرفا بلا محاباة فلا علم إلا نور العقل السديد الموجه الرشيد. ذلك، أن حب الماضي مغروس في الجبلات البشرية التي يميل جسدها لا روحها إلى الخمول والبلادة الفكرية والتصلب العقلي والتحجر العلمي والفعلي جميعا، وهو طامة الطامات وكارثة الكوارث.

ومن الأسس العقلية اتباع المنهجية والإحالة بدءا ونهاية وربما تخللا قانون التعامل مع التراكمات العلمية والفنية والتجارب أي نظرا وعملا وبالتالي ينطلق المفكر كمتعلم أولا جامعا للمعارف مكتسبا للخبرات من هذا وذاك حتى تتكون لديه ملكة التحليل الدقيق والنقد العميق ليمر من منطقة الجمع والاطلاع والتساؤل إلى واحات الإبداع الشخصي الفسيحة وفضاءات الخلق الأصيل الرحيبة مبتعدا طبقا لفكره وعمقه ونقده

وجذوره عن الإحالات على الأشخاص والمفكرين غيره لا طردا للمهارات وازدراء بالمجهودات فلكل قدره على قدره وفي مستواه لكن طيرانا بفضل الصالة في النقد والتأصيل والعمق والتحليل التي لا تواكبها نفس ولا يحويها عقل ولا تجاريها إبل سرعة وقوة ومواظبة. على أن المطالعة وهي زاد المفكر تتيحه له مجالات ربما أوسع من النقد وتشير إلى مواضيع تثبر اهتمامه ومنه إبداعه، أي أن الخلاق مهما علا صيته في ذاته وعند غيره فهو بين الحين والحين يتوقف لرؤية حالة البحث ووضعية الإيداع عن كثب بنفسه كالعادة وما أن يروي ظمأه الفضولي حتى يعود عطشان لفكره ومنهجيته وطريقته في التساؤل الحر والإبداع البر والخلق السر. فقد تشبع بتراكمات الفكر والفن والمهارة واكتفى بما تمليه عليه روحه الكبير بعقله السديد مدللا ومعللا بطريقة أوضح وأسهل وأبسط وأعمق وأوسع وأرحب وأشفى وأكفى.

هذا الجانب النظري، أما العملي فبالرغم من صحة المبادئ العقلية كالحرية والنقد وصون كرامة الإنسان المادية والأدبية وفائدة الأخلاق لزوما وغيرها إلا أن تجسديها واقعيا يحتاج دوما إلى جهد جهيد ووقت بعيد لمحاربة بعض الناس لها من منطلق مصالحهم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا بما في جبلة البشر من (خير) وشر يعيق حركة الخير، بل حتى في مجتمعات ودول الرقي العصرية تتمتع اللوبيات وجماعات الضغط وعصبه بأدوات تؤثر في مجرى التغيير لتحقيق كرامة الإنسان إلا أنها، على خلاف غيرها من المجتمعات المتخلفة مع أشباه دولها لأنها كلها استبدادية مبينة على الجبروت والقهر والاستعباد، محاطة بسياج القانون والعدل وسلطة الدولة الشرعية بالانتخاب النزيه واستقلال القضاء على درجات ومراقبة السلطة التشريعية بتفاوت بينها لتمايز أنظمتها الديمقراطية لا جوهرا بل تنظيما وتحسينا لا غير.

والمهم، ترقبا للترجمة الفعلية، أن العقل المجيد محب الخير والحقيقة الجميلة يتحد مع العاطفة الفطرية الميالة جدا للخير والحق لقمع شرور النفس وغرائز القلب المسخرة أولا في تحري الحقيقة والبحث عن الصواب بموضوعية وثانيا في اتباع سواء السبيل وانتهاج الصراط المستقيم ضد أهواء الكسل وأهوال الخوف وكابوس الآباء وهاجس التكبيل الجماعي الأسري والشارعي والمجتمعي والأكاديمي والديني. وأحيانا يختلط عمل العقل المبصر الموجه وحركة النفس الخيرة في محاربة الأفكار الكاذبة وتطهير الروح من أرجاس الأوهام وتزكيتها من أنجاس الزيف. والأهم هو أن العقل البين قائد لعمل البحث الدقيق حبا للفهم وفضولا في تقصي القضايا كليا وجزئيا، وهو العامل والمحرك الأول للنفس وشجاعتها وجميع قيم الخير فيها للذود عن حياض الحقيقة وسياج الجمال لتتبعه هي راضية بفضل شقها النوراني الرفيع مقابل جانبها المظلم

FOR AUTHOR USE ONLY

لتدسه في التراب إلى الأبد. وبهذا، هناك عونان للنفس البشرية أحدهما عقلي محفز ضمنا ومبين فكرا، والأخر نفسي خير تمليه النفش الشريفة اتحادا مع العقل الرشيد وتحالفا مع عرقه العتيد العريق.

مثالية المسؤولين في شتى المراكز ضرورية لإضفاء المصداقية على أوالهم ومجهوداتهم من العامة التي تتأثر أكثر بالفعل لا بالقول وهو أمر معقول إذ لا قول حقيقا إلا في واقع الناس وحياتهم تصديقا للمبادئ الكريمة وملأ للفراغ التكلفي القولي بالتجسيد الميداني المستند للفكر السليم والقول العليم منتجا الفعل القويم، على أن الكرام، من جهة، لا يسقطون في فخ العامة المتربص أحيانا والعادي الساذج أحايين أخرى بتوخي الحذر الوسطي والابتعاد عن مناطق الشبهات لا عقدة بل إبعادا للشر وينابيعه وكسرا للغدر قطعا لأسبابه مع حياة الراحة وعدم تكليف النفس فوق الطاقة طبعا، فكل من خرج للساحة العامة العمومية لا بد له أولا من حياة خاصة عادية مصونة وأخرى مسيجة بالوضوح والشفافية غير المفرطة التي لا تمس بخصوصيات الفرد والمسؤول أبدا. ومن جهة أخرى، يعتذر للزالقين في دركات الأخطاء بالإنسانية التي تحفظ لهم حق الزلل بمقداره مع تحملهم للمسؤولية كاملة تجاه ما ارتكبته أيديهم، والعالمون العاملون الفاقهون أول الناس في عذر الناس المخطئين بعيدا عذلهم وهم أولهم في اتقاء مخاطر ومهالك اللبس والغموض. وكل هذا الجهد الشخصي الرقابي يحذو بالعامة لاتباع أثر الخاصة والاعتماد على النخبة والاقتداء بهم وبعث الأمل في نفوسهم في مسيرة التنمية وموكب الحضارة الخالدين العريقين.

FOR AUTHOR USE ONLY

بسبب العقل الكبير يضطر الفيلسوف عقلا إلى التطرف تجاه العاديين الذي يزيحه بنوره ويجبر على الإجحاف في حق المفرطين المنقصين الذي يردمه بفضله وبصيرته وعدله، ففرط ذكاءه وعمق رؤيته أنتجا فضل خلقه وحكمة تعامله مع المستويات كلها بالتدرج وقصد النفع والبيان بالحجة والبرهان لا بالعجلة والتعدي والبهتان. ففي الاجتهاد كله هناك مراحل للإنتاج تمر بالتلقن فالتساؤل فالنقد فالخلق والإبداع وهذان الأخيران (الإبداع والخلق) يتطلبان حدا أدنى من الجرأة أولا العقلية والفكرية ثم النفسية في التحليل والإتيان بالجديد في خلد المجتهد البين، إلا أن ظهور العالم للوجود العمومي يفرض عليه، بما أنه اختار إظهار فكره كتابات وغيرها، التصريح الحقيق بلا تقية ولا روغان عن رأيه المباشر في القضايا والمسائل المتنوعة التي بت فيها عقله أو التي يميل إليها حسب الحالات ولا يحق له عقلا كتمان علمه وتخبية رأيه بأي حجة كانت ولا ذريعة اختلقت حتى تباين المستويات إذ ما بد من إبداء الرأي بلا غضاضة ولا لبس للخاصة والعامة في آخر المطاف، فله كل الحق في عدم الظهور ليقنع نفسه فقط وحواليه برأيه دون غيرهم فهو غير مجبر بالتعليم وهم غير مجبرين بالتقليد.

وكذلك يحق للمتعلم التقليد المتدرج في آفاق الانسلاخ عنه إلى ساحات الاجتهاد الشخصي في السائل واحدة بعد أخرى بقانون التدرج العريق ثم الصولان في ساحة الإبداع في كل صغير وجليل طابق فكره غيره أم لم يتقاطع بتاتا فالعبرة بالاقتناع الفردي بعد إعمال العقل المبين المبتدئ بميل قريحي ونفسي لينتهي بيقين روحي مبني على نور العقل السديد ربما إجمالا وربما تفصيلا وربما معا حسب الملكات والظروف والسياقات. فمن اقتنع برأي ثابت في قضية معينة عليه تبيينها للناس إن كان فتح باب العمومية على نفسه فهو غير معذور إلا إذا تنحى جانبا واعتزل الأفكار فلا ضير فكريا ولا عقليا عليه، أما وأنه خاض بحرية معركة الفكر فعليه مواصلة الدرب بلا خوف من اللائمة وما عساها تفعل حين تبين البينة وبروز الحقيقة، بعيدا عن تصفيق العوام بلا فهم وعن رضا السلطة بلا علم. ولا تفرض الحقيقة البتة تحت مبدأ الحرية والكرامة الاختيارية الإنسانية هذا في الصواب فكيف بمن يجبر الناس على اعتناق الشرور وانتهاج صراط الضالين المضلين بقوة التأثير المغرض والزيف المتملق ناهيك عن السلاح المرهب، فذاك هو حق الشيطان وعدة الأشرار ومادة المستكبرين الأذلاء بلا شك.

وفي إرشاد العقل النير يكون ضرب الظالمين لمن أراد مختارا حرا نور الوجود وهو صعب ماديا وأدبيا عسير في حياة الناس لملك الظلمة لمقاليد القوة مالا وسلطة وعسكرا وآليات تعيق حركة المجاهد الفكري مكسر عروش المجرمين، غير أن الكل مطالب به على مقدرته وهناك حد أدنى من كره الضيم وأهله وإحقاق الحق بذكاء وحنكة في محله حتى يتمكن المفكر من إحاطة نفسه بسياج منيع يقيه المصارع هنا وهناك وما أكثرها. هذا، (1) والعلماء معذورون في عدم إيصال الكلمة مباشرة لأهلها الفاسدين المفسدين وملومون كل اللوم من عدم النصيحة بالطريقة غير المباشرة ولا المشخصة، فدورهم تبيان الحق بلا هوادة بلا تجريح ولا تشخيص ولا ذكر للأفراد خوفا أو حكمة، (2) على أن تعرية الظالمين بأيدي الثلة الشجاعة البطلة تفكيرا وتنظيرا وفعلا وميدانا واجب عقلي يحفز عليه النور الطبيعي لفضح ممثلي الشعب المزيفين واقتلاع جذور الحيف بسبب المعتدين على الحريات والحقوق والممتلكات. ومن النفاق بمكان إظهار فكر هنا وإخفاؤه هناك بل والقول بضده هناك خوفا من العامة ولا سلطة لها أو من الحكام ولا مقدرة حقيقية لهم بنور العقل الفلسفي المنير.

FOR AUTHOR USE ONLY

يبدأ التفكير المنتج عند الاتصال بالمعارف مطالعة أو سماعا وربما نقاشا وكأن العقل البصير بعد تمام راحته وأخذ قسطه من التمتع بالطيبات يستعيد نشاطه وقوته بالارتباط بالفكر بصيغه المتنوعة متيحا لنفسه الإبداع أو على الأقل التحليل والتفكيك والتركيب الربط والتسلسل والتخطيط للاكتشافات مراجعة للأفكار المسبقة أو مساءلة لها، وهو تركيز على ما اقتنع به وتساؤل عما لم يفصل فيه من المواضيع وما أكثرها. إلا أن اختيار أسلوب الخطاب ونوع الموضوع وقوة الفكرة وعمق التحليل ضرورة لا تعني البتة الانتقال من رأي إلى ضده بلا اقتناع حقيقي فقد يجنح العالم إلى تغيير قوله بناء على ما جد من معطيات أو نتيجة خطأ بحث وتنقيب، ولا تتيح للمفكر إخفاء آرائه إذا ظهر للعلن بحريته وبملء اختياره، لأنه سيكون ملزما بالإبداء برأيه والفصل في المواضيع المطروحة عليه بلا مثنوية اليوم أو غدا للعامة و/أو الخاصة فلا مناص من الصراحة لمن أراد الحق في السر والعلن. ولا مناص للخبير من ترك الأمور طبيعيا دون عمق للراحة وهي فطرة البشر أمر مربح للوقت وموفر للجهد الغاليين في عين الحكيم، الذي لا يغدر بنفسه ولا يخادعها عند التساؤل الحر وعدم الاقتناع بالأجوبة الباردة السطحية كما أنه لا يفوت فرصة الراحة الطبيعية التي لا تنفي بتاتا النقد الصريح بل تؤطره وتعمقه بطريقتها تحضيرا لأحيان وأوقات التنقيب الدقيق كي لا تمل النفس ولا يسأم الفكر ولا يتعب القلب العاقل النقاد الصارم. وكما أنه مبدأ في الأفكار هو كذلك قانون في الحياة العملية أين يترك الأمر بلا تعقيد متابعة للأحداث وحلا لها دون نسيان التخطيط المسبق بقدره.

FOR AUTHOR USE ONLY

وفي هذه المسيرة النقدية التساؤلية الحرة وللحرية يمثل الإبصار الحقيقي بعد الخطأ أساس نهج الخلاق ولا يتم إلا بعد التفحص العقلي الكبير والإمعان النظري الدقيق طارحا للعاطفة جانبا وتاركا للقريحة الذكية النقد البناء بلا محاباة حنينية أو مداهنة فكرية بأي شكل من الأشكال، وهو العائد يقينا على الفرد العقول إلى الرشاد بعد التيه الحنيني الضارب في الماضي الذي يجعل المرء يذهل أو يغيب ولو لفترات معينة حبذا أن لا تطول، عن الحاضر والواقع وبناء المستقبل ببصيرة. إن هذا الجهد الذهني المدقق لا محيص عنه كي تطرد الأفكار الخاطئة عن القريحة الفلسفية النقدية ويضرب بها عرض الحائط للسماح لشرعية الصفاء الفكري والذهب النقدي أن يستقر تماما بلا تردد أبدا. لكن هذه الحكمة النظرية والعملية في التكييف والتكيف والأقلمة والتأقلم لا تطوي كشحها عن التوضيح والصراحة مفيدة في الفكر خصوصا وفي أيام الناس كذلك فالمبدأ واحد لأن الصريح الشجاع يبدي رأيه بلا روغان كي يتخذ الكل منه موقفا معينا كل واتجاهه واقتناعه وتسامحه وأولا وآخرا وفهمه وعمقه، فإرضاء الناس غاية لا تدرك إن كانت هي أساسا مقصدا للعليم الحكيم المستقل الفهيم، وهي ليست بتلك.

وبالتالي يتبين طريق الفيلسوف مرة واحدة، وإن تدرج في تقطير اللؤلؤ النقدي والإبداعي للمريدين، فيختصر على نفسه الوقت والجهد دون تملق القريب ولا البعيد. وهكذا، ينصب المعاني الحقة نفسها ضد الأشكال كلها بحكمة وأناة وروية ولو كانت حقيقية لأن العبرة الكامنة في الأفكار هي لب العلم الحقيقي وجوهر الفقه الفلسفي ابتداء من الفكرة ذاتها إلى التطبيق العملي الذي وجد أولا جذوره في العقل والقلب والنفس والروح ارتواء وتمت آثاره في الميدان عملا لا قولا فارغا أو حتى مرتبطا بفعل حميد إذ الصمت سمت العاقلين وديدن الفقهاء الفلسفيين بترجمته التامة للانشغال الكامل بالتأمل والتمعن بعمقهما السحيق. وكل ما عدا اللب عدم وكل ما غاب عن الجوهر سم. والحكمة تعارض الحزن على الماضي وأحداثه المؤلمة وتقاوم الخوف من المستقبل وتوقعاته المزمنة طبيعي في البشر وهم يصارعون بعقل الحكيم وقوة العليم هذا بمحو آثاره من أنفسهم والاهتمام بالواقع والحاضر تمتعا وتخطيطا مقبولا معقولا للاستعداد للمستقبل أيضا في حدود طاقاتهم بلا إفراط ينغص الحاضر ويجعل الفرد يعيش في غد قد لا يدركه، ولكل طريقته في التعامل والتصدي للزن والخوف ولا سبيل لمحوهما تماما وكليا سوى تفسير قضية الشر بماضيه ومستقبله وحاضره، وقد أثبتنا هذه الحقيقة تهوينا على النفس الكبيرة من هول الأحزان ودوامة المخاوف والأوهام. وصنوه الحنين الكاذب المعتمد على ما عويش لكن بشبه خيال ضد العقل المجيد وهو عبء نفسي وفكري يحول دون الخلق والانفتاح العقلي والذهني جميعا، لجذبه للفرد وفكره وروحه نحو الوراء بعيدا عن الإبداع المرتجى الذي لا يعرف سوى آفاقه ولا يؤسس إلا على طريقته ومنهجه الحر الفني العلمي.

FOR AUTHOR USE ONLY

إننا لا نستطيع الحديث عن الفكر دون **تقديس الحرية ومحبة المتعة أساسي البناء الحضاري والبقاء الإبداعي بعكس الضيق التحريمي والتضييق الفكري والحجر العملي المفضي إلى التعاسة النفسية والتعصب الفكري والإرهاب الفعلي بعد العقد اللا إنسانية الحاقدة على البشر والمبددة لطاقتهم الكبيرة.** فالحرية دوما قلب البشر ونور الإصلاح بدءا ونهاية (كمؤسس وحيد وكهدف أسمى) ولا نصيحة في غيابها أو دوسا عليها بأي ذريعة كانت هذا النصح فاحترام الإنسان للآخر قريبا أو بعيدا قاعدة الوجود والتعامل العادل والخلق الحسن وهو باني الحضارات بتحقيق التسامح عوض المحاسبة ولو بحسن نية وما هناك حسن لأن مراعاة الحرية في الدقيق والجليل مسؤولية الجميع من الأسرة إلى الدولة مرورا بالشارع. والحرية التي رضعها الفكر وتشبع بها القلب وداخلت مسام الجلد وسارية في الدم والعصب توفر جو الخلق والإبداع ميسرة الخير وفعله ونشره بخلاف التدخل السافر أو الضمني الخفي الذي يترك العالمين عرضة للتنابز والحساب الفارغ والقصاص السافل، هدما للفهم والتفهم والحضارة والتقدم.

فالحرية الحرية بنية الخير والتنمية، ومحاربة الشر لا بد من انطوائه في ستار الحرية لتؤطره وتنظمه وتسدده بحكمة العقل الكريم زمانا ومكانا وكلمة مختارة محددة للفرد مسؤولياته في عائلته وعمله وللدولة آليات تطبيق دورها الفعال بصفتها مالكة القوة المشروعة بسام الحرية ولها. ومن لم يواصل النقد والنقيب في غياب الحرية سفل في مدارك العاديات وضرورات الحياة بل ولام غيره عدوانا لامتلاكه للوقت وامتناعه عن الإبداع والعياذ بالعقل المجيد، تماما على عكس المشغول بفضول العلم والحياة شرحا وتحليلا وتفسيرا ونفعا عليما وعمليا بنظام المفكر ونفذ المدبر. وما على المرء الموسوعي، في مساره الحثيث نحو الفضاء الواسع، عدا التمسك بالوقت الواسع والتأني البالغ في تتبع آفاقه وتحقيق آماله وطموحاته وهو تحضير ذكي نظرا وعملا حيث أنه يرسخ التمعن ويركز الأفكار في النفس ويجعلها تتجسد رويدا رويدا في آنها وقد يستطاع تعجيلها غير أن تعدد المواضيع لا يرهق الذات بل يقتلها وهي سنة خلقة البشر مادة وروحا عاطفة وعقلا مشرفا موجها. مبرزين أن الذكاء الصرف هو سرعة الفقه والفهم والربط في اكتشاف السنن بالتساؤل الذكي العميق والبحث الدقيق، وهو خلق وإبداع الطرق الجديدة في التفكير وفي التوصل إلى القوانين الكونية والبشرية ثم هو حسن التنظيم والتقسيم والتطبيق فهو إذن نظري وعملي قدرة خلاقة عقلية ومهارة كذلك فنية، وبالتالي فتعريفه العام في الإنسان هو إجادة الأشياء بسرعة فكرا وفعلا وهذا جون الذاكرة لأنها استيعاب فقط أو تخزين لا غير والقصد كله يسكن في الحكمة والمنهجية والإبداع والسرعة.

FOR AUTHOR USE ONLY

لكن، هل كل الناس مكتشفون؟ سؤال سبيه بهل كلهم مهتدون بالعقل البين وهنا عودة لقاعدة تقعيد المبدأ والتحقق من الناموس الثابت نظرا ليترك تنفيذه للناس واختياراتهم فقد يتبنى المجرم أساسا بينا لا غبار عليه من النور لينتهك به أعراض الناس ويدوس على كرامتهم كما ادعى الدفاع عنها وهو موجود بغزارة تاريخا بأنواعه على مد الزمن البشري، وقد يتبين الحق للمرء دون أن تتكون لديه شجاعة اتخاذها طريقة حياة وتجسيد ثبات بل قد يجبن عنها لسبب أو لآخر من أسباب الخور والتردد والتوجس في النفس الإنسانية. فما العبرة التامة إلا بالتأكد من القاعدة وتشجيع النفس بالعقل المجيد على تبنها كاملة برفق لتتمكن من الواقع بتدرج وتؤدة ؛ فالاكتشاف حقيقة مرادة لتحرير الإنسان وقل المكتشفون وعزوا (عزة وندرة) واتبع أغلب الناس عاديات الحياة لا عامة قط بل خاصة أيضا وما هم كذلك. والجنس مثيل الاكتشاف شعورا وبهجة ومتعة وجوا فالارتباط الجنسي تلاحم للحم والجسد والروح وهو كذلك في الاكتشاف كعملية يحضر لها بانتظام ويذهب لها بالتدريج ليعلق العقل البين بالقوانين فتخالط عظمه وعصبه متفرغا لها بلا منازع كيف لا وهي نور الخلق ورحمة الوجود.

ومن هنا كان الفن وهو سليل العلم عنوان الجنس (تصوير العري) بما يضفيه من خيال براق كما ينصب كل صغير وكبير من نزعات النفس والروح من غضب وقوة وعنف في الفرج بمعنييه منفسا عن الإنسان ومعبرا عن أشواقه. غير أنه عند التعب تظهر وهما استحالة الممكنات ولا سبيل لمحوها سوى استرجاع القوى بأخذ قسط من الراحة لترسخ المبادئ الخالدة في الروح عقلا ونفسا فلا داعي لاستثارة جهد آخر مضن ولا إنهاض بحث جديد متعب، بل كل في محله وإطاره من جهد وراحة وحقيقة ووهم ممحو منفي ومقتول، والوقت خير حليف. كما أن إن لوم النفس حافز الانتحار ومولد التعصب كمعوض والهرب منه تجاهلا فطريا وضربا عقليا قلب التقدم والمضي صعدا في الحياة غير أننا نود هنا الإلحاح على التعصب الديني الفكري والفعلي النافي للآخر أخا ومثيلا على الأقل مستعينا بإعدام الغير ممن المخالفين عقيدة أو مذهبا أو فكرا في الأصول أو الفروع لمحو أو رجاء محو الذنوب كلها أو جزء منها جهلا وبهتانا وظلاما، فكأن الخطأ القديم هو وقود الإجرام الجديد، وتلك طبيعة اللؤم والحقد الدينيين بلا التباس.

فكل يترجم الاستمتاع كليا باللذات بلا حد سوى شرط الملل طبيعة بشرية فقط ليتدخل التنويع بسنته فيشتاق القلب والعقل والجسد للذة الأولى المفقودة مؤقتا كاستراتيجية ذكية تعامليا وفكريا مع دنيا الناس محافظة على التمتع وناموس التنوع حتى إشعار آخر لتفسير أوسع وتحليل أعمق. وروح العمالقة تتجلى عند سماع أسمائهم الخالدة أو اكتشافاتهم الرائقة لتتفتح أزهار الرقي وأنوار الفكر السوي موفرة الجو الإبداعي منتش المعادلات الرياضية السعيدة والتطبيقات الفيزيائية الرفيعة والسنن الإنسانية الفسيحة. ذلك شعور العظمة وتلاقي الأفكار وتلاقح الأرواح الجليلة العليمة بالغيب المخفي والمطلعة على النور الجلي والمتحلية بالارتقاء العلي ؛ وغربة المبدع غير موجودة فهو المتمتع باستقلاله والذاتي بفرحه خصوصا مع أنداده لكن المحيط عادي وساذج والوسط راكد، فلا غربة ولكن إحساس بالعظمة عند تحقق شروط الخلق وتجسيد ظروف الإبداع. ومن مناهج الإبداع السلس114عدم الاستسلام لعظمة الإبداع وملكات الخلق في لحظة الإشراق مما يدعو إلى ترك التعليق الذكي بسبب طلب الرقي أو الأرقى والأمثل والأفضل وهو ما يتضح (العبقرية) بعد الإنتاج، فلا بد من الإبداع في أوانه وانتظار الفرحة بعد ذلك ليتم اليمن كريما ولا تضيع الفرصة يقينا –ولا ضياع في الفكر السني-.

FOR AUTHOR USE ONLY

وفي ناموس التسخير الإنسان الطبيعة والوجود لنفسه فالبيئة إرث البشر لكن بفكر الحرية المسؤولة التي توظف الطبيعة للبشر ولا تستعبد الإنسان للموارد كما ينذر به مدافعو البيئة (الخضر) ونحن على يقين أن ادعاء الاحتباس الحراري رغم بعض جوانبه المحقة دون إفراط لا أساس له من الصحة بل هي موضة عصرية أملتها المناسبات والظروف تحت شعار الحفاظ على البيئة، وهو إن لم يكن تزويرا وتعصبا وتطرفا بيئيا فهو على أقل تقدير تضليل للبشر وتضخيم للوضعية الحقيقية حبسا للعالمين عن استغلال الثروات الطبيعية –نعم بعقلانية- ولا طريق له سوى اكتشاف نواميس الكون وأسرار الطبيعة. والاعتماد في العلوم الطبيعية مقعد على اشتقاق المعادلات **ببساطة** لا حفظها إذ المهم المعتبر هي المبادئ سرمدا المنادية لنتائجها الآلية ولو بعد جهد ووقت ملائمين، **لذا كان الاشتغال بتبسيط القضايا الرياضية والفيزيائية أو المعادلات والتطبيقات أكبر هدف للفيلسوف الموسوعي/الإبيستيمولوجي أو التقني الفنان المبدع، غير أن ملاحظة بعض الحسابات لا الأخيرة بل المتخللة وسطا ضروري أحيانا كترجمة لعمق الفكرة وتجذر المبدأ**.

FOR AUTHOR USE ONLY

حيث أنه ليس المهم لدى المكتشف اعتراف الناس به فهو لا يعبأ لهم ولا بآرائهم ولا حتى فهمهم بعيدا عن تفهمهم فهو لا يحتاجهم البتة والأهم هو ابتعاد الخلاق عن الأناسي العاديين والخاصة (كما يسمون) لتوفير الوقت الثمين عدم الانغماس في متاهات الترهات والسذاجات، إلا أن التأثر الإنساني وارد طبيعة والمبدع يتلافاها لتفرد بذاته ويتفنن بنفسه وما يغيظه بعد ذاك سوى تفريط العالمين في العقل المجيد وتجاهلهم الغافل للنواميس الحقيقية، وتلك عادة البشر رغم فطرة العقل السديد. وبالتالي، يقوم المنظرون بتقعيد القوانين وتحديد الأطر العامة ومن خلفها المبادئ الأهم والأقوى والنواميس الأثرى ليلحق بركبهم المهندسون كمطبقين للنظريات والقواعد المحضرة على الأيدي البيضاء للعارفين بالسنن الكبرى. ومن هنا كان عمل وجهد المهنس مشكورا تماما إلا أن كل شيء متوقف على فعل وعقل العمالقة العباقرة المنظرين، ولكل حقله وتأثيره الخاص به ؛ والنظر بدء وأس ونظام كل خير ونفع بلا حسبان ولا مقارنة **ولا ميزان ...**

(lamniscate of bernoulli linkage/watt linkage)

وفي قضية الاعتقاد لا تتم حقيقة عملية الإيمان الأحق إلا **بالعقل المجيد المطلع** على (1) الإله المطلق الرحيم الكامل العليم الرحمان الحكيم القدير ذي الصفات العلية المحررة للإنسان وما هو (الإله) سوى **في خدمة الخليفة البشر الكريم المكرم المسخر البشير**، فإذا كمل التوحيد الواسع (لا متون فيه ولا تعقيد ولا دوغماتية البتة بل توسيع وتحرير وفهم وفقهم عميق وتبسيط سديد) أتى (2) دور الرسالة الكلامية لهذا الإله الرشيد **الحفي بالإنسان المقتدر باستقلال** الذي يباشر (3) التحقق من ثبوت النص الوحي حرفا حرفا فإذا (أ) لم يثبت كليا أو جزئيا **اعتمد على العقل البصير المستقل في كل الأحوال وهنا بطرح الوحي المفترى جانبا** وإن صح ربما في أوانه في فترة (النبي) والرسول المعني (توراة وإنجيلا وقرآنا) –الديانات السماوية التوحيدية أو الموحدة- (ب) وإذا كان ذلك يقينا تاريخيا بالعقل المبين وماديا بالتثبت من عدم تحريف الوحي **تجاوز العقل البين نطاق الشكل الحرفي والثبوت النصي إلى المعنى الكلي والجزئي له بنقد العقل السديد بلا هوادة للتفسير الحقيقي بما أنه ثابت بيقين أي أن الفيلسوف الفهيم أو النقاد العليم والمفكر الحكيم يطمئن للحرف أي من حيث أصالته نصا كاملا بلا سقط بتاتا بكل أنواعه حسب اللغات وهو في العربية في الإعجام (النقط) والشكل والترتيب للحروف والكلمات وبدرجة أقل للجمل (والمرجح في القرآن ضرورة ترتيب الكل حروفا وكلمات وجملا دون السور) لكن ليس للمعنى الحرفي الذي كثيرا ما يفضي إلى الشرك العقلي والكفر الفكري والجور البشري والحيف الذكائي، لذا كان من الواجب عقلا نقد النص شكلا ومعنى ليخلص الفكر الإنساني إلى معالي المعاني ونفائس المباني وجواهر اللآلئ والمكارم والمراقي. وهذا سبيل العلم المحقق للإيمان الوحيدة بعيدا عن التقليد والآبائية والهوى تحت أي اسم كان خصوصا المقدسة منها ...**

غير أن الفرحة تفتح أبواب العلم بانفتاح الخير فطرة سليمة لتحلل مع العقل البين في هدوء الروح لتبصير الجسم والقلب والعقل بالعقل المنير فهي نافذة على فتوحات العقل المستقل النقاد المحتاج في حقيقة الأمر إلى الوقت والجهد الذي توفره الفرحة الغامرة نفسيا وجسديا معا، والحصيف لا يستغني عن خير وإن كان في علياء استقلاله الكبير لأن الأول لا ينافي الثاني بتاتا على استياء نفسي في بعض الحالات كثرة وقلة. ووفق قانون التدرج والتفاوت الطبيعي فما على الضعيف من لوم عقلي –وكل اللوم عليهم لاستتارهم بالنور الطبيعي والهبة العليا الفريدة- إذا اختار لنفسه السفالة بانعدام الفكر واتباع التقليد المميت شرط تركه للعالمين وشأنهم بلا نقد لكرامتهم ولا مس لكبريائهم وهم المبدعون المتحررون المحررون لا حجرا على العقول وقرائح العاديين بل احتراما لحرياتهم إن وجدت ولعقولهم إن أعملت، دون إكراه لهم بتفهمهم لكن علمهم هم –الضعفاء- إن لم يحبوا الارتقاء الانزواء في قوقعتهم والاكتفاء بركنهم الضيق المشين بعيدا عن نور

FOR AUTHOR USE ONLY

الحرية ورحمة العقل الشريد. فلا يعنى بالعقل والفكر والتدبر في الذكر التقوقع في الآي الديني بل المقصود هو التحرر الفكري بذاته ضاما الدين إلى الكون والإنسان أو قل استقلالا بالبشر في فهم الكون ونفع العالم بسنن الوجود التي يكتشفها العقل المبين شيئا فشيئا، وإلا ضيق الخناق على الآيات العقلية الفكرية التدبرية الكونية والإنسانية لتقتل في مهدها قبل إيقاض الضوء الطبيعي وتفعيل قوانينه للتنعم بنتائجها : فالعقل والفكر والتدبر والانفتاح على الكون والإنسان فقها ونفعا بالعلم البصير والعمل الحرير هو الغاية من الفعالية التفكيرية العقلية الفطرية الفلسفية نظرا وفعلا.

وفي هذا النطاق، يكون الحمد في إطاره عاديا مقبولا كعدمه في مقامه تماما ولا مقارنة لا عقلية ولا نفسية بالرغم من صعوبة ذلك وأحقية الاحتجاج العقلي والقلبي الشيء الذي يريح التفكير ويسهل اجتياز الصعوبات النفسية في مسيرة المعالي العقلية وصعود النقد الفعال للبناء الحضاري البشري فردا ودولة لائيكية إنسانية. **ونظامنا المفتوح على الاستمرارية النقدية والتواصلية الخلقية الإبداعية التجديدية بأسس متينة وعلى قواعد صلبة، معتمد ومولد من الحس الموسوعي.** إذ تقتات الموسوعية من المواضيع نفسها أو التخصصات ذاتها تطعم بعضها بعضا ... ففي البداية يصعب الأمر على اقتحام المسائل والانتقال من قضية إلى أخرى بسلاسة وسهولة، وهو طبيعي إلى حد التطرف لدى الموسوعي والعبقري على قلة عدده، تتأتيان بالممارسة والتمرس والتطبيق واعتياد توسيع الآفاق وتيسير منافذها للنفس والغير على السواء. لكن ذلك عند التعب والإرهاق يفرز عكس المرونة بالتحجر والتكلس والتعقيد وهو وهم يزول في وقته وبظروفه على درجات الرقي وحالات الروح والعقل المجيد غير غائب وخير رديف ودوما حاضر للنصر والبشائر.

FOR AUTHOR USE ONLY

خاتمة

FOR AUTHOR USE ONLY

عبر تجوال في الفضل ال1.إنساني وبعض تأسيس تقعيدي للعقل البشري في ظل الكيان الآدمي كله، وضحنا قدر الإنسان في الوجود كي يعلمه مكتشفا مبدعا ثم شرحنا جوانب من تفكير المرء بموضوعية وحماس لصالح الخلقية بالعلم الواسع موسوعية وتفتحا على الإنسان والكون زمانا ومكانا وما بعد ...

وها هي بعض نتائج خلصنا إليها بعد جمع وسبر وتحليل ونقد بداع، ليسهل على القارئ استجماع تلك النقاط فائدة له ومحاولة منا لبثها في كيان كل فرد مهتم بالتغيير تدرجا ظروفا عامة وخاصة تجنبا للصدمات هنا وهناك وتعميما للإفادة والاستفادة :

1. نبل الإنسان معدنا عريقا
2. طهور قدر البشر في فهمهم وتجسيد ذلك في \أعمالهم
3. أهمية تتبع طريق الاكتشاف مراعاة للنتيجة دون تغليبها على كيفية الوصول
4. تكامل الكبان الإنساني برئاسة العقل المشرف على الروح المنفتحة والقلب المتحمس والجسد المتمتع
5. علم النفس أكمل العلوم بما يملكه من قدرة على الكشف الكوني المادي للحرية النفسية المعنوية
6. الحرية دليل الحيارى ومبدأ ومنتهى كل غاية
7. التجديد نهج الكبار معتنقي الحرية والتوسيع والعالمية
8. المحلي خادم للعالمي كما أن العالمي مجذر للمحلي
9. الطبيعة بداية الفكر والفلسفة تعمقا وتعميقا هي أس البناء الحضاري
10. المنهج ركيزة كل ابتكار ودوام كل مسيرة وزينة كل حلقية

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY

المراجع

أرسطو طاليس، الكون والفساد، ترجمه إلى الفرنسية بارتلمى سانتهللير، وترجمه إلى العربية د/ أحمد لطفى السيد، وقدمه د/ مصطفى لبيب عبد الغنى، 1970

ـــ، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمه من اليونانية بارتلمى سانتهللير، ونقله إلى العربية د/ أحمد لطفى السيد، ج ،1 مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1924

ـــ، فى النفس، الآراء الطبيعية المنسوبة إلى فلوطرخس، راجعها وقدم لها د/ عبد الرحمن بدوى، وكالة المطبوعات بالكويت، دار القلم، بيروت - لبنان، د.ت .

إبراهيم مصطفى، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، .2001.

إبراهيم زكريا، المشكلة الخلقية، دار مصر للطباعة، د.ت(- 3 .أبو ريان(د/ محمد على، أصول الفلسفة الإشراقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1978.

ـــــ، الفلسفة و مباحثها مع ترجمة المدخل إلى الميتافيزيقا، ط ،4 دار المعرفة الجامعية، 2000

أركون محمد، (2005)، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، دار الطليعة، بيروت.

أركون محمد، (2012)، الفكر الإسلامي : نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، بيروت.

التويجري عبد العزيز بن عثمان، (2002)، العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيكو.

الجابري محمد عابد، (1997)، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

الزبود ماجد، (2002)، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع.

السيد ياسين، (2002)، العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، منشورات مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.

القرآن الكريم.

المديني أحمد، (2007)، العولمة والهوية : التنوع بديل للقطيعة، جريدة الشرق الوسط 10507.

بن نبي مالك، (2000)، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق.

FOR AUTHOR USE ONLY

بن نبي مالك، (2002)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر، دمشق.

ديكارت، التأملات فى الفلسفة الأولى، ترجمة وتقديم وتعليق د / عثمان أمين، مكتبة األنجلو المصرية، 2009.

ـ، مقال عن المنهج - أحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة فى العلوم، ترجمة وشرح د/ محمود محمد الخضيرى، المطبعة السلفية ومكتبتها، 1930.

خريسان باسم، (2001)، العولمة والتحدي الثقافي، دار الفكر العربي.

عرسان علي، (2001)، ثقافتنا والتحدي، منشورات اتحاد الكتاب العربي.

AUROUX S. & WEIL Y., (1991) *Dictio**nnaire des auteurs et des thèmes de la philosophie,*** **Hachette.**

BENNABI Malek, (1948) *Les conditions de la Renaissance*.

FOR AUTHOR USE ONLY

المحتويات

مقدمة 2

الفصل الأ ول

فضل الإنسان بالعقل السديد 4

الفصل الثاني

تأسيس عقلي 15

خاتمة 118

FOR AUTHOR USE ONLY

More Books!

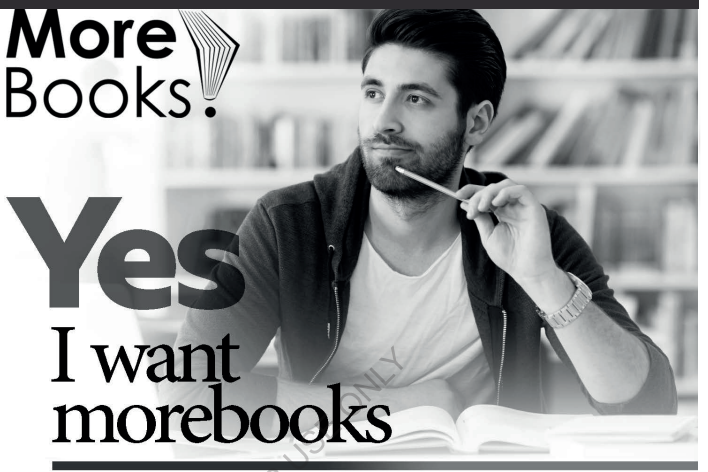

Yes
I want
morebooks

اشتري كتبك سريعا و مباشرة من الأنترنيت, على أسرع متاجر الكتب الالكترونية في العالم
بفضل تقنية الطباعة عند الطلب, فكتبنا صديقة للبيئة

اشتري كتبك على الأنترنيت
www.morebooks.shop

FOR AUTHOR USE ONLY

Kaufen Sie Ihre Bücher schnell und unkompliziert online – auf einer der am schnellsten wachsenden Buchhandelsplattformen weltweit! Dank Print-On-Demand umwelt- und ressourcenschonend produziert.

Bücher schneller online kaufen
www.morebooks.shop

info@omniscriptum.com
www.omniscriptum.com

OMNIScriptum

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY